ديوان
حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين — أحمد الزين — إبراهيم الابياري

الجزء الثاني

ويشتمل:

السياسيات . الشكوى . المراثى . قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٠

ديوان
حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين　　أحمد الزين　　ابراهيم الإبياري

الجزء الثاني

ويشمل :

السياسيات ، الشكوى ، المراثى ، قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٠

الطبعة الثانية

الجزء الثاني

المحتـــويات

صفحة

السياسيات 5

الشكوى 112

المراثى 131

قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى 249

السياسيات

العلمان المصرى والانجليزى فى مدينة الخرطوم

رُوَيْدَكَ حتى يَخْفُقَ العَلَمانِ (١) * وتَنْظُرَ ما يَجْرِى به الفَتَيانِ

فما مِصْرُ كالسُّودانِ لُقْمَةُ جائعٍ (٢) * ولكنَّها مَرْهُونَةٌ لأوانِ

دَعانى وما أَرْجَفْتُما باحتمالِه (٣) * فإنِّى بمَكْرِ القَوْمِ "شِقٌّ" زمانِى

أَرَى مِصْرَ والسُّودانَ والهِنْدَ واحِدًا * بها اللُّرْدُ والفِيكُنْتُ يَسْتَبِقانِ

وأَكْبَرُ ظَنِّى أنَّ يومَ جَلائِهِمْ * ويومَ نُشُورِ الخَلْقِ مُقْتَرِنانِ (٤)

إذا غاضَتِ الأَمْواهُ مِنْ كلِّ مُزْبِدٍ * وخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ للحَدَثانِ (٥)

---

(١) الفتيان : الليل والنهار . يخاطب صاحبه يقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، ريكمل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .

(٢) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .

(٣) ما أرجفتما ، أى ما خضتما فيه من القول الذى لم يصح . وباحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ، وهو جلاء الإنجليز عن مصر . ويريد «بالقوم» : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان . (٤) يوم النشور : يوم القيامة .

(٥) غاض الماء : قل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (بحركة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

وعادَ زمانُ السَّمهريِّ وربِّه * وحُكْمٌ فى الهيجاءِ كلِّ يمانى (١)

هُنالكَ اذكُرا يومَ الجَلاءِ ونَبِّها * نِياماً عليهم يَندُبُ الهَرَمانِ (٢)

إلى مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى عتاب مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

[نشرت فى ٤ ابريل سنة ١٩٠٤م]

(عبدَ العزيز) لقد ذَكَّرْتَنا أَلَمًا * كانتْ جوارُكَ فى لَهْوٍ وفى طَرَبِ (٣)

ذَكَّرْتَنا يومَ ضاعَتْ أرضُ أندلُسٍ * الحَرْبُ فى البابِ والسُّلطانُ فى اللَّعِبِ

فاحذَرْ على التَّختِ أنْ يَسْرِى الخرابُ له * فتَختُ (سُلطانةٍ) أعدَى من الجَرَبِ (٤)

---

(١) السمهرى : الرمح الصلب ، أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر ، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيجاء : الحرب . واليمانى : السيف ، نسبة الى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .

(٢) هنالك اذكرا : جواب «لإذا» فى البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار... الخ ، أو وقع المستحيل ، فعاد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراكش ، هو ابن السلطان مولاى الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه فى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان مسروفا بالإخلاد الى الهون واللهو ، حتى إنه بعث الى مصر فى طلب جماعة من المغربين والمغربات ، فسافر اليه جماعة منهم ، فأنكر عليه المسلمون فعله ، لاسيما مصر ، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد «بالتخت» الأول فى هذا البيت : سرير السلطان ، وهو معرب . وبالثانى : تخت الغناء ، تسمية عامية . وسلطانة : مغنية كانت من المغنيات المشهورات فى مصر فى ذلك العصر ، وكانت بين بعثة الغناء التى سافرت الى سلطان مراكش .

To: www.al-mostafa.com

غادة اليابان

ضمنها مرامه بغادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في ٦ ابريل سنة ١٩٠٤ م]

لا تَلُمْ كَفِّي إذا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مِنِّي العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى (١)

رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ في سَعْيِه * أَخْطَأَ التَّوفيقَ فيما طَلَبَا

مَرْحَبًا بالخَطْبِ يَبْلُونِي إذا * كانت العَلْيَاءُ فيه السَّبَبَا (٢)

عَقَّنِي الدَّهْرُ ولولا أنَّني * أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدَبَا (٣)

إيهِ يا دُنْيا اعْبِسِي أو فابْسِمِي * لا أَرَى بَرْقَكِ إلَّا خُلَّبَا (٤)

أنا لولا أنَّ لي مِنْ أُمَّتي * خاذِلًا ما بِتُّ أَشْكو النُّوَبَا

أُمَّةٌ قد فَتَّ في ساعِدِها * بُغْضُها الأَهْلَ وحُبُّ الغُرَبَا (٥)

تَعْشَقُ الأَلْقابَ في غَيْرِ العُلا * وتُفَدِّي بالنُّفُوسِ الرُّتَبَا

وهي والأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها * تَعْشَقُ اللَّهْوَ وتَهْوَى الطَّرَبَا (٦)

لا تُبالِي لَعِبَ القَوْمُ بها * أَمْ بها صَرْفُ اللَّيالِي لَعِبَا (٧)

---

(١) نبا السيف : كل وارتد . (٢) يبلون : يختبرني . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبر به . يقول : إن الدهر لم ينصفني ، والجاني عليّ هو أدبي ؛ ولولا أني أوثر الاحسان لهجرت الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يطمع الناس في مطره ويخلفهم .

(٥) فت في ساعدها : عبارة يكني بها عن الإضعاف وإبهان القوى . (٦) والأحداث تستهدفها ، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه . (٧) يريد «بالقوم» : الانجليز . وصروف الليالي : غيرها ونوائبها . أي أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّى قِصَّةً * ذاتَ شَجْوٍ وحَدِيثًا عَجَبَا (١)

كنتُ أَهْوَى فى زَمانى غادَةً * وَهَبَ اللهُ لها ما وَهَبَا (٢)

ذاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الحُسْنُ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِى اليَهُودَ الذَّهَبَا

حَمَلَتْ لى ذاتَ يومٍ نَبَأً * لا رَعاكَ اللهُ يا ذاكَ النَّبَا

وأَتَتْ تَخْطِرُ واللَّيلُ فَتِىٌّ * وهِلالُ الأُفْقِ فى الأُفْقِ حَبَا (٣)

ثمّ قالت لى بِثَغْرٍ باسِمٍ * نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ والحَبَبَا: (٤)

تَبْتُغُونى بِرَحِيلٍ عاجِلٍ * لا أَرَى لى بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا (٥)

ودَعانى مَوْطِنى أَنْ أَغْتَدِى * عَلَّنِى أَقْضِى له ما وَجَبَا (٦)

نَذْبَحُ الدُّبَّ ونَفْرِى جِلْدَهُ * أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا (٧)

قلتُ والآلامُ تَفْرِى مُهْجَتِى: * وَيْكِ! ما تَصْنَعُ فى الحَرْبِ الظِّبَا؟ (٨)

ما عَهِدْناها لَظَبْيٍ مَسْرَحًا * يَبْتَغِى مَلْهًى به أو مَلْعَبَا

لَيْسَتِ الحَرْبُ نُفوسا تُشْتَرَى * بالتَّمَنِّى أو عُقُولًا تُسْتَبَى (٩)

---

(١) يقال : شجاه شجوا ، اذا هيج أحزانه وشوقه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة الليّنة .

(٣) والليل فتى ، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .

(٤) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب : العودة والرجوع . (٦) أغتدى ، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر . ونفرى : نشق . ويشير بهذا البيت الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م . (٨) الظبا : الظباء ، وقصر للشعر . (٩) تستبى : تؤسر بالحب .

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُنَّتِها * أم ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فيها كالشَّبَا؟ (١)

فَسَلِينِي، إنَّنِي مارَسْتُها * وَرَكِبْتُ الهَوْلَ فيها مَرْكَبَا (٢)

وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فى غارَةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبَا (٣)

قَطَّبَتْ ما بينَ عَيْنَيْها لَنا * فرأيتُ الموتَ فيها قَطَّبَا (٤)

جالَ عِزْرائيلُ فى أَنْحائِها * تحتَ ذاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الهَيْذَبَى (٥)

فَدَعِيها لِلَّذى يَعْرِفُها * وَارْمِى يا ظَبْيَةَ البانِ الخِلِبَا (٦)

فأجابَتْنِي بصَوْتٍ راعَنِي * وأرَتْنِى الظُّبْيَ لَيْثًا أغْلَبَا: (٧)

إنَّ قَوْمِى اسْتَعْذَبُوا وِرْدَ الرَّدَى * كيف تَدْعُونِى ألَّا أَشْرَبَا؟

أنا يا بانِيَةٌ لا أَنْثَنِي * عَنْ مُرادِى أو أَذُوقَ العَطَبَا (٨)

أنا إنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْىَ ولَمْ * تَسْتَطِعْ كَفَّاىَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٩)

---

(١) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السنان . (٢) مارستها : عانيتها .

(٣) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيذب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .

(٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيذبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .

(٦) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تأكله الظباء . والخلبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة القوة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح لحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حد السيف أو السنان .

أَخْذُمُ الجَرْحَى وأَقْضِى حَقَّهُمْ * وأُوَاسِى فى الوَغَى مَنْ نُكِبَا (١)

هٰكذا (المِيكادُ) قد عَلَّمَنا * أَنْ نَرَى الأَوْطانَ أُمًّا وأَبَا (٢)

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنه * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فهَزَّ المَغْرِبا

وإذا مارَسْتَه أَلْفَيْتَه * حُوَّلًا فى كلِّ أَمْرٍ قُلَّبا (٣)

كان والتاجُ صغيرَيْنِ مَعًا * وجَلالُ المُلْكِ فى مَهْدِ الصِّبا

فغدا هٰذا سَمَاءً للعُلا * وغَدا ذٰلكَ فيها كَوْكَبا

بَعَثَ الأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِها * ودَعَاها للعُلا أَنْ تَدْأَبا (٤)

فَسَمَتْ للمَجْدِ تَبْغِى شَأْوَه * وقَضَتْ مِن كلِّ شىءٍ مَأْرَبا (٥)

الحرب اليابانية الروسية (٦)

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

أَسَاحَةٌ للحَرْبِ أم مَحْشَرُ * ومَوْرِدُ المَوْتِ أم الكَوْثَرُ؟ (٧)

وهٰذه جُنْدٌ أَطاعُوا هَوَى * أَربابِهِمْ ، أم نَعَمٌ تُحْشَرُ؟ (٨)

---

(١) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب ملك اليابان .

(٣) الحوّل : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٤) تدأب : تجتهد فى طلبها . (٥) الشأو : الغاية . (٦) هى تلك الحرب التى نشبت بين اليابان والروس بسبب أحتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين بزجا من الأسطول الروسى فى ميناء بورت أرثر فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان فى كوريا ، وبجلاء الروس عن منشوريا ، وبشروط أخرى فى صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر فى الجنة . شبه (فى الشعار الأول) كثرة المتحاربين وازدحامهم على القتال بازدحام الناس يوم المحشر ، وشبه فى الشطر الثانى استعذاب الناس الموت باستعذابهم الكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاء والبقر ، يريد أن الأرواح قد رخصت فى هذه الحرب وكثر القتل فى الجنود حتى لم تتبين إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دمائهم أو أنعاما تحر .

لِلّٰهِ ما أَقْسَى قُلوبَ الأُلَى * قامُوا بِأَمْرِ المُلْكِ وَاسْتَأْثَرُوا !
وَغَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطانُهُمْ * فَأَمْعَنُوا فِي الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا (١)
قَدْ أَقْسَمَ البِيضُ بِصُلْبانِهِمْ * لا يَهْجُرُونَ المَوتَ أَوْ يُنْصَرُوا (٢)
وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتادِهِمْ * لا يَغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا (٣)
فَادَتِ الأَرْضُ بِأَوْتادِها * حِينَ الْتَقَى الأَبْيَضُ وَالأَصْفَرُ (٤)
وَأَتْمَلَتْها غَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِها (المِيكادُ) وَالقَيْصَرُ
وَأَشْبَهَتْ يَومَ الوَغى أُخْتَها * إِذْ لاحَ فِيها الشَّفَقُ الأَحْمَرُ (٥)
وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفانَها * لَعَلَّها مِنْ رِجْسِها تَطْهُرُ (٦)
أَشْبَعْتِ يا حَرْبُ ذِئابَ الفَلا * وَغَصَّتِ العِقْبانُ وَالأَنْسُرُ (٧)
وَسِيرَتِ الحِيتانُ فِي بَحْرِها * وَمَطْمَعُ الإِنسانِ لا يُقْدَرُ (٨)
إِنْ كانَ هٰذا الدُّبُّ لا يَتَّقِي * وَذٰلِكَ التِّنِّينُ لا يُقْهَرُ (٩)

---

(١) أمعن : بالغ وأبعد . (٢) يريد «بالبيض» : الروس .
(٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض : جبالها .
(٥) الضمير في «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .
(٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعرى :

والأرض تطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٧) غصت : امتلأت وضجت . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أي لها بالميرة ، أي بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أي لا يحد ولا ينتهى .
(٩) التنين : الحية العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

والبِيضُ لا تَرْضَى بِخِذْلانِها * والصُّفْرُ بعد اليومِ لا تُكْسَرُ

فما لِتِلْكَ الحَرْبِ قد شَمَّرَتْ * عن ساقِها حتَّى قَضَى العَسْكَرُ (١)

سالَتْ نُفوسُ القَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * فسالَتِ البَطْحاءُ والأَنْهُرُ (٢)

وأَصْبَحَتْ (مكْدُنُ) ياقُوتةً * يَغارُ منها الدُّرُّ والجَوْهَرُ (٣)

ياقُوتةً قد قُوِّمَتْ بينهمْ * بالنُّفُسِ كالقَطْرِ لا تُحْصَرُ (٤)

أَضْحَى رَسُولُ المَوْتِ ما بينها * حَيْرانَ لا يَدْرِى بما يُؤْمَرُ

عِزْرِيلُ، هل أَبْصَرْتَ فيما مَضَى * ... وأنتَ ذاكَ الكَيِّسُ الأَمْهَرُ

كذلك المِدْفَعِ فى بَطْشِه * إذا تَعالَى صَوْتُه المُنْكَرُ؟ (٥)

تَراهُ إنْ أَوْفَى على مُهْجَةٍ * لا الدِّرْعُ يُثْنِيه ولا المِغْفَرُ (٦)

أَمْسَى (كُرُوبَتْكين) فى غَمْرَةٍ * وباتَ (أُوياما) له يَنْظُرُ (٧)

---

(١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا فى الشجاعة والقوة ، وصممت كلتاهما على ألا تخذل ، فثم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون منتصر ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة فى منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التى بدأت يوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسر فيها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء تُرى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأنفس » فى هذا البيت : من قتل فى هذه المدينة من الفريقين .

(٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة .

(٧) كروباتكين : قائد الروس فى تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التى تغمر الناس ، أى تعمهم وتشملهم .

وظَلَّت (الرُّوسُ) على بَحْرَةٍ * والمَجْدُ يَدْعُوهُمْ ألا فاصْبِرُوا

وذَلكَ الأسْطُولُ ما خَطْبُه * حتَّى عَراهُ الفَزَعُ الأكْبَرُ؟ (١)

أصْكَلُّما لاحَ لَه سابِحٌ * تحتَ الدُّجَى أو قارِبٌ يَمْخُرُ (٢)

ظَنَّ به (طُوجُو) فأهْدَى له * تَحِيَّةً (طُوجُو) بها أخْبَرُ؟ (٣)

تحيَّةً مِنْ واجِدٍ شَيِّقٍ * أنْفاسُه مِنْ حَرِّها تَزْفِرُ (٤)

فهل دَرَى القَيْصَرُ فى قَصْرِه * ما تُعْلِنُ الحَرْبُ وما تُضْمِرُ؟ (٥)

فكَمْ قَتِيلٍ باتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتابُه الأظْفُورُ والمِنْسَرُ (٦)

وكَمْ جَرِيحٍ باسِطٍ كَفَّه * يَدْعُو أخاه وهو لا يُبْصِرُ

وكَمْ غَرِيقٍ راحَ فى لُجَّةٍ * يَهْوِى بها الطَّوْدُ فلا يَظْهَرُ (٧)

وكَمْ أسِيرٍ باتَ فى أسْرِه * ونَفْسُه مِن حَسْرَةٍ تَقْطُرُ

إنْ لَمْ تَرَوْا فى الصُّلْحِ خَيْرًا لكُمْ * فالدَّهْرُ مِنْ أطْماعِكُمْ أقْصَرُ

---

(١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يمخر : يشق عباب الماء .

(٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذى نسف أسطول بحر البلطيق الروسى فى موقعة تسوشيما فى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس فى هذه الحرب .

(٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : ما يصبه المدفع على السفية من مقذوفاته ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو نائم مطمئن فى قصره بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فينبه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها . (٦) الأظفور : الظفر . والمنسر (كمجلس ومنبر) : مقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : معظم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنا الحَرْبُ وإنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجالَ الشَّرْقِ أنْ يَفْخَرُوا
أَنَى على الشَّرْقِ حِينٌ إذا * ما ذُكِرَ الأَحْياءُ لا يُذْكَرُ
ومَرَّ بالشَّرْقِ زَمانٌ وَمَا * يَمُرُّ بالبالِ ولا يَخْطِرُ
حتّى أعادَ (الصُّفْرُ) أيّامَه * فانتَصَفَ الأَسْوَدُ والأَسْمَرُ
فرَحْمَةُ اللهِ على أُمَّةٍ * يَرْوِي لها التاريخُ ما يُؤْثَرُ (١)

الى الامبراطورة أوجيني (٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى هذه الامبراطورة ، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل فى فندق سافواى ببورسعيد ، ومجيئها قبل ذلك فى سنة ١٨٦٩ فى افتتاح قناة السويس ، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يومُ (القَنَالِ) يا رَبَّةَ التَّا * جِ ويا شَمْسَ ذٰلِكَ المِهْرَجانِ ؟ (٣)
أَيْنَ مُجْرِي القَنالِ أَيْنَ مُمِيتُ الـ * ـمالِ أَيْنَ العَزِيزُ ذُو السُّلْطانِ ؟ (٤)

---

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر ، يحسر عليها ويندب ما ضيا .

(٢) ولدت أوجيني فى غرناطة فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفى ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث ، وكانت فيمن حضر الى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، وقد أنفق الخديوى اسماعيل باشا فى استقبالها الكثير من المال ، وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا الى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ، وبها ماتت فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى ، وإماتة المال : كناية عن الإسراف والاتساع فى البذل .

أين هارونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشـ * ـبالِ رَبُّ القُصورِ رَبُّ القِيانِ؟ (١)

أين لَيْثُ الجَزيرةِ (ابنُ عَلِيٍّ) * واهِبُ الألْفِ مُكْرِمُ الضِّيفانِ؟ (٢)

أين ذا القَصْرُ بالجَزيرةِ تَجْرِي * فيه أرْزاقُنا وتَحْبُو الأمانِي؟

فيه للنَّحْسِ كَوْكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ * ـرِ وللسَّعْدِ كوكبٌ مُتَوانِي (٣)

قد جَرَى النِّيلُ تحتَه بخُشُوعٍ * وانكسارٍ وهابَهُ الفَتَيانِ (٤)

كنتَ بالأمسِ جَنَّةَ الحُورِ يا قَصْـ * ـرُ فأصْبَحْتَ جَنَّةَ الحَيَوانِ

خَطَرَ اللَّيْثُ فى فِنائِكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحًا لِلحِسانِ (٥)

وعَوَى الذِّئْبُ فى نَواحِيكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَعْقِلًا لِلْأمانِ (٦)

وحَباكَ الزُّوّارُ بالمالِ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَصْدَرَ الإحْسانِ (٧)

كنتَ تُعْطِى، فمالَكَ اليَوْمَ تُعْطَى * أينَ بانِيكَ؟ أينَ رَبُّ المَكانِ؟

إنْ أطاقَتْ بكَ الخُطوبُ فهٰذِى * سُنَّةُ الكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمانِ

---

(١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف، وشبه به إسماعيل فى ترفه وجاهه وسعة سلطانه، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات .

(٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذى صار حديقة الحيوان، كما سيشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن على، لأنه حفيد محمد على .

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان ما يزول غضبه، واذا أقبل طال إقباله، فكأنه فى غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب، وفى رضاه كوكب سعد طويل الإقامة، بطىء السير .

(٤) الفتيان : الليل والنهار؛ يريد الدهر .

(٥) الفناء : الساحة .

(٦) معقل للسان، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه .

(٧) حباه : أعطاه . يشير إلى ما يدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان .

رُبَّ بانٍ نَأَى، ورُبَّ بِناءٍ * أَسْلَمَتْه النَّوَى إلى غيرِ بانِي (١)

تلك حالُ الإيوانِ يا رَبَّةَ الدَّا * جِ فما حالُ صاحِبِ الإيوانِ؟ (٢)

قد طَواهُ الرَّدَى ولو كان حَيًّا * لَمَشَى فى رِكابِكِ الثَّقَلانِ (٣)

وتولَّتْ حِراسَةَ المَوْكِبِ الأَسْـ * ـنَى نجومُ السَّماءِ والنَّيِّرانِ (٤)

إن يكن غابَ عَنْ جَبِينِكِ تاجٌ * كان بالغَرْبِ أَشْرَفَ التِّيجانِ

فلقد زانَكِ المَشِيبُ بتاجٍ * لا يُدانيه فى الجَلالِ مُدانِي

ذاكَ مِنْ صَنْعَةِ الأنامِ وهٰذا * مِن صَنِيعِ المُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ

كنتِ بالأمْسِ ضَيْفَةً عندَ مَلْكٍ * فَأَنْزِلِي اليومَ ضَيْفَةً فى خانِ (٥)

وأَعِدِّينا على القُصُورِ، كِلانا * غَيَّرَتْه طَوارِئُ الحِدْثانِ (٦)

---

(١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بانى الدار ويخلفه عليها من لم يبنها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو فى الأصل الصفة العظيمة ؛ أعجمى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى ما كان أعده لها اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م، فى مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى، من السناء، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الحانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل فى قصر ملك أصبحت تنزل فى الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التقصير . والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوائب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى فندق (الكونتنتال) فى مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أيُحْصِى مَعانِيكَ القَرِيضُ المُهَذَّبُ * على أنّ صَدْرَ الشِّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ

لقد مَكَّنَ الرَّحْمٰنُ فى الأَرْضِ دَوْلَةً * لعُثمانَ لا تَعْفُو ولا تَتَشَعَّبُ (١)

بَنَاها فظَلَّتْها الدَّرارِى مَنَازِلًا * لِبَدْرِ الدُّجَى تُبْنَى وللسَّعْدِ تُنْصَبُ (٢)

وقامَ رِجالٌ بالإمامَةِ بَعْدَه * فزادُوا على ذَاكَ البِناءِ وطَنَّبُوا (٣)

وَرَدُّوا على الإسْلامِ عَهْدَ شَبابِه * ومَدُّوا له جاهًا يُرَجَّى ويُرْهَبُ

أُسُودٌ على البُسْفُورِ تَحْمِى عَرِينَها * وتَرْعَى نِيامَ الشَّرقِ والغَرْبُ يَرْقُبُ (٤)

لها وَثَباتٌ تحت ظِلِّ هِلالِها * كما مَرَّ سَهْمٌ أو كما انْقَضَّ كَوْكَبُ (٥)

إذا راعَها مَسٌّ مِنَ الضَّيْمِ خِلْتَها * كَمَنْ راعَه بالمَسِّ سِلكٌ مُكَهْرَبُ (٦)

وإنْ هَزَّها ذاكَ الهِلالُ لحادِثٍ * رأيتَ قَضاءَ اللهِ يَمْشِى ويَرْكَبُ (٧)

إذا ضاءَتِ الأَحْسابُ يومًا لمُعْرِقٍ * فعُثمانُ خَيْرُ الفاتِحِينَ لهم أَبُ (٨)

---

(١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ٦٩٩ هـ ، وتوفى سنة ٧٢٦ هـ . وتعفو : تندثر وتمحى . وتتشعب : تتفرق .

(٢) الدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية البياض ، الواحد درى .

(٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه متنة وقوة . وأصل التطنيب : شد الخيمة بالأطناب ، وهى الحبال .

(٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رايتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفزعها . (٧) يشير بقوله « يمشى ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذى له عرق وأصل فى الكرم .

وإنْ تَهَ بالأَبْنَاءِ والبَأسِ والنَّدَى * فأَوْلَى الوَرَى بالتِّيهِ ذاكَ المُعَصَّبُ (١)

فهٰذا سُلَيْمانٌ وقانُونُ عَصْرِهِ * على صَفَحاتِ الدَّهْرِ بالتِّبْرِ يُكْتَبُ (٢)

وذَاكَ الذى أَجْرَى السَّفِينَ على الثَّرَى * وسارَ له فى البَرِّ والبَحْرِ مَرْكَبُ (٣)

عَلى بابِهِ العالِي هُنَالِكَ تَألَّقَتْ * سُطورٌ لأَقْلامِ الجَلالَةِ تُنْسَبُ (٤)

هُنَا فَاخْفِضُوا الأَبْصارَ عَرْشُ مُحَمَّدٍ * هُنا الفاتِحُ الغازِي الكَمِيُّ المُدَرَّبُ (٥)

وما كانَ مِنْ (عَبْدِ المجيدِ) إذ انْتَمَى * بأَكْتافِهِ (كُوشُوطُ) والخَطْبُ غَيْهَبُ (٦)

(١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانونى ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانونى لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .

(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التى اتبعها محمد الفاتح فى مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها الى القرن الذهبى . (٤) تألقت : أضاءت ولمعت . (٥) الكمى : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالذهاب لفتح القسطنطينية . وفى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفى فجأة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .

(٦) الغيهب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادى والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفى سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذى بعده إلى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، ما بين بولونيين ومجريين ، التجأوا إلى البلاد العثمانية ليتستروا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن ناهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدى النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشبة فى بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور فى هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده فى ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب .

يُنادِيهِمُ : أَمَا تَرِيلِي فَدُونَهُ * حَيَاتِي ، وَأَمَّا صَارِمِي فَمُشَطَّبُ (١)

فَإِنْ كَانَتِ الحُسْنَى فَإِنِّي سَمَاؤُهَا * وَإِنْ كَانَتِ الأُخْرَى فَشُدُّوا وَجَرِّبُوا

كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقُرُّونَ فِي الذُّرَا * وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الغَرْبِ تَشْقَى وَتُنْكَبُ (٢)

فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا * وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسْرًى وَمَسْرَبُ (٣)

فَكَانَ أَمَانَ القَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقٌ * فَأَضْحَى امْتِيَازَ القَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ (٤)

يَقُولُونَ : فِي هٰذِي الرُّبُوعِ تَعَصُّبٌ * وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعَصُّبُ؟

فَيَا شَرْقُ إِنَّ الغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا * فَفِيهِ مِنَ الصَّهْبَاءِ طَبْعٌ مُذَوَّبُ (٥)

— تَخَفُّ بِأَسْهَا فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي * وَتَخِفُّ ضَعْفَهَا فِي الكَأْسِ وَالكَأْسُ تُطْرِبُ

وَيَا غَرْبُ إِنَّ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ * وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ القَضَاءِ فَيَرْسُبُ (٦)

أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَنَّمَا * عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ) (٧)

---

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذى فيه شطب ، وهى الخطوط والطرائق التى فى نصله .

(٢) الذرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهى المكان المرتفع .

(٣) الضمير فى «طلبوا» يعود على قوله «أعداؤهم» فى البيت السابق . ومنهم ، أى من آل عثمان . والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد «بالقوم» : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم فى بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . (٦) يطفو : يطو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل فى الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

حادثة دنشـــواى[1]

[نشرت فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٦ م]

أيُّها القائمُونَ بالأمْرِ فينا * هَـلْ نَسِيتُمْ وَلاءَنا والـوِدادَا[2]
خَفَّضُـوا جَيْشَكُمْ وَنَامُـوا هَنِيئا * وابْتَغُـوا صَيْدَكُمْ وجُوبُوا البِلادا[3]
وإذا أعْوَزَتْـكُمُ ذاتُ طَـوْقٍ * بين تِلْك الرُّبَا فَصِيـدُوا العِبـادا[4]
إنّمـا نَحْنُ والحَمَامُ سَـواءٌ * لَمْ تُغـادِرْ أَطْـوَاقُنا الأَجْيادا[5]
لا تَظُنُّـوا بِنـا العُقُـوقَ ولَكِنْ * أَرْشِـدُونا إذا ضَـلَلْنا الرَّشادا
لا تُقِيـدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيـلٍ * صادَتِ الشمسُ نَفْسَـهُ حِينَ صَادا[6]
جاءَ جُهّـالُنا بأَمْـرٍ وجِئْـتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْـوَةً واشْتِدادا

---

(١) فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز ؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة .

(٢) الخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها .

(٥) يريد « بالأطواق » فى هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد .

(٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما تقرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزى كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَقِصاصًا أَرَدْتُمُ أَمْ كِيَادَا؟

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَنُفُوسًا أَصَبْتُمُ أَمْ جَمَادَا؟

لَيْتَ شِعْرِي أَتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْـ * ـتِيشِ) عادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونَ) عَادَا؟ (١)

كيف يَحْلُو مِنَ القَوِيِّ التَّشَفِّي * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إليه القِيَادَا؟

إنَّها مُثْلَةٌ تَشُفُّ عن الغَيْـ * ـظِ ولَبْسًا لِغَيْظِكُمْ أَنْدَادَا (٢)

أَكْرِمُونا بِأَرْضِنا حيثُ كُنْتُمْ * إنَّما يُكْرِمُ الجَوادُ الجَوادَا

إنَّ عِشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ خَمْسٍ * عَلَّمَتْنَا السُّكُونَ مَهْمَا تَمَادَى (٣)

أُمَّةُ النِّيلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعادِي * مَنْ رَماها وأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى (٤)

لَيْسَ فِيها إلَّا كَلامٌ وإلَّا * حَسْرَةٌ بَعْدَ حَسْرَةٍ تَتَهَادَى

* * *

أَيُّها المُدَّعِي العُمُومِيُّ مَهْلًا * بَعْضَ هٰذا فقد بَلَغْتَ المُرَادَا (٥)

قد ضَمِنَّا لك القَضاءَ بِمِصْرٍ * وضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الإسْعَادَا (٦)

---

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم فى اضطهاد العرب فى اسبانيا فى آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها فى سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الرومانى المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب اليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها؛ فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر الى رواية تمثل فى ملهى من الملاهى. (٢) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة: السنة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومى: ابراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير الى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الانجليز فى هذه الحادثة.

فإذا ما جَلَسْتَ للحُكْمِ فاذكُرْ * عَهْدَ (مِصْرٍ) فقد شَفَيْتَ الفُؤادَا

لا يَجَرَى النِّيلُ فى نَواحِيكِ يا (مِصْـ * ـرُ) ولا جادَكِ الحَيا حيثُ جادا (١)

أنتِ أَنْبَتِّ ذلكَ النَّبْتَ يا (مِصْـ * ـرُ) فأَضْفَى عليكِ شَوْكًا قَتادَا (٢)

أنتِ أَنْبَتِّ ناعِقًا قامَ بالأَمْـ * ـسِ فأَدْمَى القُلُوبَ والأَكْبادَا (٣)

إيهِ يا مِنْذَرَ القَضاءِ ويا مَنْ * سادَ فى غَفْلَةِ الزَّمانِ وَشَادَا (٤)

أنتَ جَلَّدْتَنا فلا تَنْسَ أَنَّا * قد لَبِسْنا على يَدَيْكَ الحِدادَا

أستقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواى (٥)

[شرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) هل أتاكَ حَدِيثُنا * فالشَّرْقُ رِيعَ له وضَجَّ المَغْرِبُ (٦)

أَهْلًا بساكِنِكَ الكريمِ ومَرْحَبًا * بعدَ التَّحِيَّةِ إنَّنى أَتَعَتَّبُ (٧)

نَقَلَتْ لنا الأَسْلاكُ عنكَ رِسالَةً * باتَتْ لها أَحْشاؤُنا تَتَلَهَّبُ

---

(١) الحيا : المطر . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر ، يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرّت بهم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى العموى فى هذه القضية . والنعيق (بالعين المهملة ، وفى كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح) : صياح الغراب . (٤) المنذر : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التى وقعت فى هذا البلد (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالبناء للمجهول) : من الروع ، وهو الفزع . يخاطب فى هذا البيت القصر مريدا صاحبه . (٧) التعتب ، هو تواضع الموجدة ، ويخاطبة المدنيين أخلاهم طالبين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض .

ماذا اقولُ وأنتَ أصدقُ ناقلٍ * عنّا ولكنّ السّياسةَ تكذبُ (١)

علّمتنا معنى الحياةِ فما لنا * لا نشترئبُ لها وما لكَ تغضبُ (٢)

أنقمتَ منّا أنْ نُحسّ ؟ وإنما * هذا الذى تدعوهُ إليه وتندبُ (٣)

أنتَ الّذى يُعزَى إليه صلاحُنا * فيما تُقرّرُه لديكَ وتكتبُ (٤)

إنْ ضاقَ صدرُ النّيلِ عمّا هالَه * يومَ الحمامِ فإنّ صدرَكَ أرحبُ (٥)

أوَكلّما باحَ الحزينُ بأنّةٍ * أمسَتْ إلى معنى التّعصّبِ تُنسَبُ ! (٦)

رفقًا عميدَ الدّولتينِ بأمّةٍ * ضاقَ الرّجاءُ بها وضاقَ المذهبُ (٧)

رفقًا عميدَ الدّولتينِ بأمّةٍ * ليستْ بغيرٍ ولائها تتعذّبُ

إنْ أرهقوا صيّادَكمْ فلعلّهمْ * للقُوتِ لا للمسلمينَ تعصّبوا (٨)

ولربّما ضنّ الفقيرُ بقُوتِه * وسخا بمهجتِه على مَنْ يغصبُ (٩)

---

(١) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطعن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يريدون جميلا . (٢) تشرئب لها : تتطلع إليها . والاشرئباب (فى الأصل) : مدّ العنق للنظر . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه .

(٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر فى تقريراته من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة .

(٦) الأنة : من الأنين ، وهو التأوه . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين فى مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى . (٧) عميد الدولتين ، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . ويريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هنالك .

(٩) ضن : بخل . وسخا بمهجته ... الخ ، أى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا الى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أبراج القمح هنالك .

فى (دِلْشِـواىَ) وأنتَ عنّـا غائِبٌ * لَعِبَ القضاءُ بنـا وعزَّ المَهْـرَبُ

حَسْـبُ النُّفُوسَ مِنَ الحَمامِ بَدِيلَةً * فتَسـابَقُوا فى صَيْدِهِنَّ وصَـوَّبُوا (١)

نُكِبُوا وأقفرتِ المَنـازِلُ بَعْـدَهُمْ * لو كنتَ حاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا

خَلَّيْتَهُـمْ والقاسِطُونَ بمَرْصَـدٍ * ومِـياطُهُمْ وحِبالُهُـمْ تَتَأَهَّبُ (٢)

جُـلِدُوا ولـو مَنَّيْتَهُمْ لتَعَلَّقُـوا * بحِبـالِ مَنْ شُنِقُوا ولَمْ يَتَهَيَّبُوا (٣)

شُـنِقُوا ولَوْ مُنِحُوا الخِيـارَ لأَهَّلُوا * بلَظَى سِياطِ الجـالِدِينَ ورَحِّبُـوا (٤)

يَتَحاسَـدُونَ على المَمـاتِ، وكأْسُـه * بَيْنَ الشِّفاهِ وطَعْمُهُ لا يَعْـذُبُ

مَوْتانِ : هٰـذا عاجِـلٌ مُتَنَمِّرٌ * يَرْنُـو، وهٰـذا آجِـلٌ يَتَرَقَّبُ (٥)

والمُسْتَشارُ مُكابِـرٌ بِـرِجالِهِ * ومُعاجِـزٌ ومُناجِـزٌ ومُحَـزِّبُ (٦)

يَخْتالُ فى أَثْمـانِهـا مُتَبَسِّـمًا * والدَّمْـعُ حَـوْلَ رِكابِهِ يَتَصَبَّبُ

---

(١) يقال : صوّب السهم نحو الرمية (بتشديد الياء)، إذا سدّده .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق، قال الله تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) . والمرصد : المرقب .

(٣) منيتهم، أى خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب .

(٤) أهلوا ورحبوا، أى قالوا : أهلا ومرحبا . ومعنى البيتين : أن كلا من جلد وشنق رأى فى عذابه من الشدة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه . واللظى : النار؛ وقيل : لهبها .

(٥) المتنمر : الغاضب، تشبيها له بالنمر، لأن من عادته ألا يلقاك دائما إلا متنكرا غضبان . ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «بالمستشار» هنا : المستر بوند الإنجليزى، وهو من قضاة المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى . والمعاجز : من عاجزت الرجل، اذا أتيت بما يجعله عاجزا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومحزب، أى مفرق أعوانه : فبعضهم يتولى أمر الجلد، والبعض يتولى أمر الشنق ... الخ .

طاحوا بأربعة (١) فأردوا خامسا * هو خير ما يرجو العميد ويطلب

حب يحاول غرسه في أنفس * يحنى بمغرسها الثناء الطيب

كن كيف شئت ولا تكل أرواحنا * للستشار فإن عدلك أخصب

وأفض على (بنيد) إذا ولي القضا * رفقا يهش له القضاء ويطرب

قد كان حولك من رجالك نخبة * ساسوا الأمور فدربوا وتدربوا

أقصيتهم (٢) عنا وجئت بفتية * طاش الشباب بهم وطار المنصب

فاجعل شعارك رحمة ومودة * إن القلوب مع المودة تكسب

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هي أمة تلهو وشعب يلعب

واستبق غفلتها ونم عنها تنم * فالناس أمثال الحوادث قلب (٣)

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧ م]

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت * حواشيه حتى بات ظلما منظما (٤)

تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى * وأنت أصبح المصري حرا منعما (٥)

(١) طاحوا بأربعة : أي ذهبوا بنفوسهم . وأردوا : أهلكوا . ويريد «بالخامس» : الحب المذكور في البيت الآتي .

(٢) أقصيتهم : أبعدتهم . وطار المنصب : أي خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم .

(٣) قلب : أي متقلبون لا يثبتون على حال واحدة . والذي وجدناه في كتب اللغة أن القلب : صفة للفرد أي المتقلب كيف شاء ، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ ، ومنه قول الشاعر :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

(٤) الحواشي : النواحي . وتهذيبها : إصلاحها .

(٥) تمن : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية . ويشير الى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقريراته من صلاح حال مصر ورقيها بفضل الإنجليز .

أَعِدْ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وسُخْرَةً * فإنّي رأيتُ المَنَّ أنكى وآلَمَا (١)

عَمِلْتُمْ على عِزِّ الجمادِ وذُلِّنا * فأغْلَيْتُمُ طِينًا وأرْخَصْتُمُ دَما

إذا أخْصَبَتْ أرضٌ وأجْدَبَ أهْلُها * فلا أطْلَعَتْ نَبْتًا ولا جادَها السَّما (٢)

تَهَشُّ الى الدِّينارِ حتّى إذا مَشَى * به رَبُّه للسوقِ ألْفاهُ دِرْهَما (٣)

فلا تَحْسَبوا فى وَفْرَةِ المالِ لَمْ تُفِدْ * مَتاعًا ولم تَعْصِمْ من الفَقْرِ مَغْنَما

فإنّ كثيرَ المالِ والخَفْضُ وارِفٌ * قليلٌ إذا حَلَّ الغَلاءُ وخَيَّما (٤)

وداع اللّورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضحك آراء الناس فى سياسته

[نشرت فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٧ م]

فَتَى الشِّعْرِ هٰذا مَوْطِنُ الصِّدْقِ والهُدَى * فلا تَكْذِبِ التّاريخَ إنْ كُنْتَ مُنْشِدَا (٥)

لقد حانَ تَوْدِيعُ العَمِيدِ وإنّه * حَقِيقٌ بتَشْيِيعِ المُحِبِّينَ والعِدَا (٦)

---

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السما أى نزل عليها المطر. (٣) هش اليه: ارتاح وبش ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار يزل الى قدر الدرهم فى الشراء. (٤) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا.

(٥) فتى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية فى مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما، فقد حضر اليها فى سبتمبر سنة ١٨٨٣ م. وتركها فى سنة ١٩٠٧ م. وحقيق: جدير.

فودِّعْ لنا الطَّوْدَ الذى كان شامخًا (١) * وشَيِّعْ لنا البَحْرَ الذى كانَ مُزْبِدا

وزُرْهُ عَنَّا بالكَرامَةِ كلِّها * وإنْ لم يَكُنْ بالباقياتِ مُزَوَّدَا

فلم لا نَرَى الأهرامَ يا نِيلُ مُيِّدًا (٢) * وفِرْعَوْنُ عن وادِيكَ مُرْتَحِلٌ غَدا؟

كأنَّك لم تَجْزَعْ عليه ولَمْ تَكُنْ (٣) * تَرَى فى حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْنًا ولا جَدَا

سلامٌ ولو أنا نُسِيءُ إلى الأُلَى * أَساءُوا إلينا ما مَدَدْنَا لهم يَدا

سَنُطْرِى أَيادِيكَ التى قد أَفَضْتَها (٤) * علينا فلَسْنا أُمَّةً تَجْحَدُ اليَدَا

أَمِنَّا فلَمْ يَسْلُكْ بنا الخَوْفُ مَسْلَكًا * ونِمْنا فلَمْ يَطْرُقْ لنا الدَّهْرُ مَرْقَدا

وكنتَ رَحِيمَ القَلْبِ تَحْمِى ضَعِيفَنا * وتَدْفَعُ عنَّا حادِثَ الدَّهْرِ إنْ عَدا

ولولا أَسًى فى (دِنْشَوايَ) ولَوْعَةٌ (٥) * وفاجِعَةٌ أَدْمَتْ قُلوبًا وأَكْبُدَا

ورَمْيُكَ شَعْبًا بالتَّعَصُّبِ غافِلًا (٦) * وتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِىَّ غِرًّا مُجَرَّدَا

---

(١) الطود : الجبل العظيم . والشامخ : المرتفع . والمزبد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم فى رسوخه فى السياسة وعلو شأنه ، كما شبهه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .

(٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت . (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نطرى : نمدح . والأيادى : النعم . وأفضتها : أجزيتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى مآثر اللورد فى مصر ، من نشر الأمن فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .

(٥) الأسى : الحزن . وانظر التعريف بحادثة دنشواى (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .

(٦) رميك ، أى اتهامك . والغر : الذى لا تجربة له بالأمور لقصر نظره . ومجردا ، أى غير مزوده بأسباب النهوض والجلد .

لَذُنَا أَمَنِّ يومَ الوَداعِ لأَنَّنا * نَرَى فِيكَ ذاكَ المُصْلِحَ المُتَوَدِّدَا

تَشَعَّبَتِ الآراءُ فِيكَ فقائلٌ * أَفادَ الغِنَى أَهْلَ البِلادِ وأَسْعَدا

وكانت له فى المُصْلِحِين سِياسَةٌ (١) * تَرَخَّصَ فيها تارَةً وتَشَدَّدا

رأَى العِزَّ كلَّ العِزِّ فى بَسْطَةِ الغِنَى (٢) * فحَارَبَ جَيْشَ الفَقْرِ حتّى تَبَدَّدا

وأَمْتَعَكُمْ بالنِّيلِ فهو مُبارَكٌ (٣) * على أَهْلِه، خِصْبًا وَرِيًّا ومَوْرِدا

وسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ القَوْلِ عِنْدَ ما (٤) * رَأَى القَوْلَ فى أَسْرِ السُّكُوتِ مُقَيَّدا

وآخَرَ لَمْ يَقْصُرْ على المالِ هَمَّه (٥) * يَرَى أَنَّ ذاكَ المالَ لا يَكْفُلُ الهُدَى

فلا يَحْمَدِ الإِثْراءَ حتّى يَزِينَه (٦) * بِعِلْمٍ، وخيرُ العِلْمِ ما كانَ مُرْشِدا

يُنادِيكَ قد أَزْرَيْتَ بالعِلْمِ والحِجَا (٧) * ولَمْ تُبْقِ للتَّعْلِيمِ بالرُّدِّ مَعْهَدا

وأَنَّكَ أَخْصَبْتَ البِلادَ تَعَمُّدًا * وأَجْدَبْتَ فى مِصْرَ العُقُولَ تَعَمُّدا

قَضَيْتَ على أُمِّ اللُّغاتِ وإِنَّه (٨) * قَضاءٌ علينا أو سَبِيلٌ إلى الرَّدَى

---

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سعته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت فى عهد اللورد كرومر . (٤) سنّ : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يحبس . وهمه ، أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية . ويشير الى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية . والردى : الهلاك .

ووافَيْتَ والقُطْرانِ فى ظِلِّ رايَةٍ * فما زِلْتَ (بالسُّودانِ)[1] حتّى تَمَرَّدَا

فطاحَ كما طاحَتْ (مُصَوَّعُ) بَعْدَه * وضاعَتْ مَساعِينا بأَطْماعِكُمْ سُدَى[2]

حَجَبْتَ ضِياءَ الصُّحْفِ عن ظُلُماتِه * ولَمْ تَسْتَقِلْ حتّى حَجَبْتَ (المُؤَيِّدا)[3]

وأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الوَداعِ مَغامِزًا * رأَيْنا جَفاءَ الطَّبْعِ فيها مُجَسَّدا[4]

غَمَزْتَ بها دِينَ النَّبِيِّ وإِنَّنا * لَنَغْضَبُ إِنْ أَغْضَبْتَ فى القَبْرِ (أَحْمَدا)

يُناديكَ أينَ النائِبُونَ بعَهْدِكُمْ * وأَيُّ بِناءٍ شامِخٍ قد تَجَدَّدا[5]

فما عَهْدُ (إسماعيلَ) والعَيْشُ ضَيِّقٌ * بأَجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سالَ عَسْجَدا[6]

يُناديكَ وَلَّيْتَ الوِزارةَ هَيْئَةٌ * مِنَ الصُّمِّ لَمْ تَسْمَعْ لأَصْواتِنا صَدَى[7]

فلَبِّسْ بها عندَ التَّشاوُرِ مَنْ فَتًى * أَبِيٍّ إذا ما أَصْدَرَ الأَمْرَ أَوْرَدَا ؟

---

(١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » : الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية التى أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدى ، حتى استفحل أمره وانتشرت دعوته ، وتألبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوع : ثغر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة انجلترا .

(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامز : المطاعن ؛ ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الأخير الذى سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر ... إلخ » .

(٦) العسجد : الذهب الخالص .

(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

بِرَبِّكَ ماذا صَدَّنا ولَوَى بِنا * عن القَصْدِ إنْ كان السَّبِيلُ مُمَهَّدا؟ (١)

أشَرْتَ براي فى كِتابِكَ لم يَكُنْ * سَدِيدًا ولكنْ كان مَهْمَا مُسَدَّدا (٢)

وحاوَلْتَ إعطاءَ الغَرِيبِ مَكانَهُ * تَجُرُّ علينا الوَيْلَ والذُّلَّ سَرْمَدَا (٣)

فياوَيْلَ مِصْرٍ يومَ تَشْقَى بنَدْوَةٍ * يَبِيتُ بها ذاكَ الغَرِيبُ مُسَوَّدا (٤)

أَلَمْ يَكْفِنا أنَّا سُلِبْنا ضِياعَنا * على حِينِ لم نَبْلُغْ مِنَ الفِطْنَةِ المَدَى (٥)

وزاحَمَنا فى العَيْشِ كلُّ مُمارِسٍ * خَبِيرٍ وكُنَّا جاهِلِينَ ورُقَّدا (٦)

وما الشَّرِكاتُ السُّودُ فى كلِّ بَلْدَةٍ * سِوَى شَرَكٍ يُلْقِى به مَنْ تَصَيَّدا

فهٰذا حَدِيثُ النَّاسِ والنَّاسُ أَلْسُنٌ * إذا قال هذا، صاحَ ذاكَ مُفَنِّدا (٧)

ولو كنتُ مِنْ أَهْلِ السِّياسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَّلْتُ لى رَأْيًا وبُلِّغْتُ مَقْصِدا

ولكنَّنى فى مَعْرِضِ القَوْلِ شاعِرٌ * أُضَافُ إلى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدا

فيأَيُّها الشَّيْخُ الجَلِيلُ تَحِيَّةً * ويأيُّها القَصْرُ المُنِيفُ تَجَلُّدا (٨)

لئن غابَ هٰذا اللَّيْثُ عنكَ لِعِلَّةٍ * لقد لَبِثَتْ آثارُه فيكَ شُهَّدا

---

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة فى مصر وولیت أمورها أكفاءها، فما بالنا نعرف عن القصد ونسير فى غير النهج .

(٢) المسدد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة . (٦) مارس الأمر : عالجه وزاوله . يشير فى هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن . (٧) مفندا : مكذبا مجهلا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذى كان يسكنه السيد .

استقبال السير غورست (١)

قالها فى استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر
يبث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

بَنَاتِ الشِّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودِى * فهٰذا يومُ شاعِرِكِ المُجِيدِ (٢)
أَطِلِّى وَاسْفِرِى ودَعِيهِ يُحْيِي * بِما تُوحِينَ أيّامَ الرَّشِيدِ (٣)
إذا ما جَلَّ قَدْرُكِ عَنْ هُبوطٍ * مُرِيهِ الى سَمائِكِ بالصُّعُودِ
وأَوْلِى ذلِكَ الفَانِي بَيَانًا * يَتِيهُ بِهِ على أَهْلِ الخُلُودِ
وحُلِّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرَيْهِ * يَلِنْ لِمُتافِهِ قاسِي الحَدِيدِ (٤)
فما أَنَا واقِفٌ بِرُسُومِ دارٍ * أَسائِلُها ولا كَلِفٌ بِرُودِ (٥)
ولا مُسْتَنْزِلٌ هِبَّةً بِمَدْحٍ * ولا مُسْتَحِثٌّ سِرَّ الوُعُودِ
ولٰكِنِّى وَقَفْتُ أَنُوحُ نَوْحًا * على قَوْمِى وأَهْتِفُ بالنَّشِيدِ
وأَدْفَعُ عنهمُ بَشَبَا يَرَاعٍ * يَصُولُ بِكُلِّ قافِيَةٍ شَرُودِ (٦)

---

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م ، وتوفى فى يوليه سنة ١٩١١ م . وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م الى سنة ١٩٠٤ م . وفى سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر .

(٢) بنات الشعر : معانيه وخواطره . ويريد «بالشاعر المجيد» : نفسه . (٣) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب) : كشفت عن وجهها . ويريد «بالرشيد» : هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف ؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان فى زمنه من الشعراء المجيدين . (٤) الاصغران : القلب واللسان .

(٥) رسوم الدار : آثارها . والكلف : المولع بالشىء الشديد الحب له . والرؤد (بالهمز وسهلت) : التأنية الحسنة . (٦) شبا اليراع : سن القلم . وقافية شرود ، أى سائرة ذائعة .

بَناتُ الشِّعْرِ إنْ هِيَ أَسْعَدَتْنى * شَكَوْتُ مِن العَمِيدِ الى العَمِيدِ (١)

ولَمْ أَجْحَدْ عَوارِفَه ولكنْ * رأَيتُ المَنَّ داعِيةَ الجُحُودِ (٢)

أَذِيقُونا الرَّجاءَ فقد ظَمِئْنا * بِعَهْدِ المُصْلِحِينَ الى الوُرُودِ (٣)

ومُنُّوا بالوُجود فقد جَهِلْنا * بِفَضْلِ وُجُودِكُمْ مَعْنَى الوُجودِ

إذا اعْلَوْلَى الصَّباحُ فلا تَلُمْنا * فإنَّ الناسَ فى جُهْدٍ جَهِيدِ (٤)

على قَدْرِ الأذَى والظُّلْمِ يَعْلُو * صِياحُ المُشْفِقِينَ مِن المَزِيدِ (٥)

جِراحٌ فى النفوسِ نَغَرْنَ نَغْرًا * وكُنَّ قد اندَمَلْنَ على صَدِيدِ (٦)

إذا ما هاجَهُنَّ أَسًى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرائرَ القَلْبِ الجَلِيدِ (٧)

الى مَنْ نَشْتَكِى عَنَتَ اللَّيالِى * الى (العَبّاس) أمْ (عَبْدِ الحَمِيدِ)؟ (٨)

ودُونَ حِماهُما قامَتْ رِجالٌ * تُرَوِّعُنا بأَصْنافِ الوَعِيدِ (٩)

---

(١) أسعدتنى : أعانتنى . وفى كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .

(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفى البيت تعريض بما كان يمنّ به الورد كرر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .

(٣) الخطاب فى «أذيقونا» للحلبيين . وفى قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .

(٤) اعلولى : علا .

(٥) المشفقون : الخائفون .

(٦) نغر الجرح : سال دمه . واندمل : التأم .

(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهى ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .

(٨) العنت : الأذى والمشقة .

(٩) روّعه : أخافه وأفزعه .

فما جئنا نطاولكم بجاه * يطولكم ولا ركني شديد (١)

ولا بثنا نعايركم بعلم * يبين به الغوي من الرشيد (٢)

ولكنا نطالبكم بحق * أضر بأهله نقض العهود (٣)

رمانا صاحب التقرير ظلما * بكفران العوارف والكنود (٤)

وأقسم لا يجيب لنا نداء * ولو جئنا بقرآن مجيد

وبشر أهل مصر باحتلال * يدوم عليهم أبد الأبيد (٥)

وأنبت في النفوس لكم جفاء * تعهده بمنهل الصدود (٦)

فأثمر وحشة بلغت مداها * وزكاها بأربعة شهود (٧)

قتيل الشمس أورثنا حياة * وأيقظ هاجع القوم الرقود (٨)

فليت (كرومرا) قد دام فينا * يطوق بالسلاسل كل جيد

---

(١) طاوله بجاهه : فاخره به . وطاله يطوله : علاه وارتفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » : القوة والمنعة . والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٢) نعايركم : نأتي بما يعجزكم . (٣) يريد «بالعهود» : وعود ساسة الإنجليز بالجلاء عن مصر .

(٤) صاحب التقرير، هو اللورد كرومر، وكان قد اتهم المصريين في أحد تقاريره التي كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم . والكنود : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد، أي أبد الدهر . (٦) المنهل : المطريشتد انصبابه .

(٧) يريد «بالشهود الأربعة» : من أعدموا في دنشواي، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم الصيد .

(٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزي الذي مات في حادث دنشواي بضربة الشمس، واتهم الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتيل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

ويُخِفُّ (مِصْرَ) آنًا بَعْدَ آنٍ * بِجُلُودٍ ومَقْتُولٍ شَدِيدِ

لِيَنْزِعَ هٰذه الأَكْفانَ عَنَّا * ويَبْعَثَ فى العَوالِمِ مِنْ جَدِيدِ

رَمَى (دارَ المَعارِفِ) بالرَّزايا * وجاءَ بكلِّ جَبّارٍ عَنِيدِ (١)

يُذِلُّ بِحَوْلِهِ ويَبِيدُهُ تِيهًا * ويَعْبَثُ بالنُّهَى عَبَثَ الوَلِيدِ (٢)

فَبَدَّدَ شَمْلَها وأَذالَ منها * وصاحَ بها : سَبِيلُكِ انْ تَبِيدِى (٣)

هَبُوا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنانًا * وأَقْدَرَكُمْ على نَزْعِ الحُقُودِ (٤)

وأَعْلَى مِنْ (غِلَادَسْتُونَ) رَأْيًا * وأَحْكَمَ مِنْ فَلاسِفَةِ (الهُنُودِ) (٥)

فإنّا لا نُطِيقُ له جِوارًا * وقد أَوْدَى بِنا أو كادَ يُودِى

مَلِلْنا طُولَ صُحْبَتِهِ وملَّتْ * سَوابِقُنا مِنَ المَشْيِ الوَئِيدِ (٦)

بِحَمْدِ اللهِ مُلْكُكُمُ كَبِيرٌ * وأَنتُمْ أَهلُ مَرْحَمَةٍ وَجُودِ

خُذُوه فَامْتِعُوا شَعْبًا سِوانا * بِهٰذا الفَضْلِ والعِلْمِ المُفِيدِ

---

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك ، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أذال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبيد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول فى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٩ م ، وكان من سامة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس النواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفى فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التى تجىء سابقة فى الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوئيد من المشى : البطىء منه .

إذا استوزرت فاستوزر علينا * فتى (كالفضل) او (كابن العميد)(١)

ولا تثقل مطاه بمستشار * يجيد به عن القصد الحميد(٢)

وفي الشورى بنا داء عهيد * قد استعصى على الطب العهيد(٣)

شيوخ كلما همت بأمر * زأرتم دونه زأر الأسود

لي بيضاء يوم الرأي هانت * على حمر الملابس والخدود(٤)

أترضى أن يقال — وأنت حر — * بأنك قين هاتيك القيود؟(٥)

وهل في دار ندوتكم أناس * بهذا الموت أو هذا الجمود؟(٦)

فنح غضاضة التأميز عنا * كفانا سائغ النبل السعيد

أرى أحداثكم ملكوا علينا * (بمصر) موارد العيش الرغيد(٧)

---

(١) الفضل ، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد المأمون في سنة ١٩٠ هـ وكان وزيرا للرشيد ، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولا يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل ، وزير ركن الدولة أبي علي بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور في سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، ومازال في وزارته محط رحال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظهر ، يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يشل أيديهم بمستشار (كذوب) .

(٣) العهيد : القديم الذي أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى في مصر عيوبا قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد «بالهي البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و «بحمر الملابس والخدود» : الانجليز . وكان مما تتميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .

(٥) القين : الحداد . (٦) دار ندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطاني . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التي قبله إلى ضعف رأي مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيهما أو رده . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضِقْنَا بهمْ وأيسكَ ذَرْعًا * وضاقَ بحملِهمْ ذَرْعُ البَرِيدِ

أكُلُّ موظَّفٍ منكمْ قَديرٌ * على التَّشريعِ فى ظِلِّ العَميدِ؟

فضَعْ حَدًّا لهمْ وانظُرْ إلينا * إذا أنصَفْتَنا نَظَرَ الوَدُودِ

وخَبِّرْهُمْ وأنتَ بنا خَبيرٌ * بأنَّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ (١) العَبيدِ

وأنَّ نُفُوسَ هٰذا الخَلْقِ تأبَى * لغَيْرِ إلٰهِها ذُلَّ السُّجُودِ

ووَلِّ أُمورَنا الأخيارَ مِنَّا * تَئِبْ بهمُ الى الشَّأوِ (٢) البَعيدِ

وأشرِكْنا مع الأخيارِ مِنكمْ * اذا جَلَسُوا لإيقامِ (٣) الحُدُودِ

وأسعِدْنا بجامعةٍ وشيِّدْ * لنا مِنْ مَجْدِ دَولَتِكَ المَشيدِ

وإنْ أنعَمْتَ بالإصلاحِ فابدأْ * بتِلْكَ (٤) فإنَّها بَيْتُ القَصيدِ

وفَرِّجْ أزمةَ الأمْوالِ عنَّا * بما أُوتيتَ مِنْ رأيٍ سَديدِ

وسَلْ عنها (اليَهودَ) ولا تَسَلْنا * فقد ضاقَتْ بها حِيَلُ (اليَهودِ)

إذا ما ناحَ فى (أُسْوانَ) بالِكْ * سَمِعْتَ أنينَ شالِكْ فى (رَشيدِ)

جميعُ النَّاسِ فى البَلْوَى سَواءٌ * بأدْنَى الثَّغرِ أو أعْلَى الصَّعيدِ

تَدارَكْ أُمَّةً بالشَّرْقِ أمْسَتْ * على الأيَّامِ عاثِرَةَ (٥) الجُدُودِ

---

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشأو : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهمزة كما فى هذا البيت ، والذى ورد « إقام » بدون ياء مصدر أقام .

(٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .

(٥) عاثرة الجدود : أى تاعسة الحظوظ .

To: www.al-mostafa.com

وأيّدَ مِصْرَ والسُّودانَ وأعْتَمْ * ثَناءَ القَوْمِ مِنْ بِيضٍ وسُودِ
وما أدْرِي وقد زَوَّدْتُ شِعْرِي * وظَنِّي فيكَ بالأَمَلِ الوَطِيدِ (١)
أجِئْتَ تَحُوطُنا وتَرُدُّ عَنّا * وتَرْفَعُنا إلى أوْجِ السُّعُودِ؟ (٢)
أمِ السِّرْدُ الذي أنْحَى عَلَيْنا * أتَى في ثَوْبِ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟ (٣)

تحيّة العام الهجرىّ

[سنة ١٣٢٧ هـ — يناير سنة ١٩٠٩ م]

أطَلَّ على الأكْوانِ والخَلْقُ تَنْظُرُ * هِلالٌ رآهُ المُسْلِمُونَ فكَبَّرُوا
تَجَلَّى لهُمْ في صُورةٍ زادَ حُسْنُها * على الدهرِ حُسْناً أنّها تَتَكَرَّرُ (٤)
وبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وجَبِينِهِ * وغُرَّتِهِ والناظِرِينَ مُبَشِّرُ
وأذْكَرَهُمْ يوماً أغَرَّ مُحَجَّلاً * به تُوِّجَ التاريخُ والسَّعْدُ مُسْفِرُ (٥)
وهاجَرَ فيهِ خيرُ داعٍ إلى الهُدَى * يَحُفُّ به مِنْ قُوَّةِ اللهِ عَسْكَرُ
يُماشِيهِ جِبْرِيلٌ وتَسْعَى وَراءَهُ * مَلائِكَةٌ تَرْعَى خُطاهُ وتَحْفِرُ (٦)

(١) الوطيد : الثابت القوى . و« بالأمل » متعلق بـ« زودت » . (٢) حاطه يحوطه : حفظه وتعهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .
(٤) تجلى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الخيل ؛ الأغر منها : ما كان فى وجهه بياض . والمحجل : ما كان البياض فى قوائمه . بالمسفر : المضيء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتحفر : تحرس .

بُشْراهُ بُرْهانٌ مِن اللهِ ساطِعٌ * هُدًى، وبُمْناه الكتابُ المُطَهَّرُ

فكانَ على أبْوابِ (مَكَّةَ) رَكْبُه * وفى (يَثْرِبَ)[1] أنوارُه تَتَفَجَّرُ

مَضَى العامُ مَيْمُونَ الشُّهورِ مُبارَكًا * تُعَدِّدُ آثارٌ له وتُسَطَّرُ

مَضَى غَيْرَ مَذْمومٍ فإنْ يَذْكُرُوا له * هَناتٍ فطَبْعُ الدَّهْرِ يَصْفُو ويَكْدُرُ[2]

وإنْ قِيلَ أَوْدَى بالأُلُوفِ أَجابَهُمْ * مُجِيبٌ: لقد أَحْيَا المَلايِينَ فانْظُرُوا[3]

إذا قِيسَ إِحْسانُ امْرِئٍ بإساءَةٍ * فأَرْبَى عليها فالإساءَةُ تُغْفَرُ[4]

ففِيهِ أَفاقَ النائمُون وقد أَتَتْ * عليهِمْ كأَهْلِ الكَهْفِ فى النَّوْمِ أَعْصُرُ[5]

وفى عالَمِ الإسْلامِ فى كلِّ بُقْعَةٍ * له أَثَرٌ باقٍ وذِكْرٌ مُعَطَّرُ

سَلُوا (التُّرْكَ) عمَّا أَدْرَكُوا فيه مِنْ مُنًى * وما بَدَّلُوا فى المَشْرِقَيْنِ وغَيَّرُوا

وإنْ لَمْ يَقُمْ إلَّا (نيازى) و(أَنْوَرٌ)[6] * فقد مَلَأَ الدُّنْيا (نيازى) و(أَنْوَرُ)

تَواصَوْا بصَبْرٍ ثمَّ سَلُوا مِنَ الجِجَا * سُيُوفًا وجَدُّوا جِدَّهُمْ وتَدَبَّرُوا[7]

---

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) الهنات : الهفوات اليسيرة التى تحتمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب التى هبت فى العام المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكتت على الذل والاستعباد مدة طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركى والفارسى والمصرى ، كما سيشير الشاعر إلى ذلك بعد . فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف .

(٦) نيازى وأنور : بطلان معروفان من أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد أبليا بلاء حسنا فى إعادة الدستور الى أمتهما .

(٧) تواصوا ، أى التراك . والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والجا : العقل . وجدوا جدهم ، أى اجتهدوا وثابروا .

فسادُوا وشادُوا للهلالِ مَنازِلاً * على هامِها سَعْدُ الكواكِبِ يُنْثَرُ (١)

تَجلَّى بها (عَبْدُ الحَمِيدِ) بوَجْهِه * على شَعْبِه والشاهُ خَزْيانُ يَنْظُرُ (٢)

سَلامٌ على (عَبْدِ الحَمِيدِ) وجَيْشِه * وأُمَّتِه ما قامَ فى الشَّرْقِ مِنْبَرُ

سَلُوا (الفُرْسَ) عَنْ ذِكْرَى أَيادِيهِ عِنْدَهُمْ * فقد كانَ فيه (الفُرْسُ) عُمْيًا فأَبْصَرُوا (٣)

جَلا لَهُمُ وَجْهَ الحياةِ فشاقَهُمْ * فبانُوا على أَبْوابِها وتَجَمْهَرُوا (٤)

يُنادُونَ أَنْ مُنِّى علينا بنَظْرَةٍ * وأَحْيِ قُلوبا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ (٥)

كِلانَا مَشُوقٌ والسَّبِيلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصْلِ لولا ذلكَ المُتَغَشْمِرُ (٦)

أَطِلِّى علينا لا تَخافِى فإنَّنا * بِسِرِّكِ أَوْفَى منه حَوْلًا وأَقْدَرُ (٧)

سَلامٌ عليكمْ أُمَّةَ (الفُرْسِ) إنَّكمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيَوْا كِرامًا وتَفْخَرُوا (٨)

ولا أُقْرِئُ (الشاهَ) السَّلامَ فإنَّه * يُرِيقُ دِماءَ المُصْلِحِينَ ويَهْدِرُ (٩)

وفيه هَوَى (عبدُ العَزِيزِ) وعَرْشُه * وأَخْنَى عليه الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدْبِرُ (١٠)

---

(١) الهام : الرؤوس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزى لأنه لم يعط أمة الدستور أسوة بالترك . (٣) أياديه ، أى أيادى العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما فى هذا البيت استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا والصواب : « وتجمروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أى تجمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتتفطر : تتشقق . (٦) المتغشمر : المتنمر الظالم ، يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نالها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذى يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية فى فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أى فى هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦هـ — ١٩٠٨م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراكش . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

ولا عَجَبٌ أَنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلَّكٍ * قَوائِمُـه عُـودٌ ودُفٌّ ومِزْهَـرُ (١)

فأَلْقَى إلى (عبدِ الحَفِيظِ) بتاجِه * ومَبـرٌّ على أَدْراجِـه يَتَعَثَّرُ (٢)

وقامَ بِأَمْـرِ المُسْلِمِينَ مُـوَفَّقٌ * على عَهْدِهِ (مُرّاكِشُ) تَتَحَضَّرُ

وفى دَوْلَةِ (الأَفْغانِ) كانتْ شُهورُه * وأَيّامُـه بالسَّعْدِ واليُمْنِ تَزْهَرُ (٣)

أَقامَ بِهـا والعُـودُ رَيّانُ أَخْضَـرٌ * وفارَقَهـا والعُـودُ فَيْنانُ مُثْمِـرُ (٤)

وعَـوَّذَها باللهِ مِنْ شَـرِّ طامِعٍ * إذا ما رَمَى (إدْوَرْدُ) أَوْ راشَ (قَيْصَرُ) (٥)

وفيه نَمَتْ فى (الهِنْدِ) للعِلْمِ نَهْضَـةٌ * أَرَى تَحْتَهـا سِـرًّا خَفِيًّـا سَيَظْهَرُ (٦)

فَتَجْرِى الى العَلْياءِ والمَجْدِ شَـوْطَها * ويُخْصِبُ فِيهـا كُلَّ جَـدْبٍ ويَنْضُرُ (٧)

وفيـه بَدَتْ فى أُفْـقِ (جاوَةَ) لَمْعَـةٌ * أَضاءَتْ لأَهْلِيهـا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا (٨)

فيالَيْتَـهُ أَوْلى (الجَـزائِرَ) مِنَّـةً * تُفَـكُّ لهـا تِلْكَ القُيُـودُ وتُكْسَرُ (٩)

(١) ثل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز بإعانة من الفنيين والمفتشات من مصر . (انظر الكلام على هذا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطنة مراكش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفى عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد فى ٢١ مايو سنة ١٩١١م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاى يوسف عن السلطنة فى سنة ١٩١٢م .

(٣) تزهر : تشرق وتضىء . (٤) الفينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد وكثرة الخير فيها . (٥) عوذها : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز . وراش السهم يريشه : ألصق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع فى ذهابه نحو الغرض . وقيصر : لقب ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقيصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضر ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . (٨) لمعة ، أى لمعة من شعاع الأمل . وبكر فلان الى الأمر : أتاه فى أول وقته وبادر إليه . (٩) يريد « بالقيود » فى هذا البيت : قيود الاستعباد والأسر التى قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وفى (تُونُس) الخَضْرَاءِ يالَيْتَه بَقِى * له أثراً فى لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذْكَرُ

وفيه سَرَتْ فى (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ * مُبارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ

خَبَتْ زَمَنًا حتّى تَوَهَّمْتُ أنَّها * تَجافَتْ عن الإيراءِ لولا (كُرُومَرُ)(١)

تَصَدَّى فأَوْراها وهَيْهات أنْ يَرَى * سَبِيلًا إلى إخْمادِها وهى تَزْفِرُ(٢)

مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يانِيلُ وانْقَضَى * ففِى (مِصْرَ) أيْقاظٌ على (مِصْرَ) تَسْهَرُ

وقد كان "مُرْفِينُ" الدَّهاءِ مُحَذِّرًا * فأَصْبَحَ فى أعْصابِنا يَتَحَذَّرُ(٣)

شَعَرْنا بحاجاتِ الحَياةِ فإنْ وَنَتْ * عَزائِمُنا عَنْ نَيْلِها كيفَ نُعْذَرُ؟

شَعَرْنا وأَحْسَسْنا وباتَتْ نُفُوسُنا * من العَيْشِ إلّا فى ذَرَا العِزِّ تَسْخَرُ(٤)

إذا اللهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّها * إلى المَوْتِ قَهّارٌ ولا مُتَجَبِّرُ

رِجالَ الغَدِ المأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى قادَةٍ تَبْنِى وشَعْبٍ يُعَمِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْعُو وداعٍ يُذَكِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْرِى وعِلْمٍ يُقَرِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى حِكْمَةٍ تُمْلَى وكَفٍّ تُحَرِّرُ

---

(١) خبت : سكنت وخمدت . وتجافت : تباعدت . و إيراء النار : إشعالها .

(٢) تصدى : تعرض . وتزفر ، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدى لنار الوطنية فى قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (بفتح الذال) : كنفه وظله .

رِجالَ الغَـدِ المَأمُولِ إنّا بحاجَـةٍ * إليكمْ فسُدُّوا النَّقصَ فينا وثَمِّرُوا(١)

رِجالَ الغَدِ المأمولِ لا تَتْرُكُوا غَدًا * يَمُرُّ مُرُورَ الأَمسِ والعَيشُ أغبَرُ

رِجالَ الغَـدِ المَأمُولِ إنّ بِلادَكُمْ * تُناشِـدُكُمْ باللهِ أنْ تتذكّرُوا

عليكمْ حُقـوقٌ لِلبِـلادِ أجَلُّها * تَعَهُّدُ رَوضِ العِلْمِ فالرَّوضُ مُقفِرُ

قُصارَى مُنَى أوطانِكُمْ أنْ تَرَى لَكُمْ * يدًا تَبْنِي مَجْـدًا ورَأْسًا يُفَكِّرُ(٢)

فكُونُوا رِجالًا عامِلِينَ أعِزَّةً * وصُـونُوا حِمَى أوْطانِكُمْ وتَحَـرَّرُوا

ويا طالِبِي الدُّسْتُورِ لا تَسْكُنُوا ولَا * تَبِيتُـوا على يَأْسٍ ولا تَتَضَجَّرُوا

أعِـدُّوا لَه صَـدْرَ المَكانِ فإنّنِي * أرَاهُ عـلى أبْوابِكُمْ يَتَخَطَّـرُ

فـلَا تَسْطِقُـوا إلّا صَـوابًا فإنّنِي * أخافُ عليكمْ أنْ يُقـالَ تَهَوَّرُوا(٣)

فـما ضاعَ حَقٌّ لم يَنَمْ عنـه أهْـلُهُ * ولا نالَهُ فِي العـالَمِينَ مُقَصِّـرُ

لقـد ظَفِـرَ الأتْرَاكُ عَدْلًا بِسُـؤْلِهِمْ * ونَحْنُ على الآثارِ لا شَكَّ نَظْفَرُ

هُمُ لهـمُ العـامُ القَـدِيمُ مُقَـدَّرٌ * ونَحْنُ لنـا العـامُ الجَـدِيدُ مُقَـدَّرُ

ثِقُـوا بالأَمِـيرِ القـائِمِ اليـومَ إنّه * بِكُمْ وبِمـا تَرْجُونَ أدْرَى وأخْبَرُ(٤)

فلا زَالَ مَحْرُوسَ الأَرِيكَةِ جالِسًا * على عَرْشِ (وادِي النِّيلِ) يَنْهَى ويَأْمُرُ

---

(١) ثمر للأمر : استمد له .

(٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال : قصاراك أن تفعل كذا ، أى بجهدك وغايتك وآخر أمرك .

(٣) تهوروا : وقعوا فى المكروه بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تواخذهم به القوانين .

(٤) الأمير ، هو عباس حلمى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثمانى

قالها فى ثورة الأتراك التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد[1] وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

لا رَعَى اللهُ عَهْدَها مِنْ جُدُودِ * كيفَ أمْسَيْتَ يابْنَ (عَبْدِ المَجِيدِ)[2]

مُشْبِعَ الخُوتِ مِنْ لُحُومِ البَرَايَا * ومُجِيعَ الجُنُودِ تحْتَ البُنُودِ[3]

كنتُ أبْكِى بالأمْسِ مِنْكَ فمالِى * بِتُّ أبكِى عليكَ (عبدَ الحميدِ)؟

فَرِحَ المُسْلِمُونَ قبلَ النَّصارَى * فيكَ قبلَ الدُّرُوزِ قبلَ اليَهودِ

شَمِتُوا كُلُّهُمْ وليس مِنَ الهِمَّةِ أنْ يَشْمَتَ الوَرَى فى طَرِيدِ

أنتَ (عبدُ الحميدِ) والتاجُ مَعْقُو * دٌ و(عبدُ الحميدِ) رَهْنَ القُيُودِ

خالِدٌ أنتَ رَغْمَ أنْفِ اللَّيالِى * فى كِبارِ الرجالِ أهْلِ الخُلُودِ

لكَ فى الذِّهْنِ — والكمالُ مُحالٌ — * صَفَحاتٌ ما بينَ بِيضٍ وسُودِ

حاوَلُوا طَمْسَ ما صَنَعْتَ وودُّوا * لو يُطِيقُونَ طَمْسَ خَطِّ الحَدِيدِ[4]

---

(١) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م ، وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م ، وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م ، وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م . (٢) الجدود : الحظوظ ؛ الواحد جد (بفتح الجيم وتشديد الدال) . (٣) يشير بقوله « مشبع الحوت » : الى من كان يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم فى مضيق البسفور . والبنود : الأعلام الكبيرة ؛ الواحد بند ، وهو فارسى معرب . ويشير بقوله « ومجيع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش وضيق ذات اليد . (٤) يريد الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة الذى أنشأه السلطان عبد الحميد ، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م ، واحتفل بافتتاحه فى سنة ١٩٠٨ م .

ذاكَ (عَبْـدَ الحميـدِ) ذُخْرُكَ عنـد اللهِ باقٍ إنْ ضـاعَ عِنْـدَ العَبيـدِ

أَكْرِمُـوهُ وراقِبُـوا اللهَ فى الشَّـيْـ * ـخِ ولا تُرْهِقُـوهُ بالتَّهْـديدِ (١)

لا تَخافُوا أَذاهُ فالشَّـيْخُ هـاوٍ * لَيسَ فيـه بَقِيَّـةٌ للصُّعـودِ

وَلِيَ الأَمْرَ ثُلْثَ قَـرْنٍ يُنـادى * بآسمِـه كلُّ مُسْلِمٍ فى الوُجـودِ

كلَّمـا قامَتِ الصَّـلاةُ دَعَى الدا * عِى (لعَبْـدِ الحَميـدِ) بالتَّأْبِيـدِ (٢)

فاسمُ هٰـذا الأَسِـيرِ قـد كان مَقْرُو * نًا بِذِكْـرِ الرَّسُـولِ والتَّوْحِيـدِ

بِتُّ أَخْشَى عليكُمُ أَنْ يَقُـولُوا * إنْ أَثِرْتُمْ مِنْ كامِنـاتِ الحُقـودِ (٣)

كانَ (عَبْـدُ الحَمِيـدِ) بالأَمْسِ فَرْدًا * فَغَـدًا اليـومَ أَلْفُ (عبدِ الحَمِيـدِ) (٤)

يا أَسِـيرًا فى (سَلْنِتِ هِيلِينَ) رَحِّبْ * بأَسِـيرٍ فى (سالُنِيـكَ) جَـدِيدِ (٥)

قُلْ لَهُ كَيْفَ زالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْـ * ـصِمْكَ إعْـدادُ عُـدَّةٍ أَوْ عَـدِيدِ (٦)

لَمْ تَصُنْكَ الجُنُـودُ تَفْـدِيكَ بالأَرْ * واحِ والمـالِ يا غَرامَ الجُنُـودِ

قُلْ له كَيْفَ كُنْتَ؟ كيفَ امتَلَكْتَ الـ * ـأَرْضَ؟ كيفَ انْفَرَدْتَ بالتَّمْجِيدِ؟

---

(١) أرهقه : أثقل عليه وظلمه . (٢) يريد «بالصلاة» : صلاة الجمعة . ويريد «بالداعى» : الخطيب . (٣) أثاره إثارة : هيجه . وكامنات الحقود : ما خفى منها . (٤) يقول لمن ولى الأمر من رجال تركيا : إن أثرتم دفائن الصدور ، وأسأتم التصرف فى الأمور ، تضاعف الظلم ، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد ، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد .

(٥) يريد «بالأسير فى سلنت هيلين» : نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدها المعروف ، وقد أسر فى جزيرة سانت هيلانة ، وظل بها أسيرا حتى مات ، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا . وسالونيك : مدينة معروفة بمقدونيا ، وكانت من أملاك الدولة العثمانية ، وهى الآن من أملاك اليونان ، وقد احتفل فيها السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه . (٦) لم يعصمك : لم يحفظك . والعدة : السلاح . والعديد : الكثرة .

ثَلَمْتَ العُرُوشَ عَرْشًا فَعَرْشًا * وصَبَغْتَ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ (١)

كُلَّمَا نِلْتَ غايَةً لَمْ تَنَلْها * هِمَّةُ الدَّهْرِ قلتَ : هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟

ضاقَتِ الأرضُ عَنْ مَداكَ فأَرْسَلْـ * ـتَ بطَرْفٍ إلى السَّماءِ عَتِيدِ (٢)

قُلْ لَه : جَلَّ مَنْ له المُلْكُ لا مُلْـ * ـكَ لغَيْرِ المُهَيْمِنِ المَعْبُودِ

أنتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حالًا * مِنْ أَسِيرِ الجَزِيرةِ المَكْمُودِ (٣)

وأَسِيرُ الأَقْفاصِ قد كان أَشْقَى * لو سَأَلْتَ الأَسْفارَ عَنْ (بايَزِيدِ) (٤)

كان (عبدُ الحميد) فى القَصْرِ أَشْقَى * منه فى الأَسْرِ والبَلاءِ الشَّدِيدِ

كان لا يَعْرِفُ القَرارَ بِلَيْلٍ * لا ولا يَسْتَلِذُّ طَعْمَ الهُجُودِ (٥)

حَذِرًا يَرْهَبُ الظَّلامَ ويَخْشَى * خَطْرَةَ الرِّيحِ أو بُكاءَ الوَلِيدِ

نَفَقٌ تحتَ طابِقِ الأَرْضِ أَخْفَى * فى تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الكَنُودِ (٦)

---

(١) ثلمت العروش ، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .

(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعد المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة : نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار : الكتب ، الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٧٦١ هـ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه عام ٧٩١ هـ . وتوفى فى سنة ٨٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد فى أسر تيمورلنك ملك التتار فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ هـ ، وحبسه إياه فى قفص حتى مات كمدا بعد حبسه بثمانية أشهر .

(٥) الهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : مرب فى الأرض له مخرج إلى مكان . ويشير إلى المواضع الخفية التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه : إظلامه . والكنود : الكفور . شبه ظلام المسارب التى كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

يُعْجِزُ الوَهْمَ عن تَلَمُّسِ ذاكَ الـ * ـبابِ بابِ الخَلِيفةِ المَنْكُودِ (١)

أَصَحِيحٌ ما قيلَ عَنْكَ وحَقٌّ * ما سَمِعْنا مِن الرُّواةِ الشُّهُودِ

أَنَّ (عبدَ الحَمِيدِ) قد هَدَمَ الشَّرْ * ـعَ وأَرْبَى على فِعالِ (الوَلِيدِ)؟ (٢)

إنْ بَرِيئًا وإنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى * يومَ تُجْزَى أَمامَ رَبٍّ شَهِيدِ

أَصَحِيحٌ بَكَيْتَ لَمَّا أَتَى الوَفْـ * ـدُ ونابَتْكَ رِعْشَةُ الرِّعْدِيدِ؟ (٣)

ونَسِيتَ الآباءَ والمَجْدَ والسُّؤْ * دُدَ والعِزَّ يا كَرِيمَ الجُدُودِ؟ (٤)

ما عَهِدْنَا المُلُوكَ تَبْكِي ولَكِنْ * عَلَّها نَزْوَةُ الفُؤادِ الجَلِيدِ (٥)

عَلَّها دَمْعَةُ الوَداعِ لِذاكَ الـ * ـمُلْكِ أَوْ ذِكْرَةٌ لِتِلْكَ العُهُودِ

غَسَلَ الدَّمْعُ عنكَ حَوْبَةَ ماضِيـ * ـكَ ووَقَّاكَ شَرَّ يَوْمِ الوَعِيدِ (٦)

شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِنْدَ البَرايا * لَيْسَ ذاكَ الشَّفِيعُ بالمَرْدُودِ

دَمْعُكَ اليومَ مِثْلُ أَمْرِكَ بالأَمْـ * ـسِ مُطاعٌ فى سَيِّدٍ ومَسُودِ (٧)

كانَ (عبدُ العَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنكَ فى يومِ خَلْعِهِ المَشْهُودِ (٨)

---

(١) يقول : أن هذا النفق خفى وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرف الطريق إلى بابه .

(٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه . والرعديد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .

(٧) يقول : إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر فى رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثانى والثلاثون منهم ، وهو أبن السلطان محمود الثانى . ولد عام ١٢٤٥ هـ ، وتولى الخلافة فى سنة ١٢٧٧ هـ ، وخلع فى سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفى فى السنة نفسها . وهو الذى زار مصر فى عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوى ، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارٍ وماتَ مَوْتَ الأُسُودِ (١)

ضَمَّ مِقْراضَهُ اليه ونادَى * دُونَ ذُلِّ الحياةِ قَطْعُ الوَرِيدِ (٢)

حَيِّ عَهْدَ الرَّشادِ يا شَرْقُ وابْلُغْ * ما تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمانٍ بَعِيدِ (٣)

قد تَوَلَّى (مُحَمَّدُ الخامسُ) المُلْ * كَ فأَعْظِمْ بتاجِهِ المَعْقُودِ

وتَجَلَّى فى مِهْرَجانٍ تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمانَ) فيه بالتَّقْلِيدِ (٤)

وقَفَ الدهرُ خاشِعًا إذ رَأَى السَّيْـ * ـفَيْنِ فى قَبْضَةِ العَزِيزِ المَجِيدِ (٥)

طَأْطِئِي للجَلالِ يا أُمَمَ الأَرْ * ضِ سُجُودًا، هٰذا مَقامُ السُّجُودِ (٦)

عَلِمَ اللهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشادٍ) * خَيْرُ فَأْلٍ يَرُدُّ عَهْدَ (الرَّشِيدِ) (٧)

---

(١) الصغار : الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف فى يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .

(٢) المقراض : المقص .

(٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك فى سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .

(٤) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التى تنسب اليه . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .

(٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .

(٦) طأطأ رأسه : خفضه .

(٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى بلغت الأمة الإسلامية فى أيامه من الرقى أقصاه .

عيد الدستور العثمانى

انشدها فى الحفل الذى أقيم فى حديقة الأزبكية فى مساء الجمعة ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ م

أَجِلْ هٰذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاكِبُهْ * هَنِيئاً لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذَّيْلَ صَاحِبُهْ (١)

هَنِيئاً لَهُمْ فَالكَوْنُ فِى يَوْمِ عِيدِهِمْ * مَشَارِقُهُ وُضَّاءَةٌ وَمَغَارِبُهْ (٢)

رَعَى اللهُ شَعْباً جَمْعَ العَدْلُ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهْ (٣)

تَحَالَفَ فِى ظِلِّ الهِلَالِ إِمَامُهُ * وَحَاخَامُهُ ـ بَعْدَ الخِلَافِ ـ وَرَاهِبُهْ (٤)

خُذُوا بِيَدِ الإِصْلَاحِ وَالأَمْرُ مُقْبِلٌ * فَإِنِّى أَرَى الإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهْ (٥)

وَرُدُّوا عَلَى المُلْكِ الشَّبَابَ الَّذِى ذَوَى * فَإِنِّى رَأَيْتُ المُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهْ (٦)

فَمَنْ يَطْلُبِ الدُّسْتُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَ مَا * حَمَتْهُ يَدُ (الفَارُوقِ) فَاللهُ طَالِبُهْ

إِذَا (شَوْكَتُ الفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِياً * إِلَى الحَقِّ لَبَّاهُ (نِيَازِى) وَصَاحِبُهْ (٧)

---

(١) أجل : نعم . وأعلامه : أى أعلام العيد . ولهم : للاتراك . وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر . (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاءة (بفتح الواو وتخفيف الضاد) (٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه . (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد «بالإمام والحاخام والراهب» : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية . (٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان . (٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر الواحدة ذؤابة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال . (٧) شوكت ونيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان هؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور الى الأمة التركية .

ثَلاثَةُ آسادٍ يُجانِبُها الرَّدَى * وإنْ هِيَ لاقاها الرَّدَى لا تُجانِبُهْ (١)

يُصارِعُها صَرْفُ المَنُونِ فتَتَّقِي * مَخالِبَها فيه وتَنْبُو مَخالِبُهْ (٢)

رَوَتْ قولَ (بَشّارٍ) فثارَتْ وأَقْسَمَتْ * وقامت إلى (عَبْدِ الحَمِيدِ) تُحاسِبُهْ:

(إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّه * مَشَيْنا إليه بالسُّيُوفِ نُعاتِبُهْ) (٣)

وسارَ على أَعْقابِها كلُّ سابِحٍ * على مَتْنِه بُرْجٌ مَشِيدٌ يُلاعِبُهْ (٤)

يَصِيحُ به: لارِيٌّ أَوْ نَبْلُغَ المُنَى * ولا شِبَعٌ أو يَرْجِعَ الحقَّ غاصِبُهْ

هُنالِكَ فانْهَلْ واتَّخِذْ ثَمَّ مَرْبَطًا * (بِيَلْدِزَ) واحْمِدْ في الوَغَى مَنْ تُصاحِبُهْ (٥)

رِجالٌ مِنَ الإيمانِ مَلّاءُ نُفُوسُهُمْ * وجَيْشٌ مِنَ الأَتْرالِكِ ظَمْآى قَواضِبُهْ (٦)

صَوالِجُه سُمْرُ القَنا، وكُراتُه * رُءُوسُ الأَعادِي، والحُصُونُ مَلاعِبُهْ (٧)

---

(١) الردى: الهلاك. (٢) المنون: الموت. وتنبو: تكل وترتد.

(٣) صعر خده: أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا. ويريد بقوله «نعاتبه»: نهدده بالسيوف ونذره بالقتل. وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر. وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد يمدح بها عمر بن هبيرة. (٤) يريد «بالسابح»: الفرس الشديد الجرى. والمتن: الظهر. ويريد «بالبرج»: الفارس الذي يشبه البرج في ضخامته. (٥) انهل: اشرب، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى. ويلدز: قصر الخلافة بالقسطنطينية. والوغى: الحرب. يصف الفارس فرسه بأنه سيبلغ ما يريد من النصر والظفر، وأنه سيستبيح من حمى القصر ما كان ممتنعا، وهناك يحمد راكبه على صدق وعده. (٦) القواضب: السيوف القواطع. ومعنى قوله «ظمأى قواضبه»: أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء. (٧) الصوالج: العصيّ المعوجة الأطراف التي يلعبون بها الكرة؛ الواحد صولجان، فارسي معرب. والقنا: الرماح؛ الواحدة قناة. وقد شبه هذا الجيش في حربه بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب، وقلة مبالاته بالموت فيها، بجعل الرماح صوالجه، ورءوس الأعداء كراته، والحصون مواضع اللعب.

إذا ثارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وتَخَشَّعَتْ * بِحارٌ وأَمْضَى اللهُ ما هو كاتِبُهْ (١)

وثُلَّتْ عُرُوشٌ واستَقَرَّتْ ممالِكٌ * ولو أَنَّ ذَا القَرْنَيْنِ فيها يُناصِبُهْ (٢)

فمَنْ لَمْ يُشاهِدْ (يلدِزًا) بَعدَ رَبِّها * وقد زالَ عنه المُلْكُ وانْدَكَّ جانِبُهْ (٣)

وأَسْلَمَهُ أَحْبابُهُ لِقُضاتِهِ * وفَرَّ ولَمْ يَخْشَ المَعَرَّةَ كاتِبُهْ (٤)

وقَلَّمَتِ الأَقْدارُ أَظْفارَ بَطْشِهِ * ودَلَّ على ما تَجْهَلُ الجِنُّ حاجِبُهْ (٥)

فما شَهِدَ الدُّنْيا تَزُولُ ولا رَأَى * بَلاءَ قَضاءِ اللهِ فِيمَنْ يُحارِبُهْ (٦)

أَبِيحَ حِماها وانْطَوَى مَجْدُ رَبِّها * وقامَتْ على البَيْتِ (الحَمِيدِي) نَوادِبُهْ (٧)

ولَمْ يُغْنِ عن (عَبْدِ الحَمِيدِ) دَهاؤُهُ * ولا عَصَمَتْ (عبدَ الحَمِيدِ) تَجارِبُهْ (٨)

ولَمْ يَحْمِهِ حِصْنٌ ولَمْ تَرْمِ دُونَهُ * دَنانِيرُهُ والأَمْرُ بالأَمْرِ حازِبُهْ (٩)

ولَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الحَقِّ مُخْدَعٌ * ولا نَفَقٌ فى الأَرْضِ جَسَّ مَسارِبُهْ (١٠)

---

(١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .

(٢) ثلت : هدمت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه . (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .

(٤) يريد «بكاتبه» : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلم الأظفار ، اذا كان أعزل بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السراديب والأنفاق التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه . (٦) فما : جوابه « من » فى قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .

(٧) أبيح حماها ، أى صارت بلدة مفتحة النواحى لكل داخل مهما قل شأنه .

(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه . فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرمى السهام دفاعا عمن يحتمى به . وحزبه الأمر : نابه وأشتد عليه وضغطه . (١٠) يشير فى هذا البيت الى المخابئ والأنفاق التى كان قد أعدها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

أقامَ عليه مَهْلَكًا عندَ مَهْلَكٍ * يَمُرُّ به رَوْحُ الصَّبا فيُوائِبُهْ (١)

تحامَاهُ حتى الوَهْمُ خَوْفَ اغتيالِه * فلو مَسَّه طَيْفٌ لدارَتْ لَوالِبُهْ

وأَسْرَفَ فى حُبِّ الحياةِ فخاطَها * بسُورٍ من الأهْوالِ لم يَنْجُ راكِبُهْ

ففى كلِّ قُفْلٍ للمَنِيَّةِ مَكْمَنٌ * وفى كلِّ مِفْتاحٍ قَضاءٌ يُراقِبُهْ (٢)

وفى كلِّ رُكنٍ صُورَةٌ لو تَكَلَّمَتْ * لَما شَكَّ فى (عَبْدِ الحَمِيدِ) مُخاطِبُهْ

تَماثِيلُ أيهامٍ أُتِمَّتْ وأُقْعِدَتْ * تَرَاءَى بها أعْطافُه ومَناكِبُهْ (٣)

تُمَثِّلُه فى نَوْمِه وجُلُوسِه * وتَخْدَعُ فيه الموتَ حينَ يُقارِبُهْ

أقامَ عليه أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتًا واحدًا عَزَّ غالِبُهْ

سَلُوهُ أَأَغْنَتْ عنه فى يومِ خَلْعِه * عَجائِبُه ؟ أو أَحْرَزَتْه غَرائِبُهْ ؟ (٤)

وقد نَزَلَ المِقْدارُ بالأمرِ صادِعًا * فضاقَتْ على شَيْخِ المُلُوكِ مَذاهِبُهْ (٥)

وأَخْرَجَه مِنْ (يَلْدِزٍ) رَبُّ (يَلْدِزٍ) * وجَرَّدَه مِنْ سَيْفِ (عُثْمانَ) واهِبُهْ

وأَصْبَحَ فى مَنْفاهُ والجَيْشُ دُونَه * يُغالِبُ ذِكْرَى مُلْكِه وتُغالِبُهْ (٦)

---

(١) الروح : الريح - يقول : إن عبد الحميد قد بالغ فى المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظنا منه أنها من أعداء السلطان .

(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يرى من العجائب التى كان يتخذها السلطان عبد الحميد فى الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لخابيه وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .

(٣) تراءى ، أى تتراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .

(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

يُنادِيه صَوْتُ الحَقِّ : ذُقْ ما أَذَقْتَهُمْ * فكُلُّ امرِئٍ رَهْنٌ بِما هُوَ كاسِبُهْ (١)

هُمُ مَنَحوكَ اليومَ ما أنتَ مُشْتَهٍ * فسُرَّ لهمْ بالأمسِ ما أنتَ سالِبُهْ (٢)

ودَعْ عَنْكَ ما أَمَّلْتَ إنْ كنتَ حازِمًا * فلَمْ يَبْقَ لِلآمالِ فَضْلٌ تُجاذِبُهْ (٣)

مَضَى عَهْدُ الاستِبْدادِ وانْدَكَّ صَرْحُه * ووَلَّتْ أَفاعِيهِ وماتَتْ عَقارِبُهْ (٤)

لَكَ اللهُ يا (تَمُّوزُ) إنَّكَ بَلْسَمٌ * بِجَرْحَى الأَسَى والدَّهْرُ تَعْدُو نَوائِبُهْ (٥)

فكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وأَرْهَفْتَ ظالِمًا * وأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوالَتْ مَصائِبُهْ (٦)

فَدَيْناكَ مِنْ شَهْرٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ * أَوائِلُهُ مَيْمُونَةٌ وعَواقِبُهْ (٧)

تُقابِلُه الأَعْيادُ في الأَرضِ كلِّها * تَجَلَّى هِلالُ الشَّهْرِ أَو لاحَ حاجِبُهْ (٨)

ففي الغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الغَرْبُ حُسْنَه * فتَهْتَزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرورِ جَوانِبُهْ (٩)

وفي الشَّرقِ عِيدٌ لَمْ يَرَ الشَّرْقُ مِثْلَه * تَدَفَّقُ في دارِ السَّلامِ مَواكِبُهْ (١٠)

---

(١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشته ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريتها .

(٣) شبه «الآمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه يدك وتجذبها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يوليه ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . والبلسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفزعت ، وأرهقت ظالما : حملته ما لا يطيق من العذاب .

(٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، اذا كان مشهورا ؛ وأصلهما من الصفات الممدوحة فى الخيل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلى : ظهر .

(٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليه) .

(١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبه الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا لها . ودار السلام : القسطنطينية .

يُطيفُونَ بالعَرْشِ الكَرِيمِ ورَبِّه * تُطِيفُ بهِمْ آلاؤُه ومناقِبُهْ (١)

لِتَهْنِئْ أميرَ المؤمنين مُحَمَّدا * خِلافَتُه فالعَرْشُ سَعْدٌ كَواكِبُهْ

سَتَمْلِكُ أمْواجَ البِحارِ سَفِينُه * كما مَلَكَتْ ثُمَّ الجِبالِ كَتائِبُهْ (٢)

مَمالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وثُغُورُه * رَكائِبُهُ مَنصورَةٌ ومَراكِبُهْ

إلى البرنس حسين كامل باشا (٣)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فمَتَى تَسَامُ * أهَمٌّ ذادَ نَوْمَكَ أمْ هُيامُ (٤)

غَفَا المَحْزُونُ والشاكِى وأغْفَى * أُخُو البَلْوَى ونامَ المُسْتَهامُ (٥)

وأنتَ تُقَلِّبُ الكَفَّيْنِ آنًا * وآوِنَةً يُقَلِّبُكَ السَّقامُ (٦)

تَحَدَّرَتِ المَدامِعُ مِنكَ حَتَّى * تَعَلَّمَ مِنْ مَحاجِرِكَ الغَمامُ (٧)

---

(١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .

(٢) ثم الجبال : أعاليها ، الواحد أثم . والكتائب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .

(٣) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م . وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٤) نصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .

(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق .

(٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .

(٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو ما دار حول العين . والغمام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك .

ضَجَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الحَشَايَا (١) * وأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلامُ

تَبِيتُ تُساجِلُ الأَفْلاكَ سُهْدًا (٢) * وعَيْنُ الكَوْنِ رَنَّقَها المَنامُ

وتَكْتُمُنا حَدِيثَ هَواكَ حَتَّى * أَذاعَ الصَّمْتُ ما أَخْفَى الكَلامُ

بِرَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إلى رَسِيسٍ (٣) * مِنَ الذِّكْرَى وهَلْ رَجَعَ الغَرامُ؟

وقد لَمَعَ المَشِيبُ وذَاكَ سَيْفٌ * عَلى فَوْدَيْكَ عَلَّقَهُ الحِمامُ (٤)

أَيَجْهَلُ بالأَدِيبِ أَدِيبِ مِصْرٍ * بُكاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الفِطامُ (٥)

ويَصْرِفُه الهَوَى عن ذِكْرِ مِصْرٍ * ومِصْرٌ فى يَدِ الباغِى تُضامُ؟ (٦)

عَدِمْتُ يَراعَتِي إن كان ما بى * هَوًى بين الضُّلوعِ له ضِرامُ (٧)

وما أنا والغَرامَ وشابَ رَأْسِى * وغالَ شَبابِيَ الخَطْبُ الجُسامُ (٨)

ورَبِّانِي الذى رَبِّى (لَبِيدًا) * فعَلَّمَنِي الذى جَهِلَ الأَنامُ (٩)

---

(١) الحشايا : الفرش المحشوة ؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك سهدا ، أى تشاركها فى السهر وتناديها فيه . ورنقها : خالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .

(٤) الفودان : ناحيتا الرأس . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتى الرأس» : الشيب ، لأن كليهما قاتل .

(٥) أرهقه : آذاه وآلمه . (٦) الباغى : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغتـه وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعالها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه . والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التى أولها : «عفت الديار محلها فمقامها» . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد «بالذى ربى لبيدا» : الزمان وتطاوله . وخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، ومن يعيشوا الحياة حتى سئموها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

لَعَمْرُكَ ما أَرِقْتُ لغَيْرِ مِصْرٍ * ومالِي دُونَها أَمَلٌ يُرَامُ[1]

ذَكَرْتُ جَلالَها أيّامَ كانَتْ * تَصُولُ بها الفَراعِنَةُ العِظامُ

وأيّامَ الرجالُ بها رِجالٌ * وأيّامَ الزّمانُ لها غُلامُ

فأَقْلَقَ مَضْجَعِي ما باتَ فِيها * وباتَتْ مِصْرُ فيه ، فهَلْ أَلامُ؟

أَرَى شَعْبًا بمَدْرَجَةِ العَوادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ داءٌ عُقامُ[2]

إذا ما مَرَّ بالبَأْساءِ عامٌ * أَطَلَّ عليه بالبَأْساءِ عامُ

سَرَى داءُ التَّواكُلِ فيه حَتَّى * تَخَطَّفَ رِزْقَه ذاكَ الزُّحامُ[3]

قد اسْتَعْصَى على الحُكَماءِ مِنّا * كما اسْتَعْصَى على الطِّبِّ الجُذامُ[4]

هَلاكُ الفَرْدِ مَنْشَؤُهُ تَوانٍ * ومَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَؤُهُ انْقِسامُ

وإنّا قد وَنِينا وانْقَسَمْنا * فلا سَعْيٌ هُناكَ ولا وِئامُ

فساءَ مُقامُنا في أَرْضِ (مِصْرٍ) * وطابَ لغَيْرِنا فيها المُقامُ

فلا عَجَبٌ إذا مُلِكَتْ علينا * مَذاهِبُنا وأَكْثَرُنا نِيامُ[5]

(حُسَيْنُ حُسَيْنُ) أنتَ لها فَنَبِّهْ * رِجالًا عن طِلابِ الحقِّ نامُوا

وكُنْ بأبيكَ لابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فأنتَ بكَفِّهِ نِعْمَ الحُسامُ[6]

---

(١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادى : النوائب . وتمخخ العظم ، إذا أخرج مخه . والداء العقام : الذى لا يرجى البرء منه . (٣) يريد «بالزحام» : مزاحمة الأجانب للمصريين . (٤) الضمير فى «استعصى» : يعود على «التواكل» السابق .

(٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد «بابن أخيه» : عباس الثانى خديوى مصر السابق .

أَفِضْ فى قاعَةِ الشُّورَى وِئَامًا * فقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِها ٱلخِصامُ

وعَلَّمْهُمْ مُصادَمَةَ العَوادِى * فِشَلْكَ لا يُرَوِّعُه الصِّدامُ (١)

فَفى حِزْبِ اليَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وإنْ قَلُّوا فإنَّهُمُ كِرامُ

وفى حِزْبِ الشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْدٌ * كُماةٌ لا يَطِيبُ لها ٱنهِزامُ (٢)

فَكونوا لِلبِلادِ ولا يَفُتْكُمْ * مِنَ النَّهَزاتِ والفُرَصِ ٱغتِنامُ (٣)

فما سادُوا بِمُعْجِزَةٍ علينا * ولكنْ فى صُفوفِهِمُ ٱنضِمامُ (٤)

فلا تَثِقُوا بِوَعْدِ القَوْمِ يومًا * فإنَّ سَحابَ ساسَتِهِمْ جَهامُ (٥)

وخافُوهُمْ إذا لانُوا فإنِّى * أَرَى السُّوَّاسَ ليس لَهُمْ ذِمامُ (٦)

فكَمْ ضَحِكَ العَمِيدُ على لِحانا * وغَرَّ سَراتَنا مِنْه ٱبْتِسامُ (٧)

أَبَا الفَلَّاحِ إنَّ الأَمْرَ فَوْضَى * وجَهْلُ الشَّعْبِ والفَوْضَى لِزامُ (٨)

فأَسْعِدْنا بِنَشْرِ العِلْمِ وٱعلَمْ * بأنَّ النَّقْصَ يَعْقُبُه التَّمامُ

---

(١) العوادى : النوائب . ويروعه : يفزعه . (٢) الكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى (بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) النهزات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .

(٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (بفتح الجيم) : الذى لا ماء فيه .

(٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد مرى (بفتح السين وتشديد الياء) .

(٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلمُ يُمسكُا وجِدًا * اذا لم ينصُرِ العلمَ اعتزامُ

وإنْ لم يُدرِكِ الدُّستورُ (مِصرًا)[1] * فما لحياتها أبدًا قِوامُ

حَمَوْنا وِردَ ماءِ (النِّيلِ) عَذْبًا * وقالوا : إنه مَوْتٌ زُؤامُ[2]

وما الموتُ الزُّؤامُ إذا عَقَلْنا * سِوَى الشِّركاتِ حَلَّلها الحَرامُ

لقد سَعِدَتْ بغفلَتِنا فراحَتْ * بثَرْوَتِنا وأَوْلُها (الترامُ)

فياوَيْلَ القناةِ إذا احتواها * (بَنُو التامِيزِ)[3] وانحسَرَ اللِّثامُ

لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنيا حُطامًا[4] * بأيدينا وقد عَزَّ الحُطامُ

وقد كُنّا جَعَلْناها زِمامًا[5] * فوالهَفِي اذا قُطِعَ الزِّمامُ

(فيا قَصْرَ الدُّبارَةِ) لستُ أدري * أحَرْبٌ فى حِرابِكَ أمْ سَلامُ

أجِبْنا ، هل يُرادُ بنا وَراءً[6] * فنَقْضِي أمْ يُرادُ بنا أمامُ

ويا حِزْبَ اليَمينِ إليكَ عَنّا[7] * لقد طاشَتْ نِبالُكَ والسِّهامُ

ويا حِزْبَ الشِّمالِ عليكَ مِنّا * ومِنْ أبْناءِ نَجْدَتِكَ السَّلامُ

---

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه . ويريد بقوله : « موت زؤام » : ما يحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القناة : أى قناة السويس . وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت : أى القناة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) تقضى : تموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمة . وأبناء نجدتك : أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والنجدة : الشجاعة والنصرة .

تحيـــة العـام الهجـــرى

[سنة ١٣٢٨هـ — يناير سنة ١٩١٠م]

لى فيكَ حينَ بَدَا سَناكَ وأَشْرَقَا * أَمَلٌ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا (١)

أَشْرِقْ علينا بالسُّعودِ ولا تَكُنْ * كأَخِيكَ مَشْئُومَ المَنازِلِ أَخْرَقَا (٢)

قد كانَ جَرَّاحَ النُّفُوسِ فَداوِها * مِمَّا بِها وكُنِ الطَّبِيبَ مُوَفَّقَا

هَلَّلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِه * ورَجَوْتُ فيه الخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا (٣)

وهَزَزْتُه بقَصِيدَةٍ لو أَنَّها * تُلِيَتْ على الصَّخْرِ الأَصَمِّ لأَغْدَقَا (٤)

فنَأَى بجانِبِه وخَصَّ بتَحْيِه * مِصْرًا وأَسْرَفَ فى النُّحُوسِ وأَغْرَقَا (٥)

لو كُنْتُ أَعْلَمُ ما يُحَبِّبُه لنا * لسأَلْتُ رَبِّى ضارِعًا أَنْ يُحْقِقَا

أَوْلَى الأَعاجِمِ مِنَّةً مَذْكُورَةً * وأَعادَ للأَتْرَاكِ ذاكَ الرَّوْنَقَا (٦)

وتَغَيَّرَتْ فيه الخُطوبُ بفارِسٍ * حتَّى رأَيْتُ الشاهَ يَخْشَى البَيْدَقَا (٧)

---

(١) السنا : الضوء ، يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله «أخيك» : هلال العام الذى قبله . والمنازل : البروج التى ينتقل فيها القمر ، والأخرق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء) ، وهو القسوة والحمق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : اذا حركه اليه وشوقه الى عمله . وأغدق : تفجر بالماء الكثير . ويريد «بالقصيدة» : القصيدة السابقة التى أولها :

أهلال على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق فى النحوس : بالغ فيها وأفرط .

(٦) أولى : أعطى . ويريد أن الأعاجم ، وهم الفرس ، نالوا فيه الدستور ، وكذلك الترك .

(٧) الخطوب : الشئون ، الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشاه : ملك العجم . والبيدق : الجندى . ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

وأدالَ مِنْ (عبدِ الحميدِ) لشَعْبِه * فهَوَى وحاولَ أنْ يعُودَ فأُخْفِقَا (١)

أمْسَى يُبالِي حارِسًا مِنْ جُنْدِه * ولقد يَكُونُ وما يُبالِي الفَيْلَقَا (٢)

ورَمَى على أرْضِ الكِنانةِ حِرْمَه * بالنازِلاتِ السُّودِ حتَّى أرْهَقَا (٣)

حَصَدَتْ مَناجِلُه غِراسَ رَجائِنا * ولو أنَّها أبْقَتْ عليه لأَوْرَقَا (٤)

فتَقَيَّدَتْ فيه الصَّحافَةُ عَنْوَةً * ومَشَى الهَوَى بين الرَّعِيَّةِ مُطْلَقَا (٥)

وأتَى يُساوِمُ فى (القَناةِ) خَدِيعَةً * ولو أنَّها تَمَّتْ لَتَمَّ بها الشَّقَا

إنَّ البَلِيَّةَ أنْ تُباعَ وتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وما فيها وألَّا تَنْطِقَا (٦)

كانتْ تُواسِينا على آلامِنا * صُحُفٌ إذا نَزَلَ البَلاءُ وأطْبَقَا (٧)

فإذا دَعَوْتُ الدمْعَ فاستَعْصَى بَكَتْ * عنَّا أسًى حتَّى تَغَصَّ وتَشْرَقَا

كانتْ لنا يومَ الشَّدائِدِ أسْهُمًا * نَرْمِى بها وسَوابِقًا يومَ اللِّقَا (٨)

(١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق فى السعى : لم ينجح فيه . (٢) الضمير فى «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها الضر والظلم والطغيان .

(٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تقييد قانون المطبوعات الذى عمل به فى عهد وزارة بطرس غالى باشا ، فقيد حرية الرأى والكتابة فى الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهيه الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما حدث فى عهد نظارة بطرس غالى باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن فى ذلك غبنا فاحشا قدر بمبلغ ٠٠٠ر٩٨ر٥ و١٣٠ جنيها ، وكان ذلك فى ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية فى هذه المسألة قطعيا لا استشاريا .

(٧) أطبق عليهم البلاء : غشيهم وعظائم .

(٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت عدة لنا فى الجهاد .

كانتْ صِماماً للنفُوسِ إذا غَلَتْ * فيها الهُمومُ وأَوْشكتْ أن تَزْهَقَا

كم نَفَّسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ واجِدٍ * لولا الصِّمامُ مِنَ الأَسَى لَتَمَزَّقَا (١)

مالى أَنُوحُ على الصَّحافَةِ جازِعًا * ما ذا أَلَمَّ بها وماذا أَحْدَقا؟ (٢)

قَصُّوا حَواشِيَها وظَنُّوا أنَّهم * أَمِنُوا صَواعِقَها فكانَتْ أَصْعَقا

وأَتَوْا بحاذِقِهِمْ يَكِيدُ لها بِما * يَثْنِي عَزائِمَها فكانتْ أَحْذَقا (٣)

أَهْلًا بناشِئَةِ البِلادِ ومَرْحَبًا * جَدَّدْتُمُ العَهْدَ الذى قد أَخْلَقا (٤)

لا تَيْأَسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ * فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثم ارْتَقَى

مَدَّتْ له الآمالُ مِنْ أَفْلاكِها * خَيْطَ الرَّجاءِ إلى العُلا فتَسَلَّقا (٥)

فتَجَشَّمُوا المَجْدِ كلَّ عَظِيمَةٍ * إنِّى رأَيْتُ المَجْدَ صَعْبَ المُرْتَقَى (٦)

مَنْ رامَ وَصْلَ الشمسِ حالَكَ خُيُوطَها * سَبَبًا إلى آمالِه وتَعَلَّقا (٧)

عارٌ على ابنِ النِّيلِ سَبَّاقِ الوَرَى * ـ مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُه ـ أنْ يُسْبَقا

أو كلَّما قالوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعِبَ الشِّقاقُ بِجَمْعِنا فتَفَرَّقا (٨)

---

(١) نفست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهمزة) : الحزن . ورد «من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» .

(٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .

(٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحذقا» : أنها كانت تؤدى عملها فى نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ .

(٤) ناشئة البلاد : نشؤها وشبانها . وأخلق : بل ودرث .

(٥) تسلق : صعد .

(٦) تجشموا : تكلفوا .

(٧) حالك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ منال الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها .

(٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

فتدفقوا لجبا وحوطوا نيلكم * فلكم أفاض عليكم وتدفقا (١)

حملوا علينا بالزمان وصرفه * فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا (٢)

هزؤا مغاربها فهابت بأسهم * يا ويلكم إن لم تهزؤا المشرقا (٣)

فتعلموا فالعلم مفتاح العلا * لم يبق بابا للسعادة مغلقا

ثم استمدوا منه كل قواكم * إن القوى بكل أرض يتقى

وابنوا حوالى حوضكم من يقظة * سورا وخطوا من حذار خندقا (٤)

وزنوا الكلام وسددوه فإنهم * خبأوا لكم فى كل حرف مزلقا (٥)

وامشوا على حذر فإن طريقكم * وعر أطاف به الهلاك وحلقا (٦)

نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا * للسالكين بكل نج مهوقا (٧)

الموت فى غشيانه وطروقه * والموت كل الموت ألا يطرقا (٨)

فتحينوا فرص الحياة كثيرة * وتعجلوها بالعزائم والرقى (٩)

---

(١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوائبه وتأنق فى الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أرهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحمى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .

(٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .

(٧) النهج : الطريق . والموبق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة الى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استكانة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، فى الإقدام موت ، وفى الإحجام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .

(٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد «بالعزائم والرقى» هنا : قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة ، وحسن التأتى إلى المقاصد .

أو فاخلقوها قادرين فإنما * فُرَصُ الحياةِ خليقةٌ أن تُخلقا
وتهيئوا ظلَّ الأريكة وانصبوا * ملكًا بأمنيه أبرَّ وأرفقا (١)
لا زال تاجُ المُلكِ فوقَ جبينه * تحتَ الهلالِ يزينُ ذاكَ المَفرِقا (٢)

تحية الأسطول العثماني

أنشدها في حفل أقيم بتياترو عباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برآسة وصوف باشا المعتمد العثماني

بالذي أجراكِ يا ريحَ الخزامى * بلِّغي البسفورَ عن مصرَ السلاما (٣)
واقطفي من كلِّ روضٍ زهرةً * واجعليها لتحايانا كِماما (٤)
واشري رياكِ في ذاكَ الحِمى * واتلمي الأرضَ إذا جئتِ الإماما (٥)

ملكٌ للشرقِ في أيامه * همةُ الغربِ نهوضًا واعتزاما
أيها القائمُ بالأمرِ لقد * قمتَ في الناسِ فأحسنتَ القياما
جرِّد الرأيَ فحكمُ رأيٍ إذا * سُلَّ من غِمدِ النُّهى فلَّ الحُساما (٦)

---

(١) تهيئوا ظل الأريكة : يطلب إليهم أن يتجهوا إليها ويستظلوا بها . والأريكة : سرير الملك .
(٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .
(٣) الخزامى : نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نفحة ؛ وهذا النبات يقارب البنفسج ، وزهره إلى الزرقة واللازوردية .
(٤) الكمام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) . يقول : حوطي تحايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكى من الأزهار وريحا ، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نفحة .
(٥) الريا : الرائحة العطية . ويريد «بالإمام» : خليفة المسلمين .
(٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلمه وكسره .

وابعث الأسطول ترمي دونه * قوة الله وراءً وأماما

(١)
يكلأ الشرق ويرعى بقعة * رفع الله بها (البيت الحراما)

(٢)
وثغوراً هي أبهى منظراً * من ثغور الغيد يبدين ابتساما

(٣)
خصها الله بأفق مشرق * ضم في الألاء (مصراً) و(الشاما)

(٤)
حيّ يا مشرق أسطول الألى * ضربوا الدهر بسوط فاستقاما

ملكوا البر فلما لم يسع * مجدهم نالوا من البحر المراما

(٥)
بجوار منشآت كالدمى * أينما سارت صبا البحر وهاما

(٦)
كلما أوفت على أمواجه * سجد الموج خشوعاً واحتشاما

(٧)
كان بالبحر اليها ظمأ * وعجيب يشتكي البحر الأواما

(٨)
فهي في السلم جوار تجتلى * تبهر العين رواء ونظاما

(٩)
وهي في الحرب قضاء سابح * يدع الحصن تلالا ورجاما

---

(١) يكلأ الشرق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالبقعة» : الحجاز . (٢) الغيد : جمع غادة» وهي المرأة الليّنة الناعمة . (٣) الألاء : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر ... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسطوتهم وعزمهم فاستقام لهم .

(٥) الجواري المنشآت : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .

(٦) أوفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الأوام : شدة العطش .

(٨) تجتلى : ينظر اليها الناس معجبين بحسنها ورونقها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

ما نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أَبْرَاجِها * إِثْرَ عِفْرِيتٍ مِنَ الجِنِّ تَرَامَى (١)

مِنْ مَرَامِيها بِأَنْكَى مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْسَى مِرَاسًا وَعُرَامَا (٢)

وهِيَ بُرْكَانٌ اذا ما هَاجَها * هائِجُ الشَّرِّ عِداءً وخِصاما

جَبَلَ النارِ لقد رُعْتَ الوَرَى * أَنْتَ فى حالَيْكَ لا تَرْعَى ذِماما (٣)

أَنْتَ فى البَرِّ بَلاءٌ فإذا * رَكِبَ البَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤاما (٤)

فاتَّقُوا الطَّوْدَ مَكِينًا رابِيًا * واتَّقُوا الطَّوْدَ اذا ما الطَّوْدُ عاما (٥)

حَمَلَتْ حَرْبًا فكانَتْ حِقْبَةً * نُذُرًا لِلْمَوْتِ تَجْتاحُ الأَنَاما (٦)

خافَها العالَمُ حتى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وسَلاما (٧)

بُعِثَ المَشْرِقُ مِنْ مَرْقَدِه * بعدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُحْيِي العِظاما

أَيُّها الشَّرْقُ تَمَطَّ لا تَنَمْ * وانْفُضِ العَجْزَ فإنَّ الجِدَّ قاما

---

(١) تراى ، أى تتراى وتتساقط . ويشير الى أن الجن كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واسترقاق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن .

(٢) أنكى : خبر «لها» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدة . يريد أن الشهب التى يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشد وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب .

(٣) وعت : أفزعت . والذمام : الحرمة والعهد .

(٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : الى البراكين المعروفة . وبقوله « فاذا ركب البحر » : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل البركان مظهرين : مظهره الحقيقى فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول .

(٥) الطود : الجبل العظيم .

(٦) الحقبة من الدهر : مدة لاحد لها . وتجتاح الأنام : تهلكهم .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلم معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها ، فكانت مبعث سلم أيضا .

وامتطِ العزمَ جوادًا للعُلا * وأجعلِ الحكمةَ للعزمِ زِماما (١)

وإذا حاولتَ فى الأفقِ مُنًى * فاركبِ البرقَ ولا ترضَ الغَماما (٢)

لا تَضِقْ ذرعًا بما قال العِدا * ربَّ ذى لُبٍّ عن الحقِّ تعامى

سابقِ الغربىَّ واسبِقْ واعتصِمْ * بالمروءاتِ وبالبأسِ اعتصاما

جانبِ الأطماعَ وانهجْ نهجَه * وأجعلِ الرحمةَ والتقوى لِزاما

طلبُوا منْ عِلمِهم أنْ يُعجِزُوا * قادرَ الموتِ وأنْ يَثنُوا الحِماما (٣)

وأرادُوا منه أنْ يرفعَهم * فوقَ هامِ الشُّهبِ فى الغيبِ مَقاما (٤)

(قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرَه) * طاولَ الخالقَ فى الكونِ وسامَى (٥)

أخرجَ الغيبَ إلى أنْ بزَّه * سِرُّه بزًّا ولم يخشَ انتقاما (٦)

قُوةَ الرحمنِ زِيدِيا قُوًى * وأفيضى فى بَنِى الشرقِ الوئاما

أفرِغى منْ كلِّ صدرٍ حِقدَه * أملِئِ التاريخَ والدُّنيا كلاما

أسألُ اللهَ الذى ألهمَنا * خِدمةَ الأوطانِ شيخًا وغُلاما

أنْ أرَى فى البحرِ والبرِّ لنا * فى الوغَى أندادَ (طُوجُو) و(أُياما) (٧)

---

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بط الغمام لا يصلح مطية للجد . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة ، والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب ، وسامى مسامأة : باراه فى السمو . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوغى : الحرب ، والأنداد : الأشباه ، وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حـــرب طـــرابلس

[فى ســـنة ١٩١٢ م]

طَمَعٌ أَلْقَ عن الغَرْبِ اللِّثاما * فاستَفِقْ يا شَرْقُ واحذَرْ أنْ تَنَاما (٢)

وأحِـــلِّي أيَّتُها الشمسُ إلى * كلِّ مَنْ يَسْكُنُ فى الشَّرقِ السَّلاما

وأشـــهِدِى يومَ التَّنادِى أنَّنا * فى سَبِيلِ الحَقِّ قد مِتْنا كِراما (٣)

مادَتِ الأرْضُ بِنَا حِينَ انتَشَتْ * مِنْ دَمِ القَتْلَى حَلالاً وحَرَاما (٤)

عَجَـــزَ الطُّلْيانُ عَنْ أبْطالِنا * فأَعَلُّوا مِنْ ذَرارِينا الحُسَاما (٥)

كَبَّلُوهُمْ، قَتَـــلُوهُمْ، مَثَّـــلُوا * بذَواتِ الخِـدْرِ، طاحُوا باليَتَامَى (٦)

ذَبَحُـوا الأَشْـــياخَ والزَّمْنَى ولَمْ * يَرْحَمُـوا طِفْـلاً ولَمْ يُبْقُوا غُلاما (٧)

أَحْرَقُوا الدُّورَ، اسْـتَحَلُّوا كلَّ ما * حَرَّمَتْ (لاهايُ) فى العَهْدِ احتراما (٨)

بارَكَ المَطْرانُ فى أَعْمالِهِمْ * فَسَـــلُوه بارَكَ القَـــوْمَ عَلاما؟ (٩)

---

(١) ترجع أطماع إيطاليا فى طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط فى اقتسام افريقيا ، ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ فى مصر وتونس ، قويت أطماعها فى طرابلس ، ولم تأت سنة ١٩١٢ م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفى هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .

(٢) القتام (بالكسر) : الغبار . أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم . (٣) يوم التنادى : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت . (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السقى بعد السقى . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه . (٧) الزمنى : ذوو العاهات ، الواحد : زمن (بفتح الأول وكسر الثانى) .

(٨) يشير الى مؤتمر لاهاى الذى عقد فى سنة ١٨٩٩ م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التى تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول . (٩) المطران (بالفتح و بكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرق وفوق الأسقف .

أيهذا جاءهم أنجيلهم * أمرا يلقى على الأرض سلاما؟
كشفوا عن نية الغرب لنا * وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطورا من دم * أقسمت تلتهم الشرق التهاما
أطلقوا الأسطول فى البحر كما * يطلق الزاجل فى الجو الحماما (١)
فمضى غير بعيد وانثنى * يحمل الأنباء شؤما وانهزاما
قد ملأنا البر من أشلائهم * فدعوهم يملكوا الدنيا كلاما (٢)
أعلنوا الحرب واضمرنا لهم * أيما حلوا هلاكا واحتراما (٣)
خبروا (فكتور) عنا أنه * أدهش العالم حربا ونظاما (٤)
أدهش العالم لما أن رأوا * جيشه يسبق فى الجري النعاما
لم يقف فى البر إلا ريثما * يسلم الأرواح أو يلقى الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا * منة تذكرها عاما فعاما (٥)
أنت أهديت إلينا عدة * ولباسا وشرابا وطعاما
وسلاحا كان فى أيديكم * ذا كلال فغدا يفرى العظاما (٦)

(١) الزاجل : الذى يرسل الحمام .
(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلو .
(٣) احترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .
(٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم .
(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . ويفرى : يشق .

أكثِرُوا النُّزهَـةَ فى أحيائِنا * ورُبانا إنّها تَشْفِى السَّقاما

وأقِيمُـوا كلَّ عامٍ مَوْسِمًا * يُشْبِعُ الأيْتامَ مِنّا والأيامَى (١)

لستُ أدرِى بِتُّ تَرْعَى أمَةً * مِنْ بَنِى (التَّلْيانِ) أمْ تَرْعَى سَواما (٢)

ما لَهُمْ — والنَّصْرُ مِنْ عاداتِهِمْ — * لَزِمُوا الساحِلَ خَوْفًا واعتِصاما

أفْلَتُوا مِنْ نارِ (فِيزُوفَ) إلى * نارِ حَرْبٍ لم تَكُنْ أدْنَى ضِراما (٣)

لم يَكُنْ (فِيزُوفُ) أدْهَى حُمَمًا * مِنْ كُراتٍ تَنْفُثُ المَوتَ الزُّؤاما (٤)

إيهِ يا (فِيزُوفُ) نَمْ عنهمْ فقد * نَفَضَتْ إفريقيا عنها المَتاما

فهْىَ بُرْكانٌ لهمْ سَخَّرَهُ * مالِكُ المُلْكِ لجزاءٍ وانتِقاما

لو دَرَوْا ما خَبَأَ الشَّرقُ لهمْ * آثَرُوا (فِيزُوفَ) واختارُوا المُقاما

تِلْكَ عُقْبَى أمَـةٍ غادِرَةٍ * تَنْكُثُ العَهْدَ ولا تَرْعَى الذِّماما (٥)

تِلْكَ عُقْبَى كلِّ جَبّارٍ طَغَى * أو تَعالَى أو عَنِ الحَقِّ تَعامَى

لو دَرَتْ (رُومَةُ) ما قد نابَها * فى (طَرابُلُسَ) أبَتْ إلّا انقِسامَا

وأبَى كلُّ اشتِراكِىٍّ بها * أنْ يَرَى التاجَ على رأسٍ أقاما

أعْلَنُوا ضَمَّ مَغانِينا إلى * مُلْكِ (قُسْطُورَ) ولَمْ يَخْشَوْا مَلاما (٦)

---

(١) الأيامى : جمع أيم (بتشديد الياء)، وهى من لا زوج لها . (٢) السوام : الإبل الراعية .
(٣) فيزوف : بركان فى جنوبى إيطاليا معروف . (٤) الحمم : جمع حمة، وهى كل ما احترق من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزؤام : الكريه .
(٥) الذمام : الحق والحرمة . (٦) المغانى : المنازل؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

أعلنوا الضم ولما يفتحوا * قيد أظفور وراء أو أماما[1]

فاعجبوا من فاتح ذى مرة * يحسب النزهة فى البحر صداما[2]

ويرى الفتح ادعاء باطلا * وافتراء واحتجاجا واحتكاما

أيها الحائر فى البحر اقترب * من حمى (البسفور) إن كنت همام

كم سمعنا عن لسان البرق ما * يزعج الدنيا إذا الأسطول عاما

عام شهرين ولم يفتح سوى * هوة فيها الملايين ترامى[3]

دفنوا تاريخهم فى قاعها * ورموا فى إثره المجد غلاما

فاطمئنى أمم الشرق ولا * تقنطى اليوم فإن الجد قاما[4]

إن فى أضلاعنا أفئدة * تعشق المجد وتأبى أن تضاما[5]

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك ؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢م . وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت ، وزوج له اسمها (ليلى) ، وطبيب ، ورجل عربى

الجريح :

(ليلاى) ما أنا حى * يرجى ولا أنا ميت

لم أقض حق بلادى * وهأنا قد قضيت[6]

---

(١) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها) ، أى مقدار ظفر . (٢) المرة (بالكسر) : القوة والشدة .
(٣) ترامى : تتراى . (٤) الجد (بالفتح) : الحظ ، والمراد « بقيامه » : انتعاشه .
(٥) تضام : تظلم . (٦) قضيت : مت .

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمَيْتُ

(بَيْرُوتُ) لو أنّ خَصْمًا * مَشَى إِلَيَّ مَشَيْتُ

أو داسَ أَرْضَكِ باغٍ * لَدُسْتُهُ وبَغَيْتُ

أَوْ حَلَّ فِيكِ عَدُوٌّ * مُنَازِلٌ ما أَتَّقَيْتُ

لكنْ رَمَاكِ جَبَانٌ * لو بان لى لأَشْتَفَيْتُ (١)

(لَيْلَاىَ) لا تَحْسَبِينِي * على الحياةِ بَكَيْتُ

ولا تَظُنِّي شَكَاتِي * مِنْ مَضْرَعِي إِنْ شَكَوْتُ (٢)

ولا يُخِيفَنْكِ ذِكْرِي * (بَيْرُوتَ) أَنِّي سَلَوْتُ (٣)

(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرَامِي * فيها وفيكِ صَبَوْتُ (٤)

جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبَابِي * لَهْوًا وفيها جَرَيْتُ

فيها عَرَفْتُكِ طِفْلًا * ومِنْ هَوَاكِ ٱنْتَشَيْتُ (٥)

ومِنْ عُيُونِ رُبَاهَا * وعَذْبِ فِيكِ ٱرْتَوَيْتُ (٦)

فيها (لِلَبْلَ) كِنَاسٌ * ولِي مِنَ العِزِّ بَيْتُ (٧)

---

(١) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى بالبلاى من طروق إياك حينما أذكر بيروت ، فكلاكما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية .

(٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى ومبل قلبك وفيها .

(٥) انتشى : سكر .

(٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب فيك ، أى ريقك العذب .

(٧) الكناس : بيت الظبى الذى يأوى إليه .

فيها بَقَى لىَ مَجْدًا * أوائلى وبَنَيْتُ
(لَيْلَى) سِراجُ حَياتِى * خَبَا فما فيه زَيْتُ[1]
قد أطْفَأَتْهُ كُرَاتٌ * ما مِنْ لَظاهُنَّ فَوْتُ[2]
رَمَى بهنَّ بُغَاةٌ * أصَبْنَنِى فتَوَيْتُ[3]

ليلى :

لو تُفْتَدَى بحَياتى * مِنَ الرَّدَى لفَدَيْتُ
ولو وَفاكَ وَفِىٌّ * بمُهْجَتِى لوَفَيْتُ
إنْ عِشْتَ أو مِتُّ إنِّى * كما نَوَيْتَ نَوَيْتُ[4]

الجريح :

(لَيْلاىَ) عِيشِى وقَرِّى * إذَا الحِمامُ دَعانِى
(ليلاىَ) ساعاتُ عُمْرِى * معْدُودةٌ بالثَّوانِى
فكَفْكِفِى مِنْ دُمُوعٍ * تَفْرِى حُشاشَةَ فانِى[5]
ومَهِّدِى لىَ قَبْرًا * على ذُرا (لُبْنانِ)
ثم اكْتُبِى فوقَ لَوْحٍ * لكلِّ قاصٍ ودانِى:

(١) عبا : خف وطفئ . (٢) يريد « بالكرات » : تذاقف المدافع المعروفة بالقنابل . واللظى : النار ، أو لهبها . والفوت : الافلات . (٣) نويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت نويت ، أى أنى جعلت حياتك وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة : بقية الروح فى المريض .

هُنا الذى مات غَدْرًا * هُنا فَتَى الفِتْيانِ
رَمَتْهُ أَيْدِى جُناةٍ * مِنْ جِيرَةِ النِّيرانِ (١)
قُرْصانَ بَحْرٍ تَوَلَّوا * مِنْ حَوْمَةِ المَيْدانِ (٢)
لَمْ يَخْرُجوا قِيدَ شِبْرٍ * عَنْ مَسْبَحِ الخِيشانِ
ولَمْ يُطِيقُوا ثَباتًا * فِى أَوْجُهِ الفُرْسانِ
فَشَمَّرُوا لانْتِقامٍ * مِنْ غافِلٍ فى أَمانِ
وسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومَا) * بالكَيْدِ لِلجِيرانِ
تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغاثٍ (٣) * فَرُّوا مِنَ العِقْبانِ
لو أَنَّهُم نازَلُونَا * فى الشَّامِ يومَ طِعانِ
رَأَوْا طَرابُلُسَ تَبْدُو * لَهُم بِكُلِّ مَكانِ
يا لَيْتَنِى لَمْ أُعاجِلْ * بالمَوتِ قَبْلَ الأَوانِ
حَتَّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُو * رَغْمَ اعتِداءِ الزَّمانِ
ويَسْتَرِدُّ جَلالًا * له ورِفْعَةَ شانِ
ولْيَعْلَمِ الغَرْبُ أَنَّا * كَأُمَّةِ (اليابانِ)

---

(١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين فى بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصوصه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل فى الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لا تَرْتَضِى العَيْشَ يَجْرِى * فى ذِلَّةٍ وهَـوانِ
أَرَاهُـمُ أَنْزَلُـونا * مَنازِلَ الحَيـوانِ
وأَخْرَجُـونا جَمِـيعًا * عَنْ رُتْبَـةِ الإنْسانِ
وسَوْفَ تَقْضِى عليهم * طَبائِـعُ العُمْـرانِ (١)
فيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * ويَسْـتَوِى الخافِقـانِ (٢)
لاهُـمَّ جَـدِّدْ قُـوانا * لِخِـدْمَةِ الأَوْطَـانِ (٣)
فنَحْنُ فى كُلِّ صُقْعٍ * نَشْكُو بكُلِّ لِسانِ (٤)
يا قومَ إنجيلِ (عِيسَى) * وأُمَّـةَ القُـرآنِ
لا تَقْتُلوا الدهرَ حِقْدًا * فالمُـلْكُ للدَّيَّانِ

ليـلى :

إنِّى أَرَى مِنْ بَعِيـدٍ * جَماعَـةً مُقْبِلِينَـا
لَعَـلَّ فيهِـمْ نَصِـيرًا * لَعَـلَّ فيهِـمْ مُعِينـا

العـربىّ :

هَوِّنْ عليكَ، تَماسَكْ * إنِّى سَمِعْتُ أَنِينَـا (٥)
أَظُنُّ هَـذَا جَرِيحًـا * يَشْكُو الأَسَى أَوْ طَعِينـا
باللهِ ماذا دَهَـاهُ * يا هَـذه خَـبِّرِينـا؟

(١) يريد « بطبائع العمران » : سُنَنه فى الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتى .
(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .
(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تمالك .

ليـــلى :

لقـد دهتـهُ المنـايا * مِنْ غارة الخائنينـا
صَبُّوا علينـا الرَّزايا * لَمْ يتَّقُـوا اللهَ فينـا
خَفِّفُـوا مِنْ أذاهُ * إنْ كنـتمُ فاعلينـا

العـــربيّ :

لا تيـأسي، وتجمَّـلِـي * أراكِ شهمًا رَكينـا[1]
أبشِـرْ فإنكَ ناجٍ * واصبِرْ مع الصّابرينا

الطبيب :

أواه إنّي أراهُ * بالموت أمسَى رهينـا
جراحُـه بالغـاتٌ * تُعْيِي الطّبيبَ الفَطينـا
وعَنْ قريبٍ سيَقْضِي * غَضَّ الشّبابِ حَزينـا[2]

العـــربي :

أفٍّ لقـومٍ جبـاعٍ * قـد أزْعَجُـوا العالَمينـا
قِـراهُمُ أين حَلُّوا * ضَرْبٌ يَقُـدُّ المُتُـونا[3]
عَقُـوا المُروءَةَ هَـدُّوا * مَفاخِـرَ الأوَّلينـا
عاثُوا فَسـادًا وفَـرُّوا * يَسْتَعْمِلُونَ السُّـفينـا[4]

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضي يموت . (٣) القِـرى : ما يقدم للضيف . ويقُـدّ : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

وألبسوا الغرب خزيًا * فى قرنه العشرينا

وأجمعوا كل داعٍ * وأخرجوا المصلحينا

فيا (أربة) مهلًا * أين الذى تدّعينا

ما ذا تريدين منّا * والداءُ أمسى دفينا

أين الحضارة إنّا * بعيشنا قد رضينا

لم نؤذِ فى الدهر جارًا * ولم نخاتل خدينا (١)

(مسرّة) الشام إنّا * إخوانكم ما خئينا (٢)

ثقوا فإنّا وثقنا * بكم وجئنا قطينا (٣)

إنّا نرى فيك (عيسى) * يدعو إلى الخير فينا

قربت بين قلوب * قد أوشكت أن تبينا (٤)

فانت فخر النصارى * وصاحبُ المسلمينا

البحر :

رأيتُ يأسَ طبيبي * وهمّه فى فؤادى

لا تنددينى فإنّى * أقضى وتحيا بلادى

---

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى فى هذه الحادثة .

(٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين والنصارى أهل وطن واحد فى تلك البلاد .

(٤) تبين : تنفصل .

العـــربى :

أَســـتَوْدِعُ اللهَ شَهْمًا * نَدْبًا طَـوِيلَ النِّجَادِ (١)

أَسْـــتَودِعُ اللهَ رُوحًا * كانَتْ رَجاءَ البِـــلادِ

فيـا شَهِيـدًا رَمَتْـــهُ * غَدْرًا كُرَاتُ الأَعادِى

نَمْ هانِئًـا مُطْمَـــئِنًّا * فســلَمْ تَنَمْ أَحْقَـادِى

فَسَـوْفَ يُرْضِـيكَ ثَأْرٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الجَـمَادِ

استقبال الطيار العثمانى فتحى بك

نشرت فى سنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهْـــلًا بِاوَّلِ مُسْـــلِمٍ * فى المَشْرِقَيْنِ عَـلَا وَطَـارْ

النِّيـــلُ والبُسْـــفُورُ فِيـ * ـكَ تَجاذَبَا ذَيْـــلَ الفَخَارْ (٢)

يـومَ اسْتَطَيْتَ بُراقَـكَ الـ * ـمَيْمُونَ وَاجْـتَزْتَ القِفارْ (٣)

تَلْهُـــو وتَعْبَثُ بالـــرِّيَا * حِ عـلى المَفـاوِزِ والبِحارْ (٤)

---

(١) الندب : الذى اذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حامل السيف . وطول النجاد : كناية عن طول القامة .

(٢) كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا .

(٣) البراق : الدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمنها .

(٤) المفاوز : جمع مفازة، وهى الفلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

لو سابقتك سوابق الـ * ـأفكار أدركها العثار (١)

حسدتك فى الأفق البرو * ق وغار فى الأرض البخار (٢)

تجرى بسابحة تشق * سبيلها شق الإزار (٣)

وتكاد تقدح فى الأثير * بر فيستحيل الى شرار

مثل الشهاب انقض فى * آثار عفريت وثار (٤)

فإذا علت فكدعوة الـ * ـمضطر تخترق الستار (٥)

وإذا هوت فكما هوت * أنثى العقاب على الهزار (٦)

وتسف آونة وآ * ونة يجيد بها الزوار (٧)

فيخالها الراءون قد * قرت وليس بها قرار

لعب الجواد أقل لبـ * ـثا من قضاعة أو نزار (٨)

---

(١) يصفه فى هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القوارير البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها الفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة فى سرعتها بالشهاب الذى كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى فى الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهى تخترق الآفاق من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت : هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهزار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع الصوت ؛ ويقال له : العندليب . (٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازورار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «لبثا من قضاعة أو نزار» عن كون الفارس عربيا . يقول : إن هذه الطائرة تلعب فى سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربى . وقضاعة ونزار : قبيلتان معروفتان .

أو كالنُّعُوبِ مِنَ الحَمَا * يِيمِ فَوْقَ مَلْعَبِهِ اسْتَطَارْ

وَكأنَّها فى الأفْقِ حِي * نَ يَمِيلُ مِيزانُ النَّهَارْ (١)

والشَّمسُ تُلْقِي فَوْقَها * حُلَلَ اصْفِرارٍ واحْمِرارْ

مَلِكٌ تُمَثِّلُهُ لنا (السِّيما) فيأخُذُنا ائْتِهارْ

(فَتْحِى) بِرَبِّكَ ما رَأَيْـ * ـتَ بِذلِكَ الفَلَكِ المُدارْ

أبَلَغْتَ تَسْبِيحَ المَلا * ئِكِ أو دَنَوْتَ مِنَ السِّرارْ (٢)

أمْ خِفْتَ تِلكَ الرَّاصِدا * تِ هُنالِكَ مِنْ شُهُبٍ وَنارْ (٣)

أرأيتَ سُكَّانَ النُّجُو * مِ وأنتَ فى ذاكَ الجِوارْ

أهُنالِكَ فى (المِرِّيخِ) ما * فى الأرْضِ مِن عِلَلِ الشِّجارْ (٤)

أهُنالِكَ يَسْتَعْدِى الضَّعِيـ * ـفُ على القَوِيِّ فلا يُجارْ (٥)

ما لِابنِ آدمَ زادَ فى * غُلَوائِهِ فطَغَى وجارْ (٦)

يالَيْتَ شِعْرِى هَلْ لَهُ * فى عالَمِ المَلَكُوتِ ثارْ (٧)

---

(١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .

(٢) السرار (بالكسر) : مصدر سارّه (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سارّ فلان فلانا بسارّه : اذا ناجاه وأعلمه بسره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو إلى حيث يسمع مناجاة الملائكة فى السماء .

(٣) الراصدات : الشهب التى أعدّها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء ، قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .

(٤) الشجار : النزاع والخصام .

(٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعدانى ، أى استصنت به عليه فأعاننى وأنصفنى منه .

(٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التمادى . والمراد هنا : التمادى فى الأمل والطموح .

(٧) الثار : الثأر ، وسهلت الهمزة للشعر .

أم لاذَ مُعْتَصِمًا بكُرْ * سِيِّ المُهَيْمِنِ واستَجارْ

فاستَلَّ مِنْ قَلْبِ الجَما * دِ الصُّلْبِ أَجْنِحَةً وَطارْ (١)

وتَسَلَّقَ الأَجْواءَ ثُمْ * تَعْطَّى عَواصِفَها وسارْ

يَرْجُو النَّجاءَ مِنَ المَظا * لِمِ والمَغارِمِ والدِّمارْ (٢)

يأْتِيها الطَّيّارُ طِرْ * فإذا بَلَغتَ مَدَى المَطارْ (٣)

فزُرِ السُّهَا والفَرْقَدَيْـ * ـنِ إذا أُتيحَ لكَ المَزارْ (٤)

وسَلِ النُّجومَ عنِ الحَيا * ةِ ففي السُّؤالِ لكَ اعتِبارْ

هُمْ يُنْبِئُونَكَ أنَّ كُلَّ الكائِناتِ إلى بَوارْ (٥)

والظُّلْمُ مِنْ طَبعِ النُّظا * مِ فإنْ ظُلِمْتَ فلا تُمارْ (٦)

إنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّدِيـ * ـمَ هو الَّذِي بَرَأَ الغُبارْ (٧)

فى العالَمِ العُلْوِيِّ والـ * ـسُّفْلِيِّ أحكامٌ تُدارْ

خُلِقَ الضَّعِيفُ لخِدمةِ الـ * ـأَقْوَى وليس له خِيارْ

فتَقَوَّ يَرْهَبْكَ القَوِ * ىُّ وهُنْ يُلازِمْكَ الصَّغارْ (٨)

---

(١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .

(٤) السها : كوكب خفى لبعده ، وهو فى بنات نعش الصغرى . والفرقدان : نجمان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مماراة : جادله ونازعه . يقول لا تنازع فى ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل ، والصغار : الذل .

فى الأرض ما تبغون من * عز وآمال كبار
فيها الحديد وفيه بأ * س يوم يمتهن الدمار (١)
فيها الكنوز الحافلا * ت لمن تبصر وآستنار
منها استمد قواه من * قهر الممالك وآستعار (٢)
وبما احتوت ردّ الحصيـ * ـف الرأي غارة من أغار (٣)
فى ذمة الآفاق سر * وآرجع إلى تلك الديار (٤)
واجعل تحيتنا إلى * بلد به لملكك دار (٥)
دار عليها للخلا * فة والهدى رفع المنار
دار الغزاة الفائحيـ * ـن من الصفوة الغر الخيار
فى كل حاضرة لهم * غزو ففتح فانتصار
ضربوا الزمان بسوط عز * تهم فلان لهم قدار (٦)
يمشون فى ظاب القنا * مشى المترنح بالعقار (٧)

(١) الدمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن فى الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة تعز بها وتدفع كل من يحاول أن يمتدى علينا وينتهك من حرماتنا . (٢) « استعار » : معطوف على « استمد » ، أى استعار منها قوته وبأسه . (٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه وسديده .
(٤) يريد « بالدار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآستانة مقر الخلافة .
(٦) دار » أى دار الزمان لهم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالظاب فى كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمترنح بها : الذى يتمايل فى مشيته سكرا ، شبه الجنود وقد مشوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرا .

مِنْ كلِّ أَرْوَعَ فاتِكٍ (١) * لا يَسْتَثِيرُ سِوَى الفِرارْ

ذِى مِرَّةٍ تُثْنِيجِيه ذا (٢) * تُ النَّقْعِ لا ذاتُ الخِمارْ

يَغْشَى المَعامِيعَ ضارِباً (٣) * بِحَياتِه ضَرْبَ القِمارْ

لا يَنْثَنِي أو تَخْرُجَ الـ (٤) * أَبْرامُ عَنْ فَلَكِ المَدارْ

عَبَسَتْ لهُمْ أيّامُهُمْ (٥) * والعَبْسُ يَعْقُبُهُ ٱفْتِرارْ

ما عابَهُمْ أنّ الصُّعُو * دَ يَلِيهِ فى الدَّهْرِ ٱنْحِدارْ

فلِكُلِّ غادٍ رَوْحَةٌ (٦) * ولِكُلِّ وُضّاءٍ سِرارْ

ولَسَوْفَ يَعْلُو نَجْمُهُمْ (٧) * ويَسُودُ ذَيّاكَ الشِّعارْ

---

(١) الأروع : هو الذى يعجبك بشجاعته ومنظره . والفرار (بالكسر) : حدّ السهم والرمح والسيف .

(٢) المرة : قوة الخلق (بضم الخاء) ورشدته واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تثيره من النقع ، وهو الغبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطى به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بجمالهن .

(٣) المعامع : الحروب ؛ الواحدة : معمعة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .

(٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها فى الدوران .

(٥) العبس : العبوس . والافترار : التبسم والضحك الحسن .

(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والسرار (بكسر السين) : الليلة التى يستسر فيها القمر ، أى يختفى ، وذلك لا يكون إلا فى آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكنى بذلك عما يتهى اليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب .

(٧) يريد « بالشعار » : الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا فى مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السر مكماهون

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

أيْ (مَكْمَهُونُ) قَدِمْتَ بالْـ * ـقَصْدِ الحميدِ وبالرِّعايَهْ

ما ذا حَمَلْتَ لنا عَنِ الْـ * ـمَلِكِ الكبيرِ وعن (غِرايَهْ)؟ (١)

أَوْضِحْ (لِمِصْرَ) الفَرْقَ ما * بَيْنَ السِّيادَةِ والحِمايَهْ

وأَزِلْ شُكُوكًا بالنُّفُو * سِ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ البِدايَهْ

ودعِ الوُعُودَ فإنَّها * فيما مَضَى كانتْ رِوايَهْ

أَمْحَتْ رُبُوعَ النِّيلِ سَلْـ * ـطَنَةً وقد كانَتْ وِلايَهْ

فَتَعَهَّدُوها بالصَّلا * حِ وأَحْسِنُوا فيها الوِصايَهْ

إنَّا لَنَشْكُو واثِقِي * نَ بعَدْلِ مَنْ يُشْكَى الشَّكايَهْ (٢)

نَرْجُو حَياةً حُرَّةً * مَضْمُونَةً فى ظِلِّ رايَهْ

ونَرُومُ تَعْلِيمًا يَكُو * نُ له مِنَ الفَوْضَى وِقايَهْ

ونَوَدُّ ألَّا تَسْمَعُوا * فينا السِّعايَةَ والوِشايَهْ

أنتمْ أَطِبَّاءُ الشُّعُو * بِ وأَنْبَلُ الأُقْوامِ غايَهْ

---

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراى، وزير خارجية انجلترا إذ ذاك.

(٢) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه، وأرضيته وأزلت شكايته.

أنّى حَلَلْتُمْ فى البِلا * دِ لكمْ مِنَ الإصْلاحِ آيَهْ
رَسَخَتْ بِنايَةُ مَجْدِكُمْ * فَوْقَ الرَّوِيَّةِ والهِدايَهْ (١)
وعَدَلْتُمُ فَمَلَكْتُمُ الـ * ـدُّنْيا وفى العَدْلِ الكِفايَهْ
إنْ تَنْصُرُوا المُسْتَضْعَفِيـ * ـنَ فنَحْنُ أَضْعَفُهُمْ نِكايَهْ
أو تَعْمَلُوا لِصَلاحِنا * فَمَدارُكُوه إلى النِّهايَهْ
إنّا بَلَغْنا رُشْدَنا * والرُّشْدُ تَسْبِقُه الغَوايَهْ
لَا تَأْخُذُونا بالكَلا * مِ فلَيْسَ فى الشَّكْوَى جِنايَهْ
هَذا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَرْ * شِ (النِّيلِ) تَحْرُسُه العِنايَهْ
هُوَ خَيْرُ مَنْ يَبْنِي لنا * فَدَعُوه يَنْهَضْ بالبِنايَهْ

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

قالها بنكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت فى بنايرسنة ١٩١٥ م]

لله آثارٌ هُناكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوائِعَ حُسْنِها (بِرْلِينُ) (٢)
طاحَتْ بها تِلْكَ المَدافِعُ تارَةً * لمّا أَمَرْتَ وتارةً (زِبْلِينُ) (٣)

---

(١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التأنى فى الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها، أى محتها . وزبلين : يريد نوعا من الطائرات سمى باسم مخترعه ، وهو الكونت زبلين الألمانى .

ما ذا رأيتَ مِنَ النَّبَالة والعُلا * فى صُدْيهِنَّ وكُلُّهُنَّ عُيُونُ (١)

لو أنّ فى (برلين) عِنْدَكَ مِثْلَها * لعرفتَ كيف تُجِلُّها وتَصُونُ

إنْ كنتَ أنتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فإنّه * أَوْدَى يَجِدِكَ رُكْنُها المَوْهُونُ (٢)

لَمْ يُغْنِ عنها مَعْبَدٌ خَرَّبْتَه * ظُلْمًا ولَمْ يُمْسِكْ عِنانَكَ دِينُ

لا تَحْسَبَنَّ الفَخْرَ ما أَحْرَزْتَه * الفَخْرُ بالذِّكْرِ الجَمِيلِ رَهِينُ

هلْ شِدْتَ فى (برلين) غيرَ مُعَسْكَرٍ * قامَتْ عليه مَعاقِلٌ وحُصُونُ

وجَمَعْتَ شَعْبَكَ كلَّه فى قَبْضَةٍ * إنْ لَمْ تَكُنْ لانَتْ فسَوْفَ تَلِينُ

نَظَمَتْ تِجارَتُكَ المَدائِنَ والقُرَى * (فالنِّيلُ) ناءَ بها وناءَ (السِّينُ) (٣)

فبكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجالِكَ عُصْبَةٌ * وبكلِّ بَحْرٍ مِنْ لدُنْكَ سَفِينُ

تَسْرِى وتَسْرُكَ أَيْنَ لُحْنَ يُظِلُّها * لا اللَّيْثُ يُزْعِجُها ولا التِّنِّينُ (٤)

فالأَمْرُ أمرُكَ والمُهَنَّدُ مُغْمَدٌ * والنَّهْىُ نَهْيُكَ والسُّرَى مَأْمُونُ (٥)

---

(١) عدمهن ، أى فقدانهن وذهابهن .

(٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم فى الحرب الأخيرة ، ثم جددت بعد انتهائها . والموهون : الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتداءك على هذا البلد أظهرك بمظهر المخرب فانهدم بذلك ما بنيته من مجد وفخر .

(٣) يقال : ناء بالحمل ، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظللة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهند : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

قد كان فى (برلين) شعبك وادعاً * يستعمر الأسواق وهى سكون[1]

فتحت له أبوابها فسبيلها * وقف عليه ورزقه مضمون

فعلام أرهقت الورى وأثرتها * شعواء فيها للهلاك فنون؟[2]

تالله لو نصرت جيوشك لانطوى * أجل السلام وأقفر المسكون

ستبعون مليونا إذا وزعتها * بين الحواضر تالنا مليون

ويل لمن يستعمرون بلاده * القحط أيسر خطبه والهون[3]

أكثرت من ذكر الإله تورعا * وزعمت أنك مرسل وأمين

عجبا أتذكره وتملأ كونه * ويلا لينعم شعبك المغبون

وكذلك القصاب يذكر ربه * والنصل فى عنق الذبيح دفين

---

(١) الوادع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذى وجدناه فى كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفى التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، أى أذن لكم فى عمارتها . ولم نجد فى كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحـــرب العظمى

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٥ م]

لاهُمَّ إنَّ الغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوْلِها أُمُّ الصَّواعِقِ تَفْرَقُ (١)

العِلْمُ يُذْكِى نارَها وتُثيرُها * مَدَنِيَّـةٌ خَـرْقاءُ لا تَتَرَفَّـقُ (٢)

ولقد حَسِبْتُ العِلْمَ فينا نِعْمَةً * تَأْسو الضَّعيفَ ورَحْمَةً تَتَدَفَّقُ (٣)

فإذا بِنِعْمَتِـهِ بَـلاءٌ مُرْهِـقٌ * وإذا بِرَحْمَتِـهِ قَضـاءٌ مُطْبِـقُ (٤)

عَجَـزَ الرُّماةُ عن الرُّماةِ فأَرْسَلُوا * كِسَفًا يَمُوجُ بها دُخانٌ يَخْنُـقُ (٥)

تَتَعَوَّذُ الآفاقُ منـــه وتَتَّقِي * عَنْـهُ الرِّياحُ ويَتَّقِيـهِ الفَيْلَقُ (٦)

وتَسابَقُوا بالكِيمياءِ فأَسْـرَفُوا * وتساجَلُوا بالكَهْرَباءِ فأَغْرَقُوا (٧)

وتَنازَلُوا فى الجَوِّ حين بَدَا لَهُمْ * أنَّ البَسيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ

تَفِسُوا على الحِيتانِ واسعَ مُلْكِها * فتَفَنَّنُـوا فى سَـلْبِه وتَأَنَّقُـوا (٨)

مَلَكُوا مَسابِحَها عليْهـا بَعْدَ ما * غَلَبُوا النُّسُورَ على الجَواءِ وحَلَّقُوا (٩)

إنْ كانَ عَهْدُ العِلْمِ هَذا شَأْنُه * فينا فعَهْـدُ الجاهِلِيَّـةِ أَرْفَـقُ

---

(١) لاهم ، أى اللهم . وتفرق : تخاف وتفزع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحمقاء . ويشير الى أن العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب . (٣) تأسو الضعيف ، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من النازات السامة التى استعملت فى الحرب أخيرا ، شبهها بكسف السحاب ، أى قطعه ؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنابل : الرامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيمائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ م

ونشرت إذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرها فى الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَـرَجَ الغَـوانِى يَحْتَجِجْـ * ـنَ ورُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنْ

فإذا بِهِنَّ تَخِـذْنَ مِنْ * سُـودِ الثِّيـابِ شِـعارَهُنْ

فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَواكِبٍ * يَسْطَعْنَ فى وَسَطِ الدُّجُنْ[1]

وأَخَذْنَ يَخْتَرْنَ الطَّرِيـ * ـقَ ودارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهُنْ

يَمْشِينَ فى كَنَفِ الوَقا * رِ وقـد أَبَنَّ شُعُورَهُنْ

وإذا بِجَيْـشٍ مُقْبِـلٍ * والخَيْـلُ مُطْلَقَـةُ الأَعِنَّـهْ

وإذا الجُنـودُ سُيُوفُهـا * قـد صُوِّبَتْ لنُحُورِهِنَّـهْ

وإذا المَـدافِـعُ والبَنـا * دِقُ والصَّـوارِمُ والأَسِـنَّهْ[2]

والخَيْـلُ والفُـرسانُ قَـدْ * ضَرَبَتْ نِطاقًا حَوْلَهُنَّـهْ

والـوَرْدُ والرَّيْحَانُ فى * ذاكَ النَّهـارِ سِـلاحُهُنَّهْ

فَتطاحَنَ الجَيْشانِ سا * عاتٍ تَشِيب لها الأَجِنَّـهْ

فَتَضَعْضَعَ النِّسْـوانُ والنِّسْـوانُ ليس لهنَّ مُنَّـهْ[3]

ثم انْهَـزَمْنَ مُشَتَّتا * تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصورِهِنَّهْ

---

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوة .

فليهنأ الجيش الفخو * ر بنصره وبكسرهنّه
فكأنما الألمان قد * لبسوا البراقع بينهنّه
وأتوا (بهندنبرج)[1] محـ * ـتفيا بمصر يقودهنّه
فلذاك خافوا بأسهن * واشفقوا من كيدهنّه

أياصوفيا[2]

قالها حين خيف على الآستانة أن تملكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك
وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصوفيا)[3] حان التفرّق فاذكري * عهود كرام فيك صلّوا وسلّموا
اذا عُدّيت يوما للصليب وأهله * وحلّ نواحيك المسيحُ ومريمُ[4]
ودُقّت نواقيس وقام مُزمّرٌ * من الروم في محرابه يترنّمُ
فلا تُنكري عهد المآذن إنه * على الله من عهد النواقيس أكرمُ

---

(١) هندنبرج، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى.

(٢) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب.

(٣) أياصوفيا: أعظم مسجد في القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق فتولها العثمانيون مسجدا.

(٤) يريد صورتي عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة.

تَبارَكْتَ، (بَيْتُ القُدْسِ) جَذْلانُ آمِنٌ * ولا يَأْمَنُ (البَيْتَ العَتِيقَ) المُحَرَّمُ (١)

أيُرْضِيكَ أنْ تَغْشَى سَنابِكُ خَيْلِهِمْ * حِماكَ وأنْ يُمْنَى (الحَطِيمُ) و(زَمْزَمُ)؟ (٢)

وكيف يَذِلُّ المُسْلِمُونَ وبَيْنَهُمْ * كِتابُكَ يُتْلَى كلَّ يَوْمٍ ويُكْرَمُ؟

نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَياءً وأنْصارُ الحَقِيقَةِ نُوَّمُ

عَصَيْنا وخالَفْنا فعاقَبْتَ عادِلًا * وحَكَّمْتَ فينا اليومَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلي يكن باشا بعد عودته من أوربا فاتحا المفاوضة مع الانجليز ومستقيلا من الوزارة . نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م

وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَ الخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كيفَ أبْنِي قَواعِدَ المَجْدِ وَحْدِي

وبُناةُ الأهْرامِ في سالِفِ الدَّهْـ * ـرِ كَفَوْنِي الكَلامَ عندَ التَّحَدِّي

أنا تاجُ العَلاءِ في مَفْرِقِ الشَّرْ * قِ ودُرَّاتُهُ فَرائدُ عِقْدِي (٣)

أيُّ شَيْءٍ في الغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّا * سَ جَمالًا ولَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

---

(١) كنى «ببيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين . يقول : إن معابد النصارى في فرح وأمن ، ومعابد المسلمين في خوف وفزع . (٢) سنابك الخيل : أطراف حوافرها ؛ الواحد سنبك . ويمنى : يخل ويصاب . والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآستانة في يد الإفرنج خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن في سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء (بالفتح والمد) : الرفعة والشرف . والمفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر التي لا نوائم لها لنفاستها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : ممالك الشرق التي كان لمصر الزعامة عليها .

فتُرابي تِبْرٌ ونَهْري فُراتٌ * وسَمائي مَصْقُولَةٌ كالفِرِنْد (١)

أيْنَما سِرْتَ جَدْوَلٌ عِنْدَ كَرْمٍ * عِنْدَ زَهْرٍ مُدَبَّرٍ عِنْدَ رَنْد (٢)

ورِجالي لو أنْصَفُوهُمْ لَسادُوا * مِنْ كُهُولٍ مِلْءِ العُيُونِ ومُرْد (٣)

لو أصابُوا لَهُمْ مَجالًا لأبْدَوْا * مُعْجِزاتِ الذَّكاءِ في كلِّ قَصْد

إنَّهُمْ كالظُّبا أُلِحَّ عليها * صَدَأُ الدَّهْرِ مِنْ تَواءٍ وغِمْد (٤)

فإذا صَيْقَلُ القَضاءِ جَلاها * كُنَّ كالمَوْتِ مالَهُ مِنْ مَرَدّ (٥)

أنا إنْ قَدَّرَ الإلهُ مَماتي * لا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرأسَ بَعْدي

ما رَمانِي رامٍ وَراحَ سَلِيمًا * مِنْ قَديمِ عِنايَةِ اللهِ جُنْدي

كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَيَّ وجارَتْ * ثُمَّ زالَتْ وتِلْكَ عُقْبَى التَّعَدِّي

إنَّني حُرَّةٌ كَسَرْتُ قُيُودي * رَغْمَ رُقْبَى العِدَا وقَطَّعْتُ قِدِّي (٦)

وتَماثَلْتُ للشِّفاءِ وقَدْ دَا * يْتُ حَيْنِي وهَيَّأَ القَوْمُ لَحْدي (٧)

قُلْ لِمَنْ أنْكَرُوا مَفاخِرَ قَوْمي * مِثْلَ ما أنْكَرُوا مَآثِرَ جُدِّي

هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمَّةِ الهَرَمِ الأكْـ * ـبَرِ يومًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدي؟ (٨)

---

(١) الفرات : العذب ، والفرند : السيف . (٢) مدبر ، أى مختلف الألوان ، أو مشرق متلألئ . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : الغار . (٣) ملء العيون ، أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته . (٤) الظبا : جمع ظبة ، وهى حدّ السيف واللسان ونحوهما . والتواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف وجاليها ، والجمع صياقل وصياقلة . (٦) رقبى العدا ، أى مراقبتهم لى . والقد : القيد يقدّ من جلد . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . (٨) فريتم ، أى فرأيتم .

هَلْ رَأَيْتُمْ تلك النُّقُوشَ اللَّواتِي * أَعْجَزَتْ طَوْقَ صَنْعَةِ المُتَحَدِّي؟ (١)

حالَ لَوْنُ النَّهارِ مِنْ قِدَمِ العَهْـ * ـدِ وما مَسَّ لونَها طُولُ عَهْدِ (٢)

هل فَهِمْتُمْ أسرارَ ما كان عِنْدِي * مِنْ عُلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيَّ بُرْدِي؟ (٣)

ذاكَ فَنُّ التَّحْنِيطِ قد غَلَبَ الدهـ * ـرَ وأَبْلَى البِلَى وأَعْجَزَ نِدِّي

قد عَقَدْتُ العُهودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْ * نَ ففِي (مِصْرَ) كان أولُ عَقْدِ (٤)

إنَّ مَجْدِي فى الأوَلِيَّاتِ عَرِيقٌ * مَن له مِثْلُ أُولِيَّاتِي ومَجْدِي؟ (٥)

أنا أُمُّ التَّشْرِيعِ قد أَخَذَ الرُّو * مانُ عَنِّي الأصولَ فى كلِّ حَدِّ (٦)

ورَصَدْتُ النُّجومَ مُنْذُ أَضاءَتْ * فى سَماءِ الدُّجَى فأَحْكَمْتُ رَصْدِي (٧)

وشَدا (بنتئور) فَوْقَ رُبوعِي * قَبْلَ عَهْدِ اليُونانِ أو عَهْدِ (نَجْدِ) (٨)

---

(١) الطوق : الطاقة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعك الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حددا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرغ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك ، وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أسبقهم أخذت هذا العلم عن المصريين ، وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصورات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتاور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . و«قبل عهد اليونان» ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

وقديما بَنَى الأساطيلَ قَوْمِى * فَفَرَقْنَ البحارَ يَمْلِكْنَ بَنْدِى (١)

قَبْلَ أسطُولِ (نلسن) كان أسطو * لِى سَرِيًّا وطالِعِى غيرَ نَكْدِ (٢)

فَسَلُوا البَحْرَ عن بَلاءِ سَفِينِى * وسَلُوا البَرَّ عن مَواقِعِ جُرْدِى (٣)

أتُرانِى وقد طَوَيْتُ حَياتِى * فى مِراسٍ لَمْ أَبْلُغِ اليَوْمَ رُشْدِى ؟

أىُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّى بعَيْشٍ * وارِفِ الظِّلِّ أخضرِ اللَّوْنِ رَغْدِ ؟ (٤)

أمَنَ العَدْلِ أنهم يَرِدُونَ الـ * ـماءَ صَفْوًا وأنْ يُكَدِّرَ وِرْدِى ؟

أمِنَ الحَقِّ أنهم يُطلِقُونَ الـ * ـأسَدَ منهم وأنْ تُقَيَّدَ أُسْدِى ؟

نِصْفُ قَرْنٍ إلّا قليلا أُعانِى * ما يُعانِى هَوانَه كلُّ عَبْدِ

نَظَرَ اللهُ لى فأَرْشَدَ أبنا * ئِى فشَدُّوا إلى العُلَا أىَّ شَدِّ

إنّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدّ * ـيّانِ أمْضَى مِنْ كلِّ أبيَضَ هِنْدِى (٥)

قد وَعَدْتُ العُلا بكلِّ أبِىٍّ * مِن رِجالِى فأَنْجِزُوا اليومَ وَعْدِى

أمهِرُوها بالرُّوحِ فهى عَرُوسٌ * تَشْتَهِى المَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ ونَقْدِ (٦)

---

(١) فرقن البحار : شققنها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء ، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية ، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنين .

(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزى الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت فى موقعة أبى قير المعروفة . والنكد : الشؤم .

(٣) الجرد : الخيل . ويريد بالجيوش البرية .

(٤) الوارف من الظلال : الواسع الممتد .

(٥) الأبيض الهندى : السيف .

(٦) تشتهى : تركه . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شىء سوى الدراهم والدنانير .

وَرِدُوا بِى مَنَاهِلَ العِزِّ حَتَّى ... يَخْطُبَ النجمُ فى المجَرَّةِ وُدِّى (١)

وَٱرْفَعُوا دَوْلَتِى على العِلْمِ والأَخْـ ... ـلاقِ فالعِلْمُ وَحْدَهُ ليس يُجْدِى (٢)

وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ فالصبرُ إنْ فا ... رَقَ قوماً فما لَهُ مِنْ مَسَدِّ (٣)

خُلُقُ الصَّبْرِ وَحْدَه نَصَرَ القَوْ ... مَ وَأَغْنَى عن ٱخْتِراعٍ وعَدِّ (٤)

شَهِدُوا حَوْمَةَ الوَغَى بِنُفُوسٍ ... صابِراتٍ وأَوْجُهٍ غيرِ رُبْدِ (٥)

فَحَا الصَّبْرُ آيةَ العِلْمِ فى الحَرْ ... بِ وأَنْحَى على القَوِىِّ الأَشَدِّ (٦)

إنّ فى الغَرْبِ أَعْيُنًا راصداتٍ ... كَلَّتْها الأَطْماعُ فيكمْ بِسُهْدِ (٧)

فَوْقَها مِجْهَرٌ يُرِيها خَفايَا ... كُمْ ويَطْوِى شُعاعُهُ كلَّ بُعْدِ (٨)

فٱتَّقُوها بِجُنَّةٍ مِنْ وِئامٍ ... غيرِ رَثِّ العُرَا وسَعْىٍ وكَدِّ (٩)

وٱصْفَحُوا عن هَنَاتِ مَنْ كانَ منكمْ ... رُبَّ هافٍ هَفَا على غيرِ عَمْدِ (١٠)

---

(١) « يخطب النجم ... الخ » : كناية عن العلو والرفعة . (٢) يجدى : ينفع .

(٣) من مسد ، أى من شىء يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوغى : المعرب ، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها : ساحتها . وربد : عابسة متجهمة ، الواحد أربد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما اخترعه العلم من أسلحة . وأنحى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .

(٧) « كلتها الأطماع ... الخ » ، أى إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لا تذوق النوم ، تعنى بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك فى الحرب . والرث : البالى . ويريد « بالعرا » : الصلات والروابط ، الواحدة عروة . (١٠) الهنات : جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره فى ذلك الحين على رأسة المفاوضات الرسمية .

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعْثُرُ الآ * راءُ فيه وعَثْرَةُ الرأيِ تُرْدِى (١)
وتُثِيرُ الأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِن خِلافٍ والحُلْفُ كالسَّلِّ يُعْدِى (٢)
وتُثِيرُ الفَوْضَى على جانِبَيْهِ * فيُعِيدُ الجَهُولُ فيها ويُبْدِى (٣)
ويَظُنُّ الغَوِىُّ أَنْ لا نِظامٌ * ويَقُولُ القَوِىُّ قد جَدَّ جِدِّى
فقِفُوا فيه وَقْفَةَ الحَزْمِ وارْمُوا * جانِبَيْهِ بعَزْمَةِ المُسْتَعِدِّ
إِنَّنا عند فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ * قد قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ ووَجْدِ
غَمَرَتْنَا سُودُ الأَهَاوِيلِ فيهِ * والأَمانِىُّ بَيْنَ جَزْرٍ ومَدِّ (٤)
وتَجَلَّى ضِياؤُه بَعْدَ لَأْيٍ * وهو رَمْزٌ لعَهْدِىَ المُسْتَرَدِّ (٥)
فاسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وجِدُّوا * فالمَعَالى مَحْطُوبَةٌ للجِدِّ (٦)

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت فى أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

مالِى أَرَى الأَكْمَامَ لا تُفَتَّحُ * والرَّوْضَ لا يَذْكُو ولا يُنَفَّحُ (٧)
والطَّيْرَ لا تَلْهُو بتَنْوِيمِهَا * فى مُلْكِهَا الواسِعِ أَوْ تَصْدَحُ (٨)

---

(١) تردى : تهلك . (٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم بحلوا الأولى بكرا ، وهى أشد الحروب . (٣) الضمير فى قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدم ذكره . (٤) الأهاويل : جمع أهوال . (٥) بعد لأى ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة .
(٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأكمام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . ويذكو : تسطع رائحته . وينفح : يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء ، فلعل حافظا رأى هذه الصيغة فى كلام بعض المولدين . (٨) تنويم الطائر : تحليقه فى الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

والنِّيلَ لا تَرْقُصُ أمواهُه * فَرَحًا ولا يَجْرِى بها الأَبْطَحُ[1]

والشمسَ لا تُشْرِقُ وُضَّاءَةً * تَجْلُو هُمومَ الصَّدْرِ أو تَنْزِحُ[2]

والبَدْرَ لا يَبْدُو على ثَغْرِه * مِنْ بَسَماتِ اليُمْنِ ما يَشْرَحُ

والنَّجْمَ لا يَزْهَرُ فى أُفْقِه * كأنّه فى غَمْرَةٍ يَسْبَحُ[3]

أَلَمْ يَجِئْها نَبَأٌ جاءَنا * بأنّ مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟[4]

أَصْبَحْتُ لا أَدْرِى على خِبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الأَيّامُ أَمْ تَمْزَحُ؟

أَمَوْقِفٌ لِلجِدِّ تَجْتازُه * أَمْ ذاكَ لِلّاهِى بِنا مَسْرَحُ؟

أَلْمَحُ لاسْتِقْلالِنا لَمْعَةً * فى حالِكِ الشَّكِّ فأَسْتَرْوِحُ[5]

وتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثارَها * فأَنْثَنِى أُنْكِرُ ما أَلْمَحُ

قد حارَتِ الأَفْهامُ فى أَمْرِهِمْ * إنْ نَحْوُا بالقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا[6]

فقائِلٌ لا تَعْجَلُوا إنَّكُمْ * مَكانَكُمْ بالأَمْسِ لم تَبْرَحُوا[7]

وقائِلٌ أَوْسِعْ بها خُطْوَةً * وَراءَها الغايةُ والمَطْمَحُ

وقائِلٌ أَسْرَفَ فى قَوْلِهِ : * هٰذا هُوَ اسْتِقْلالُكُمْ فافْرَحُوا

---

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاءة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابى منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه ، وأصله من نزح البئر ، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل . (٣) يزهر : يضىء ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واسترواح إلى الشىء : سكون إليه واطمئنان . (٦) الضمير فى «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تعجلوا : أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضا بهذا الاستقلال المزعوم ، فإن حالتكم لم يعتريها ما يسر .

إنْ تَسْأَلُوا العَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا * واسْتَوْثِقُوا فى عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا
وأَسِّسُوا دارًا لِتُوَاكُمْ * لِلرَّأْيِ فيها والنُّهَى أَفْسَحُوا (١)
ولْتَذْكُرِ الأُمَّةُ مِيثاقَها * أَلَّا تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ
وتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنائِها * فِنْهُمُ المُخْلِصُ والمُصْلِحُ
ولْيَتَّقِ اللهَ أُولُو أَمْرِها * أَنْ يُسْكِتُوا الأَصْواتَ أَوْ يُرْفِحُوا (٢)

* * *

أو تَسْأَلُوا القَلْبَ يَقُلْ حاذِرُوا * وصابِرُوا أَعْداءَكُمْ تُفْلِحُوا (٣)
إِنِّى أَرَى قَيْدًا فلا تُسْلِمُوا * أَيْدِيَكُمْ فالقَيْدُ لا يُسْجَحُ (٤)
إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فهو على لِينٍ به أَفْدَحُ
حَتَّامَ — والصَّبْرُ له غايةٌ — * لَغَيْرِنا مِنْ بِئْرِنا تَمْتَحُ؟ (٥)
حَتَّامَ — والأَمْوالُ مَشْفُوهَةٌ — * تُمْنَحُ إِلَّا (مِصْرَ) ما تُمْنَحُ؟ (٦)
حَتَّامَ يُمْضِى أَمْرَنا غَيْرُنا * وذاكَ بالأَحْرارِ لا يَسْلُحُ؟

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له فى المكان (بالهمز فى أوله) ، والذى وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .

(٢) يريد بقوله «يرفحوا» : أنهم يقفون من خالفهم فى سياستهم إلى رفح (بالتحريك) ، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم ، أى غالبوهم فى الصبر .

(٤) لايسجح ، أى لايفرج عمن تقيد به ولا يفكه .

(٥) متح الماء من البئر يمتحه متحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذى كثرت عليه الأيدى حتى استنفد .

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِى بَعْضِهِمْ * ظَنًّا وقد أَمْسَوْا وقَدْ أَصْبَحُوا (١)

فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينَا وما كانت لهم تَسْنَحُ (٢)

فالرَّأْىُ كُلُّ الرَّأْىِ أَنْ تُجْمِعُوا * فإنَّما إجْمَاعُكُمْ أَرْبَحُ

وكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فى صَدْعِكُمْ * فإنَّه فى صَخْرَةٍ يَنْطَحُ (٣)

أَخْشَى إذا اسْتَكْثَرْتُمُ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الآراءِ أَنْ تُفْضَحُوا

فَلْتَقْصِدُوا ما اسْطَعْتُمُ فيهِمُ * فإنَّما فى القِلَّةِ المَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين اليقظة والمنام)]

أَشْرِقْ فَدَتْكَ مَشَارِقُ الإصْبَاحِ * وأَمِطْ لِثَامَكَ عن نَهَارٍ ضَاحِ (٤)

بُورِكْتَ يا يَوْمَ الخَلَاصِ ولا وَنَتْ * عنكَ السُّعودُ بِغُدْوَةٍ ورَوَاحِ

باللهِ كُنْ يُمْنًا وكُنْ بُشْرَى لنا * فى رَدِّ مُغْتَرِبٍ وفَكِّ سَرَاحِ (٥)

---

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخبر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف للعلم به ، أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالخيانة .

(٢) النهزة : الفرصة . وتسنح : تلوح . (٣) يقال : نطح فى صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وانشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخـــرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أى اكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحى : المشرق .

(٥) يشير بقوله « فى رد مغترب ... الخ » : الى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيا إذ ذاك فى جبل طارق بعد أن كان مع صحبه فى جزيرة سيشل .

أقبلتَ والأيّامُ حولَكَ مثلُ * صَفّينِ تخطِرُ خطرةَ المَيّاحِ (١)

وتَرجتَ من عُجبِ الغيوبِ مُحجّلا * فى كلِّ لحظٍ منكَ ألفُ صَباحِ (٢)

لو صحّ فى هذا الوجودِ تناسُخٌ * لرأيتُ فيكَ تناسُخَ الأرواحِ

ولكُنتَ يومَ (اللابرنت) بعينِه * فى عزّةٍ وجلالةٍ وسماحِ (٣)

يومٌ يُريكَ جلالُهُ ورواؤه * فى الحُسنِ قُدرةَ خالقِ الإصباحِ (٤)

خلعَتْ عليه الشمسُ حُلّةَ عسجدٍ * وحباهُ (آذارٌ) أرقَّ وشاحِ (٥)

اللهُ أنبتَه لنا فى لوحِه * أبدَ الأبيدِ فما لَه مِنْ ماحِ (٦)

حَيِّه عنّا يا أزاهرُ وامشِ * أرجاءَه بأريجِك الفوّاحِ (٧)

وانفحْهُ عنّا يا ربيعُ بكلِّ ما * أطلعتَ مِنْ رَندٍ ونَورِ أقاحِ (٨)

يَهْ يا (فؤادُ) فحولَ عرشِكَ أمّةٌ * عقدتْ خناصرَها على الإصلاحِ (٩)

أبناؤنا - وهُمُ أحاديثُ النّدى - * لَبِسُوا على أوطانِهم بشِحاحِ (١٠)

صبَروا على مُرِّ الخطوبِ فأدرَكوا * حُلوَ المُنى معسُولةَ الأقداحِ

---

(١) المياح : المتبختر فى مشيه ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) محجلا : مضيئا . وأصله من التحجيل فى الخيل ، وهو بياض فى قوائمها . (٣) اللابرنت : قصر أمخطب الثانى الذى اشتهر فى قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . وبريد « بيومه » : أيام أمخطب التى كانت كلها خيرا وبركة على مصر . (٤) خالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) العسجد : الذهب . وآذار : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأبيد : كناية عن الدوام . (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأقاحى : جمع الحوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ، وتشبه به الثغور . (٩) عقد الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشحاح : بخلاء .

شاكى سلاح الصبر ليس بأعزل * يغزوه رب عوامل وصفاح (١)

الصبر - إن فكرت - أعظم عدة * والحق - لو يدرون - خير سلاح

قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى * إنكار ذاك الحق فى إصحاح ؟ (٢)

كم خدرت أعصاب مصر نوافح * لو عودهم كنوافح التفاح (٣)

فتعلل المصرى منتبطا بها * أرأيت طفلا علله بداح ؟ (٤)

وتأففوا فى الخلف حتى أصبحت * أقوالهم تذرى بغير رياح (٥)

لما تنبه بالكنانة نائم * وأصات بالشكوى الأليمة صاحى (٦)

وتكشفت تلك الغياهب وانطوت * وبدت شموس الحق وهى ضواحى (٧)

علموا بتحمد الله أن قرارنا * فى ظل غير الله غير مباح (٨)

فاليوم قرى يا كنانة واهدئى * حرم الكنانة لم يكن بمباح

من ذا يغير على الأسود بغابها * أو من يقوم بمسبح النساح ؟

---

(١) شاكى سلاح الصبر ، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الرماح مما يلى أسنتها ، الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذوالرمح والسيف .

(٢) الإصحاح : من الأقسام التى تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى كتاب سماوى ؟

(٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شمه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من اتصلوا به .

(٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يطلون به .

(٥) تأففوا فى الخلف ، أى أتفوه . وتذرى : تطير وتنثر . (٦) أصات : صوت وصاح .

(٧) الغياهب : الظلمات ، الواحد غيهب . والضواحى : المشرقة . (٨) غير مباح : غير ممكن .

للنيل عهدٌ فى الزمان مؤثَّلٌ * مِنْ عهدِ (أمونٍ) وعهدِ (فتاح)(١)

فسلِ المصورَ به وسلْ آثارَه * فى (مصرَ) كم شهدتْ من السُّيّاح

يا صاحبَ القُطرَيْنِ غيرُ مدافَعٍ * ما مثلُ ساحتِكَ فى الملا من ساح(٢)

لم يبدُ نورٌ فوقَ نورٍ يُختلى * كالتاجِ فوقَ جبينِكَ الوضّاح(٣)

ذكرتْ بعزمِكَ (مصرُ) يومَ وليتَه * عزَّ (المُعزّ) بها وعزَّ (صلاح)(٤)

فى كلِّ قُطرٍ من جلالِكَ روعةٌ * ولكلِّ قُطرٍ منكَ ظلُّ جناح(٥)

لكَ (مصرُ) و(السودانُ) والنهرُ الذى * يختالُ بينَ ربًى وبينَ بطاح

وبواسقُ (السودانِ) تشهدُ أنها * غُرِستْ بعهدِ جدودِكَ الفتّاح(٦)

لا غروَ إنْ غنّى بمدحِكَ صائغٌ * أو مُسجعٌ فى حلبةِ المدّاح(٧)

حُسنُ الغناءِ مع الصياحِ كسبُّه * عندَ النفيرِ به مع الإسجاح(٨)

---

(١) المؤثل : الموصل الثابت . وأمون : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد الخانون ، وكان اسمه يدرج فى أسماء الملوك ، فيقال : أمنحتب . وفتاح : يريد به منفتاح بن رمسيس الثانى .

(٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يختلى : يرى .

(٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمى المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .

(٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ، الواحدة : باسقة .

(٧) مسجع ، الصواب فيها : ساجع ، أى ساجع فى غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل فى هذا المعنى « سجع » لا « أسجع » . يقول : سيان من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله فى هدوء ولين .

(٨) يريد بالإسجاح : السجع بالغناء ، وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال فى الحاشية التى قبل هذه .

أو لم يكن لك مُلْكُ مِصْرَ ونِيلُها * يَنْسابُ بين مُرُوجِها الأَفْياحِ؟ (١)

مَنْضُورَةَ الجَنَباتِ حالِيَةَ الرُّبَا * مَطْلُولَةَ السَّرَحاتِ والأَرْواحِ (٢)

قد قال (عَمْرٌو) في تَراها آيَةً * مَأْثُورَةً نُقِشَتْ على الأَلْواحِ: (٣)

بَيْنَا تَراهُ لآلِقًا وكأنَّما * تُرِبَتْ بِتُرْبَتِهِ عُقُودُ مِلاحِ

وإذا به للنّاظِرِينَ زُمُرُّدٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الأَتْراحِ

وإذا به مِسْكٌ تَشُقُّ سَوادَه * شَقَّ الأَدِيمِ مَحارِثُ الفَلّاحِ (٤)

البَرْلَمانِ تَهَيَّأَتْ أَسْبابُهُ * لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتاحِ

هُوَ في يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لَرَعِيَّةٍ * تُثْنِي بِأَلْسِنَةٍ عليكَ فِصاحِ

رُدَّ الوَدِيعَةَ يا (فُؤادُ) فإنَّما * رَدُّ الوَدِيعَةِ شِيمَةُ المِسْماحِ (٥)

وانْهَضْ بِشَعْبِكَ يا (فُؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكانٍ في الوُجُودِ بَراحِ (٦)

---

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح : أي الواسعة .

(٢) منضورة : حسنة بهيجة . وحالية الربا : أي مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة : أي أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهي الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح .

(٣) يريد "بعمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا تاما معروفا جاء به هذه المعاني التي يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد .

(٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها في الحالة الأولى باللؤلؤ في بياضه ، وفي الثانية بالزمرد في خضرته ، وفي الثالثة بالمسك في سواده . وقد وردت هذه المعاني في وصف عمرو لمصر .

(٥) المسماح : الكثير السماح .

(٦) البراح : المكان الذي لاستترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

فاللهُ يَشْهَدُ والملائِقُ أننا * طُلّابُ حَقٍّ فى الحياةِ صراحِ (١)

هٰذا مَنارُ البرلمانِ أمامَكُمْ * لهُدَى السَّبيلِ كإبرةِ المَلّاحِ (٢)

فتيمّمُوه مُخلصين فما لكُمْ * مِنْ دُونِه مِنْ غِبْطَةٍ وفَلاحِ (٣)

الفَصْلُ للشُّورى وتِلْكَ هى الّتى * تَزَعُ الهَوَى وتَرُدُّ كلَّ جِماحِ (٤)

هى لا تَضِلُّ سَبيلَها فكأنّما * خُلِقَ السَّبيلُ لها بغيرِ نَواحِ

هى — لا بَراحَ — تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وتَفُلُّ غَرْبَ الغاصبِ المُجْتاحِ (٥)

فتكنّفُوا الشُّورَى على استِقْلالِكُمْ * فى الرأيِ لا تُوحِيهِ نَزْعَةُ واحِى (٦)

ويَدُ الإلٰهِ مع الجماعةِ فاضْرِبُوا * بعَصَا الجماعَةِ تَظْفَرُوا بنَجاحِ

كوّنُوا رِجالًا عامِلين وكَذِّبُوا * والصُّبْحُ أبْلَجُ ، حامِلَ المِصباحِ (٧)

ودَعُوا التّخاذُلَ فى الأُمورِ فإنّما * شَبَحُ التّخاذُلِ أنكَرُ الأشباحِ

---

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذى لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هى التى يتبين بها الجهات ويهتدى بها فى السير .

(٣) تيمموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزيره .

(٥) لا براح ، أى لاريب . وتفل : تثلم وتكسر . والغرب : الحد .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى واضحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه .

والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي (١)

قم يا بن (مصر) فانت حر واستعد * تجد الخلود ولا تعد لبراح (٢)

ثمر وكافح في الحياة فهذه * دنياك دار تناحر وكفاح

وانهل مع النهال من عذب الحيا * فإذا رقا فامتح مع المتاح (٣)

وإذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاح بالإلحاح (٤)

وخض الحياة وإن تلاطم موجها * خوض البحار رياضة السباح

واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسبن الغمر كالضحضاح (٥)

وإذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فاعدها وانزح مع الرواح (٦)

في البحر لا تثنيك نار بوارج * في البر لا يلويك غاب رماح

وانظر إلى الغربي كيف سمت به * بين الشعوب طبيعة الكفاح (٧)

والله ما بلغت بنو الشرق المنى * إلا ببنيات هناك صحاح

ركبوا البحار وقد تجمد ماؤها * والجو بين تناوح الأرواح (٨)

---

(١) التلاحي : التخاصم . (٢) يريد «بالمراح» : الأخذ في أسباب الفرح واللهو .

(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (سهل من رقأ بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تهن ، أي لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح : الماء القريب القعر . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل ، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكفاح : المجاهدة المجتهد في العمل .

(٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

والبرّ مَصْهُورَ الحَشَى مُتَأَجِّجًا * يَرْمِي بِنَزّاعِ الشَّوَى لَوّاحِ (١)

يَلْقَى فَتِيَّهُمُ الزَّمانَ بِهِمَّةٍ * عَجَبٍ ووَجْهٍ فى الخُطُوبِ وَقَاحِ (٢)

ويَشُقُّ أَجْوَازَ القِفَارِ مُغامِرًا * وَعْرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كالصَّحْصاحِ (٣)

وابْنُ الكِنانَةِ فى الكِنانَةِ راكِدٌ * يَرْنُو بِعَيْنٍ غَيْرِ ذاتِ طِماحِ (٤)

لا يَسْتَغِلُّ — كما عَلِمْتَ — ذَكاءَه * وذَكاؤُه كالخاطِفِ اللَّمّاحِ (٥)

أَمْسَى كَماءِ النَّهْرِ ضاعَ فُراتُه * فى البَحْرِ بَيْنَ أَجاجِه المُنْداحِ (٦)

فَانْهَضْ ودَعْ شَكْوَى الزَّمانِ ولا تَنُحْ * فى فادِحِ البُؤْسَى مع الأَنْواحِ (٧)

وارْبَعْ لِمِصْرَ بِرَأْسِ مالِكَ عِزَّةً * إنّ الذَّكاءَ حِبالَةُ الأَرْباحِ (٨)

وإذا رُزِقْتَ رَآسَةً فانْسُجْ لها * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ ومِنْ إِسْجاحِ (٩)

واشْرَبْ من الماءِ القَراحِ مُنَعَّمًا * فلَكَمْ وَرَدْتَ الماءَ غيرَ قَراحِ (١٠)

---

(١) المصهور : الذى أصابه الخزوحى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان وقف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحر شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . ولواح : أى حر منير للألوان .

(٢) وقاح : مجترئ .

(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .

(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .

(٥) الخاطف اللماح : البرق .

(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .

(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائحات .

(٨) حبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .

(٩) الإسجاح : حسن العفو .

(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة فى شؤون مصر السياسية

قالها فى عهد وزارة إسماعيل صدقى باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتى بيت لم ننشر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عامٌ يا سُعادُ وعامُ * وابْنُ الكِنانَةِ فى حِماهُ يُضَامُ
صَبُّوا البَلاءَ على العِبادِ فنِصْفُهُمْ * يَجْبِى البِلادَ ونِصْفُهُمْ حُكّامُ
أَشْكُو الى (قَصْرِ الدُّبارَةِ) ما جَنَى * (صِدْقِى الوَزِيرُ) وما جَنَى (عَلّامُ)[1]

ومنها فى الإنجليز :

قُلْ لِلْحايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِماءَنا * تَجْرِى وهَلْ بَعْدَ الدِّماءِ سَلامُ؟[2]
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنا لَكُمْ وبَدَا لَنا * أَنَّ الحِيادَ على الخِصامِ لِئامُ
إِنَّ المَراجِلَ شَرُّها لا يُتَّقَى * حَتّى يُنَفَّسَ كَرْبُهُنَّ صِمامُ[3]
لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُمَنِّى نَفْسَهُ * بِوِدادِكُمْ فسِوادُكُمْ أَحْلامُ
أَمِنَ السِّياسَةِ والمُرُوءَةِ أَنَّنا * نَشْقَى بِكُمْ فى أَرْضِنا ونُضامُ؟
إِنّا جَمَعْنا لِلجِهادِ صُفُوفَنا * سَنَمُوتُ أو نَحْيا ونَحْنُ كِرامُ

ومنها فى مخاطبة إسماعيل صدقى باشا :

ودَعا عليكَ اللهَ فى مِحْرابِهِ * الشَّيْخُ والقِسِّيسُ والحاخامُ
لا هُمَّ أَحْيِ ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَها * غُصَصًا وتَقْسُفَ نَفْسَهُ الآلامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جبى علام» : الى ما كانوا يجبونه من الأموال الداعمة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الانجليز فى هذه الفترة التى قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياد فى الشؤون المصرية . (٣) المراجل : القدور .

إلى الإنجليز :

[نشرت فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيْتُمْ على الأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فكانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمامُ(١)

فمالِي أَرَى الأَخلاقَ قد شابَ قَرْنُها * وحَلَّ بها ضَعْفٌ ودَبَّ سَقامُ(٢)

أَخافُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً بَعْدَ نَهْضَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوامُ

أَضَعْتُمْ وِدادًا لو رَعَيْتُمْ عُهُودَه * لَمَا قامَ بَيْنَ الأُمَّتَيْنِ خِصامُ

أَبَعْدَ جِيادٍ لا رَعَى اللهُ عَهْدَه * وبَعْدَ الجُروحِ النَّاغِرَاتِ وِئامُ(٣)

اذا كانَ فى حُسْنِ التَّفاهُمِ مَوْتُنَا * فليسَ على باغِي الحَيَاةِ مَلَامُ(٤)

الى المندوب السامى

[نشرت فى ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

أَلَمْ تَرَ فى الطَّرِيقِ الى (كِيَادِ) * تَصِيدُ البَطَّ بُؤْسَ السَّالِمِينا؟(٥)

أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِى * مِنَ البَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَنِينَا؟

أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِى التَّأْمِيزِ عَنَّا * وقد بَعَثُوكَ مَنْدُوبًا أَمِينا

بِأَنَّا قد لَمَسْنَا الغَدْرَ لَمْسًا * وأَصْبَحَ ظَنُّنَا فِيكُمْ يَقِينا؟

---

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) القرن : الذؤابة من الشعر .

(٣) الناغرات : الداميات .

(٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب لنا الموت بالقتل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا .

(٥) كياد : بركة بالقليم الشرقية اعتاد أن يذهب اليها المندوب السامى وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلُمْتُمْ * وقد بَرِحَ الخَفَاءُ مُحَايِدِينَا (١)

سَنُجْمِعُ أَمْرَنَا وتَرَوْنَ مِنَّا * لَدَى الجُلِّ كِرَامًا صَابِرِينَا (٢)

وَنَأْخُذُ حَقَّنَا رَغْمَ العَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا ورَغْمَ القَاسِطِينَا (٣)

ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا * مِنَ النِّيرَانِ يَعْيَى الدَّارِعِينَا (٤)

على رَغْمِ المُرُوءَةِ قد ظَفِرْتُمْ * ولكنْ بالأُسُودِ مُصَفَّدِينَا (٥)

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية

[نشرا فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لاتَذْكُرُوا الأَخْلَاقَ بَعْدَ حِيَادِكُمْ * فُصَابُكُمْ ومُصَابُنَا سِيَّانِ (٦)

حَارَبْتُمُ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا * أَخْلَاقَنَا فَتَأَلَّمَ الشَّعْبَانِ (٧)

(١) لم نجد فى كتب اللغة (النوايا) جمع نية ، كما استعمله الشاعر هنا ، وهو جمع شائع فى كلام أهل العصر ، وهو من غلطاتهم ؛ والقياس : نيات . وبرح الخفاء ، أى وضح الأمر وتبين . (٢) الجلى : النازلة الشديدة . (٣) القاسطون : الظالمون . (٤) الدارعون : لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد : المقيد .

(٦) يخاطب الإنجليز فى هذا البيت ويقول : إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرفتم به من الأخلاق الفاضلة ، فلا تدّعوها لكم بعد ، فصابكم فى الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باختلالكم .

(٧) يشير (بالأخلاق) المضافة إلى الإنجليز فى هذا البيت إلى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . وبالأخلاق المضافة الينا ، الى ما أظهرناه فى نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد . يقول : إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر فى سبيل محاربة أخلاقنا ، فكلا الشعبين متألم ، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الحياد

[نشرت فى ٤ ابريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحِيادُ ولَمْ تَكُفُّوا * أَمَا أَرْضَاكُمُ ثَمَنُ الحِيادِ ؟

أَخَذْتُمْ كلَّ ما تَبْغُون مِنَّا * فما هٰذا التَّحَكُّمُ فى العِبادِ ؟

بَلَوْنَا شِدَّةً منكم ولِينًا * فكان كِلاهُمَا ذَرَّ الرَّمَادِ

وسالَمْتُمْ وعادَيْتُمْ زَمانًا * فلَمْ يُغْنِ المُسالِمُ والمُعادِى

فلَيْسَ وراءَكُمْ غيرُ التَّجَنِّى * ولَيْسَ أَمامَنَا غيرُ الجِهادِ

إلى الإنجليز

[نشرت فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٢ م]

حَوَّلُوا النِّيلَ وَاحْجُبُوا الضَّوءَ عَنَّا * وَاطْمِسُوا النَّجْمَ وَاحْرِمُونَا النَّسِيمَا

وامْلَئُوا البَحْرَ إنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا * وامْلَئُوا الجَوَّ إنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا

وأَقِيمُوا لِلعَسْفِ فى كلِّ شِبْرٍ * (كُنْسُتَبْلًا)(١) بالسَّوْطِ يَفْرِى الأَدِيمَا

إنَّنا لَنْ نَحُولَ عن عَهْدِ مِصْرٍ * أو تَرَوْنَا فى التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا

عاصِفٌ صانَ مُلْكَكُمْ وحَمَاكُمْ * وكَفَاكُمْ بالأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

---

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . و يفرى الأديم : يشق الجلد .

غالَ (أرمادةَ) العدوّ فغُزِمْ * وبلغتُمْ فى الشرقِ شأواً عظيما[1]

فعدلتُمْ هُنيهةً وبغيتُمْ * وتركتُمْ فى النيلِ عهداً ذميما

فشهدنا ظُلْماً يُقالُ له العدْ * لُ ووُدّاً يَسقى الحميمَ الحميما[2]

فاتقُوا غضبةَ الحواصفِ إنى * قد رأيتُ المصيرَ أمسى وخيما

الحياد الكاذب

[نشرت فى سنة ١٩٣٢ م]

(قصرَ الدُّبارةِ) قد نقضْـ * ـتَ العهدَ نقضَ الغاصبِ

أخفيتَ ما أضمرتَه * وأبنتَ وُدَّ الصاحبِ

الحربُ أروحُ للنفو * سِ منَ الحيادِ الكاذبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكاتب فرنسى كان قد زعم أن جلاء الانجليز عن مصر سيكون فى أكتوبر

كم حدّدُوا يومَ الجلاءِ الذى * أصبحَ فى الإبهامِ كالمحشرِ

وسَنَّ قومُ الطيشِ من جهلِهمْ * كِذْبةَ (إبريلَ لأكتوبرِ)

---

(١) غال : أهلك . وأرمادة : هى الأسطول الأسبانى الذى كان يريد مهاجمة الأسطول الانجليزى فى القرن السادس عشر ، فحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذى قبله . ويشير بقوله « وبلغتم فى الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الانجليز فيه .

(٢) يريد «بالحميم» الأول : الصديق . و «بالحميم» الثانى : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

سَكَتُّ فأَصْغَرُوا أَدَبِي * وقُلْتُ فأَكْبَرُوا أَرَبِي[1]

وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضاقَ الرَّجاءُ وَبِي؟

وهَلْ (فى مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ * سِوَى الأَلْقابِ والرُّتَبِ؟

وذِى إِرْثٍ يُكاثِرُنا * بمالٍ غيرِ مُكْتَسَبِ[2]

وفى الرُّومِىِّ مَوْعِظَةٌ * لشَعْبٍ جَدَّ فى اللَّعِبِ[3]

يُقَتِّلُنا بلا قَوَدٍ * ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ[4]

ويَمْشِى نَحْوَ رايَتِهِ * فَتَحْمِيهِ مِن العَطَبِ[5]

فَقُلْ للفاخِرِين : أَمَا * لهذا الفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟

أَرُونِى بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا واضِحَ الحَسَبِ[6]

أَرُونِى نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِى رُبْعَ مُحْتَسِبِ[7]؟

أَرُونِى نادِيًا حَفَلًا * بأَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ؟

وماذا فى مَدارِسِكُمْ * مِن التَّعْلِيمِ والكُتُبِ؟

---

(١) الأرب : العقل . (٢) كاثره بماله : فاخره بكثرته .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصرى . وجدّ فى اللعب : أى استمر عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالمحتسب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا فى مَساجِدِكُمْ * مِنَ التِّبيانِ والخُطَبِ؟
وماذا فى عَمائِمِكُمْ * سِوَى التَّمْوِيهِ والكَذِبِ؟
حَصائِدُ ألسُنٍ جَرَّتْ (١) * إلى الوَيْلاتِ والحَرَبِ
فهُبُّوا مِنْ مَراقِدِكُمْ * فإنَّ الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ
فهٰذِى أُمَّةُ (اليابا * نِ) جازَتْ دارَةَ الشُّهُبِ (٢)
فهامَتْ بالعُلا شَغَفًا * وهِمْنا بابْنَةِ العِنَبِ (٣)

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذى لا خير فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا جف . وفى حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : الخمر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

قال حافظ هذين اليتيمين وكان يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل انتظامه فى سلك المدرسة الحربية، ثم تركه للخلاف وقع بينهما

يجرابُ حَظِّيَ قد أفرغتُهُ طَمَعاً * بباب أستاذِنا (الشّيمى) ولا عجبا
فعادَ لى وهو تَمْلوءٌ فقلتُ له : * مِمّا؟ فقال مِن الخَسْراتِ واحَرَبا (١)

الى آدم أبى البَشَر

سَليلَ الطّينِ كم بِلْنا شَقاءً * وكَمْ خَطّتْ أنامِلُنا ضَريحا (٢)
وكم أزْرَتْ بنا الأيّامُ حَتّى * فَدَتْ بالكَبْشِ (إسْحاقَ) الذّبيحا (٣)

(١) سكن السين فى « الخسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الهلاك .

(٢) سليل الطين ، يريد آدم أبا البشر عليه السلام - وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت بنيك يعيث بهم الشقاء والفناء .

(٣) أزرت بنا الأيام ، أى تهاونت بنا ، ورضيت من شأننا . وإسحاق الذبيح ، هو نبى الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ؛ وقد اختلف العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسحاق كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبح والفداء مشهورة ؛ وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

وباعَتْ (يُوسُفًا) بيعَ الموَالِي * وألقَتْ فى يَدِ القَوْمِ (المَسيحَا) (١)

ويا (نُوحًا) جَنَيْتَ على البَرَايَا * ولَمْ تَمْنَحْهُمُ الوُدَّ الصَّحيحَا (٢)

عَلامَ حَمَلْتَهُمْ فى الفُلْكِ هَـلَّا * تَرَكْتَهُمُ فكُنْتَ لهُمْ مُرِيحَا

أصابَ رِفاقَ القِدْحَ المُعَلَّى * وصادَفَ سَهْمِيَ القِدْحَ المَنِيحا (٣)

فلو ساقَ القَضاءُ إلىَّ نَفْعًا * لقَامَ أخُوهُ مُعْتَرِضًا شَحيحَا (٤)

---

(١) يوسف ، هو ابن يعقوب عليهما السلام ، وأمره مع إخوته من إلقائه فى الجب ، والتقاطه بعض السيارة له ، وبيعهم إياه بيع العبيد مشهور ، وقد قص الله ذلك فى القرآن فى سورة يوسف . والموالى : العبيد ؛ الواحد مولى . ويريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام ؛ وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن .

(٢) يشير الى قصة نبى الله نوح عليه السلام ، وأمره مع قومه والطوفان الذى أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه فى السفينة مشهور ، وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن .

(٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال) : واحد القداح ، وهى سهام الميسر . والقدح المعلى ، هو السهم السابع منها ، وهو أفضلها ، لأنه اذا خرج حاز ستة أنصباء . والمنيح : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض ، وهو الثالث من القداح الغفل التى ليس لها فرض ولا أنصباء .

(٤) أخوه ، أى أخو القضاء ، وهو القدر .

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (جان جاك[1] روسو)

[نشرا فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

خَلَقْتَ لى نَفْسًا فأَرْصَدْتَهَا * لِحُزْنٍ والبَلْوَى وهٰذا الشَّقاءْ[2]

فآمَنُ بنَفْسٍ لَمْ يُشَبْهَا الأَسَى * لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الهَنَاءْ[3]

سعيٌ بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإياءه ، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

سَعَيْتُ إلى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّمَا * وعُدْتُ وما أَعْقَبْتُ إلَّا التَّنَدُّمَا[4]

لَحَى اللهُ عَهْدَ القاسِطِينَ الَّذى به * تَهَدَّمَ مِنْ بُنْيَانِنا ما تَهَدَّمَا[5]

إذا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعادَةَ بينهمْ * فلا تَكُ مِصْرِيًّا ولا تَكُ مُسْلِمَا

سَلامٌ على الدُّنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ * رَأَى فى ظَلامِ القَبْرِ أُنْسًا ومَغْنَمَا

---

(١) روسو ، هو الكاتب الفرنسى المعروف ، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته فى ٣ يوليه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تآليف ، منها كتاب الاتفاق الجمهورى ، وكتاب إميل ، وقاموس فى الموسيق ، وآخر فى علم النبات ، وغيرها .

(٢) أرصدتها للحزن : حبستها عليه .

(٣) لم يشبها : لم يخالطها . أى آمن على نفس أخرى لم تخالطها الأحزان .

(٤) يقول : إنه تقرحت قدماه من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنعل لها ، وما عاد بعد كل هذا إلا بالندم .

(٥) القاسطون : الجائرون المائلون عن الحق ، ويريد بهم المحتلين وصائمهم .

أَضَـرَّتْ به الأُولَى فهامَ بأُخْتِها * فإنْ ساءَت الأُخْرَى فَوَيْلاهُ مِنْهُمَا (١)

فهُبِّي رِياحَ المـوتِ نُكْبًا وأَطْفِئِي * سِراجَ حَياتِي قَبْلَ أنْ يَتَحَطَّمَا (٢)

لَمـا عَصَمَتْنِي مِنْ زمانِي فَضـائِلِي * ولكنْ رأيتُ الموتَ للحُـرِّ أَعْصَمَا (٣)

فيا قلبُ لا تَجْزَعْ إذا عَضَّكَ الأَسَى * فإنَّكَ بَعْـدَ اليَوْمِ لن تَتَأَلَّمَا (٤)

ويا عَيْنُ قد آنَ الجُمودُ لمَدْمَعِي * فلا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكُبِينَ ولا دَمَا (٥)

ويا يَدُ ما كَلَّفْتُـكِ البَسْـطَ مَرَّةً * لِذِي مِنَّـةٍ أَوْلَى الجَمِيـلَ وأَنْعَمَا

فللّه ما أَحْـلاكِ فى أَنْمُـلِ البِلَى * وإنْ كنتِ أَحْلَى فى الطُّرُوسِ وأَكْرَمَا (٦)

ويا قَـدَمِي ما سِـرْتِ بى لِمَـذَلَّةٍ * ولَمْ تَرْتَقِى إلّا إلى العِـزِّ سُلَّمَـا

فلا تُبْطِئِى سَيْرًا الى الموتِ وأَعلَمِى * بأنَّ كَرِيمَ القَـومِ مَن مات مُكْرَمَا

ويا نفسُ كم جَشَّمْتُكِ الصبرَ والرضا * وجَشَّمْتِنِى أن أَلْبَسَ المجـدَ مُعْلَمَا (٧)

فما أَسْطَعْتِ أنْ تَسْتَمْرِئِى مُرَّ طَعْمِه * وما أَسْطَعْتُ بين القومِ أنْ أَتَقَدَّمَا (٨)

---

(١) يريد «بالأولى»: الدنيا. و«بالأخرى»: الآخرة؛ فإن شق فيها كما شق فى دنياه فويلاه.

(٢) النكب: جمع نكباء، وهى الريح اذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين، وهى ريح مهلكة للزرع والمواشى، حابسة للقطر. ويحطم: يتكسر.

(٣) عصمتنى: حفظتنى.

(٤) يشير بقوله «بعد اليوم»: إلى الموت.

(٥) جمود الدمع: انقطاعه أو قلته. قدر الشاعر فى هذا البيت أن ماتمناه من الموت قد وقع، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع.

(٦) فى أنمل البلى، أى فى يد الفناء. والطروس: جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء)، وهو الصحيفة يكتب فيها.

(٧) جشمتك: كلفتك. والمعلم من الثياب: الذى فيه أعلام من طراز أو غيره. شبه المجد به فى وضوحه وظهوره.

(٨) استمرأ الطعام: استطابه واستساغه. ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين فى البيت السابق. وبقوله «وما اسطعت بين القوم ... الخ» إلى المجد، فى البيت السابق أيضا. يقول لنفسه: إن كليا لم يستطع القيام بما كلف به.

فهذا فراقٌ بيننا فتجمّلي * فإنّ الرّدى أحلى مذاقا ومطعما (١)

ويا صدرُ كم حلّت بنانكَ ضيقةٌ * وكم جالَ في أنحائكَ الهمُّ وارتمى

فهلّا ترى في ضيقةِ القبرِ فسحةً * تُنفّسُ عنكَ الكربَ إنْ بتَّ مُبرَما؟ (٢)

ويا قبرُ لا تبخل بردّ تحيّةٍ * على صاحبٍ أوفى علينا وسلّما (٣)

وهيهاتَ يأتي الحيُّ للميتِ زائرًا * فإنّي رأيتُ الودَّ في الحيِّ أسقما

ويا أيُّها النجمُ الذي طال سُهدُه * وقد أخذتْ منه السُّرى أين يمّما (٤)

لعلّكَ لا تنمى عهودَ منادمٍ * تعلّمَ منك السُّهدَ والأينَ كلّما (٥)

الإخفاق بعد الكدّ

وفيها يعني مجد الترك والعرب، ويشير الى معان أخرى في الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٩٠٠ م]

ماذا أصبتَ مِنَ الأسفارِ والنّصب * وطيّكَ العُمْرَ بينَ الوخدِ والخببِ؟ (٦)

تراكَ تطلبُ لا هوْنًا ولا كثبًا * ولا ترى لكَ مِنْ مالٍ ولا نشبِ (٧)

---

(١) تجلى : لا تظهري الجزع . (٢) المبرم : المضجر . (٣) أوفى : أي أشرف عليا زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء . وفي هذا البيت والذي قبله ينادي الشاعر النجم الذي أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ ، ويطلب إليه أن يذكر عهود أليف له في سهره وسيره . وقوله « كلما » ، أي كلما سهرت أيها النجم وتعبت من السرى .

(٦) النصب (بالتحريك) : التعب . والوخد : الإسراع في المشي . والخبب (بالتحريك) : أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتحريك) : القرب . والهون والكثب : صفتان لموصوف محذوف ، أي لا طلبا هينا ولا قريبا . والنشب : المال الأصيل .

لا تُطْعِمانِيَ أَنْيابَ المَلامِ عَلَى * هٰذا العِثارِ فإنِّي مَهْبِطُ العَجَبِ (١)

وَدِدْتُ لو طَرَحُوا بِي يومَ جِئْتُهُمُ * في مَسْبَحِ الحُوتِ أو في مَسْرَحِ العَطَبِ (٢)

لعلَّ (مانِيَ) لاقى ما أُكابِدُه * فَوَدَّ تَعْجِيلَنا مِن عالَمِ الشَّجَبِ (٣)

إنِّي احْتَسَبْتُ شَبابًا بِتُّ أُنْفِقُه * وعَزْمَةً شابَتِ الدُّنيا ولَمْ تَشِبِ (٤)

كَمْ هِنْتُ في البِيدِ والآرامُ قائِلَةٌ * والشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الأَرْضِ باللَّهَبِ (٥)

وكَمْ لَبِسْتُ الدُّجَى والتُّرْبُ ناصِبَةٌ * واللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جاشِي لَدَى النُّوَبِ (٦)

والنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي ويَحْسَبُنِي * لَدَى السُّرَى ثامِنًا لِلسَّبْعَةِ الشُّهُبِ (٧)

لكِنَّنِي غيرُ مَجْدُودٍ وما فَتِئَتْ * يَدُ المَقادِيرِ تُقْصِينِي عن الأَرَبِ (٨)

---

(١) «ولا تطعماني ... الخ»، أي لا تجعلاني طعمة، وقد شبه الملام، بالأسد ذي الأنياب؛ وقفه بالقريبة. (٢) تمنى لو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في أي طريق من طرق الهلاك.

(٣) ماني، هو مانى الثنوي صاحب مذهب المانوية المشهور، ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كانه يراه مانى من وجوب تحصيل الفناء للبشر بقطع النسل، وقد ظهر مانى في أيام سابور بن أردشير، وقتل في زمن بهرام بن سابور. والشجب: الحزن والمنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه. (٤) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزمه في أيام الحياة شيئا، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدخره من أجر وثواب.

(٥) هام: ذهب على وجهه حائرا لا يدري أين يتوجه. والآرام: الظباء؛ الواحد: رئم، وهو في الأصل مخصوص بالظبي الخالص البياض. والقائلة: المستكنة وقت الظهيرة لشدة الحر؛ ويقال: إن الظباء لا تقيل إلا إذا اشتد القيظ. وأديم الأرض: وجهها وظاهرها. (٦) الترب (بضم فسكون): جمع تربة، بمعنى التراب؛ وهذا الجمع مطرد في (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناصبة، أنها مستقرة في مكانها لقلة من يثيرها من المسافرة بالمشي عليها. والجاش: النفس. وقيل: القلب. يصف في الشطر الأخير القبل بأنه أشد هدوءا من هدوء نفسه واطمئنانها عند نوائب الدهر. (٧) الشهب السبعة، هي السيارة، وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. يقول: إنه مستمر على السرى لاستدرار هذه الكواكب، حتى كأنه واحد منها. (٨) المجدود: المحظوظ.

وقد غدوتُ وآمالي مُطَرَّحةٌ * وفي أموري ما للضبِّ في الذنبِ (١)

فإنْ تكُنْ نِسبتي للشرقِ مانعتي * حظًّا فسوّاها لمجدِ الترْكِ والعربِ

وقاضباتٍ لهمْ كانت إذا اختُرطتْ * تدثّرَ الغربُ في ثوبٍ منَ الرهبِ (٢)

وبَجْرةٍ لهمُ في الشرقِ ما هَمَدتْ * ولا علاها رمادُ الخَتْلِ والكذبِ (٣)

متى أرى (النيلَ) لا تحلو مواردُه * لغيرِ مُرتهبٍ فيهِ مُرتقبِ

فقد غدتْ (مصرُ) في حالٍ إذا ذُكرتْ * جادتْ جُفوني لها باللؤلؤِ الرطبِ (٤)

كأنني عندَ ذِكرى ما ألمّ بها * قَسْرٌ تردّدَ بينَ الموتِ والهربِ (٥)

إذا نطقتُ فقاعُ السجنِ مُتكأٌ * وإنْ سكتُّ فإنّ النفسَ لم تطبِ (٦)

أيشتكي الفقرَ غادينا ورائحُنا * ونحن نمشي على أرضٍ منَ الذهبِ

والقومُ في (مصرَ) كالإسفنجِ قد ظفرتْ * بالماءِ لم يتركوا ضرعًا لمحتلبِ (٧)

---

(١) مطرحة : ملقاة منبوذة . ويريد بقوله « وفي أموري ... الخ » : أن أموره معقدة متعذرة الحل ، كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد .

(٢) القاضبات : السيوف القواطع . واخترط السيف : استله من غمده . وتدثر : التف . والرهب (بالتحريك) : الخوف والرعب . يخبر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب .

(٣) استعار « الجرة » في هذا البيت لقوة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخداع . يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يغشها كذب ولا خداع كما غشي غيرها من سياسات دول الغرب .

(٤) الرطب (بسكون الطاء) معروف ، وتحريكها هنا لضرورة الوزن ؛ ويلاحظ أننا لم نجد ذلك في شعر آخر فيما راجعنا .

(٥) القرم : السيد العظيم والبطل الشجاع .

(٦) يقول : إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب ، وإحجام يعقبه لذع الضمير .

(٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب في مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما في الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدي للمرأة ، جمعه ضروع .

(يا آلَ عُثمانَ) ما هٰذا الجَفَاءُ لنا * ونَحْنُ فى اللهِ إخْوانٌ وفى الكُتُبِ[1]
تَرَكْتُمُونا لأَقْوامٍ نُخَالِفُنا * فى الدِّينِ والفَضْلِ والأخلاقِ والأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت فى يونيه سنة ١٩٠٢ م]

لَمْ يَبْقَ شَىءٌ مِن الدُّنيا بأَيْدِينا * إلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فى مَآقِينا[2]
كُنَّا قِلادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فانفَرَطَتْ * وفى يَمِينِ العُلا كُنَّا رَيَاحِينا
كانت مَنازِلُنا فى العِزِّ شامِخَةً * لا تُشرِقُ الشَّمْسُ إلَّا فى مَغانِينا[3]
وكان أَقصى مُنَى نَهْرٍ (المَجَرَّة) لو * مِن مائِه مُزِجَتْ أَقداحُ ساقِينا[4]
والشُّهْب لو أنَّها كانت مُسَخَّرَةً * لِرَجْمِ من كانَ يَبْدُو مِن أَعادِينا
فلَمْ نَزَلْ وصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنا * شَزْرًا وتَحْسَدُنَا الدُّنيا وتُلْهِينا[5]
حتَّى غَدَوْنا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ * ولا صَدِيقٌ ولا خِلٌّ يُوَاسِينا[6]

(١) آل عثمان : الترك .
(٢) المآقى : جمع مؤق ومأق ، وهو مجرى الدمع من العين .
(٣) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .
(٤) المجرة : نجوم كثيرة يتشرضوء خافت كأنه بقعة بيضاء ، وتشبهها الشعراء بالنهر ، كما فى هذا البيت .
(٥) صروف الدهر : غيره ونوائبه . والنظر الشزر : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله بوجهك معرضا عنه ، أو غاضبا عليه .
(٦) النشب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة فى دار وسط مزارع فى الجيزة قضى فيها بعض أيام شبابه، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوّله عنها فتحركت فى نفسه ذكريات، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٢ م]

كم مَرَّ بى فيك عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُه * ومَرَّ بى فيك عَيْشٌ لَسْتُ أَنْساهُ (١)

وَدَّعْتُ فيكَ بَقايَا ما عَلِقْتُ به * مِنَ الشباب وما وَدَّعْتُ ذِكْراهُ

أَهْفُو إليه على ما أَقْرَحَتْ كَبِدى * مِنَ التَّباريحِ أُولاهُ وأُخْراهُ (٢)

لَهْفَةٌ ودُمُوعُ العَيْنِ طَيِّعَةٌ * والنفسُ جَيَّاشَةٌ والقَلْبُ أَوّاهُ (٣)

فكان عَوْنِى على وَجْدِ أُكابِدُه * ومُرَّ عَيْشٍ على العِلّاتِ أَلْقاهُ

إنْ خانَ وُدِّى صَدِيقٌ كنتُ أَصْحَبُه * أو خانَ عَهْدِى حَبِيبٌ كنتُ أَهْواهُ

قد أَرْخَصَ الدَّمْعَ يَنْبُوعُ الغَناءِ به * وا لَهْفَتِى ونُضُوبُ الشَّيْبِ أَغْلاهُ (٤)

كم رَوَّحَ الدمعُ عَنْ قَلْبِى وكم غَسَلَتْ * منه السَّوابِقُ حُزْناً فى حَشَايَاهُ (٥)

---

(١) يقول: إنه مرت به فى هذا البيت شؤون وأحوال نسى بعضها وذكر بعضها.

(٢) أهفو: أى أميل. والتباريح: ما يعانيه المحب من شدة الشوق.

(٣) جياشة: مضطربة بمختلف العواطف. والأواه: الحزين.

(٤) أرخصه: جعله رخيصا. والضمير فى «به» يعود على الشباب. ونضوب الشيب، أى ذبول العود وجفافه فى المشيب. يقول فى الشطر الأول: إن غزارة الدمع فى عهد الشباب قد جعله رخيصا يفيض لأقل الأشياء؛ ويتلهف فى الشطر الثانى على قلة هذا الدمع فى عهد المشيب حتى فلا وعز، فلا يجيبه اذا دعاه.

(٥) روح الدمع عن قلبى، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته. وسوابق الدموع: ما أسرع منها.

لَمْ أَدْرِ ما يَدُه حتى تَرَشَّفَه * فَمُ المَشِيبِ على رَغْمِي فأَفْناهُ (١)

قالوا تحرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ المِلاحِ فعِشْ * حُرًّا ففِي الأَسْرِ ذُلٌّ كُنتَ تأْباهُ

فقُلْتُ يا لَيْتَه دامَتْ صَرامَتُه * ما كانَ أَرْفَقَه عندي وأَحْناهُ (٢)

بُدِّلْتُ منه بقَيْدٍ لَسْتُ أَفْلِتُه * وكيف أُفْلِتُ قَيْدًا صاغَهُ اللهُ (٣)

أَسْرَى الصَّبابَةِ أَحْياءٌ وإنْ جَهِدُوا * أَمَّا المَشِيبُ ففِي الأَمْواتِ أَسْراهُ .

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويتشوق إلى مصر

رَمَيْتُ بها على هٰذا التَّبابِ * وما أَوْرَدْتُها غيرَ السَّرابِ (٤)

وما حَمَّلْتُها إلاَّ شَقاءً * تُقاضِينِي به يومَ الحِسابِ (٥)

جَنَيْتُ عليكِ يا نَفْسِي وقَبْلِي * عليكِ جَنَى أَبِي فَدَعِي عِتابِي (٦)

فلَوْلا أَنَّهم وأَدُوا بَيانِي * بَلَغْتُ بِكِ المُنَى وشَفَيْتُ مابِي (٧)

---

(١) يده ، أى نعمة الدمع عندى ؛ ويقال : ترشفه ، أى شربه قليلا قليلا .

(٢) باليته ، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدته وإحكامه وتعذر الإفلات منه .

(٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا ؛ ولكن ورد فى عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بذلت الخاتم بالخلقة » ، اذا أذبته وسويته حلقة ؛ وبذلت الخلقة بالخاتم : اذا أذبتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب . (٤) بها ، أى بالنفس . والتباب : الخسران والنقص . والسراب : هو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد ؛ ويشبه به الخداع . (٥) تقاضينى : تحاسبنى عليه .

(٦) جناية أبيه عليه أنه كان سببا فى ولادته ، إشارة الى قول المتنبى :

هذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

(٧) وأده : دفنه حيا .

سَعَيْتُ وكم سَعَى قَبلى أديبٌ * فآبَ بخَيبةٍ بَعْدَ اغترابِ
وما أعْذَرْتُ حتّى كان نَعْلِي (١) * دَمًا ووِسادَتى وَجْهَ التُّرابِ
وحتّى صَيَّرَتْنى الشمسُ عَبْدًا (٢) * صَبِيغًا بَعْدَ ما دَبَغَتْ إهابِى
وحتّى قَلَّمَ الإملاقُ ظُفْرِى (٣) * وحتّى حَطَّمَ المِقدارُ نابِى
متَى أنا بالِغٌ يا (مِصْرُ) أرضًا (٤) * أشُمُّ بتُرْبِها رِيحَ المَلابِ
رأيتُ ابنَ البُخارِ على رُباها (٥) * يَمُرُّ كأنّه سَرْحُ الشِّهابِ
كأنّ بجَوْفِه أحشاءَ صَبٍّ * يُؤَجِّجُ نارَها شَوقُ الإيابِ
إذا ما لاحَ ساءَلْنا الدَّياجِى (٦) * أبَرْقُ الأرْضِ أمْ بَرْقُ السَّحابِ

وقال :

ما لِهذا النَّجْمِ فى السَّحَرِ * قد سَها مِنْ شِدّةِ السَّهَرِ؟
خِلْتُه يا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي (٧) * إنْ جَفانى مُؤْنِسُ السَّحَرِ
يا لِقَوْمِى إنّنى رَجُلٌ * أفْنَتِ الأيّامُ مُصْطَبَرِى
أسْهَرَتْنِي الحادِثاتُ وقد (٨) * نامَ حتّى هاتِفُ الشَّجَرِ

---

(١) ما أعذرت : ما قصرت . ويريد «بكون نعله دما» : كثرة السعى الى أن تقرّحت قدماه فصار الدم لها كالنعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . والإهاب الانسان : جلده . (٣) قلمه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . ويريد «بالظفر والناب» فى هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسى ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وسرح الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار فى السرعة . (٦) الدياجى : الظلمات ، جمع داجية .
(٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المغرّد .

والدُّجَى يَخْطُو على مَهَلٍ * خَطْوَ ذى عِزٍّ وذى خَفَرِ (١)

فِيهِ شَخْصُ اليَأْسِ عانَقَنِي * كَحَبِيبٍ آبَ مِن سَفَرِ

وأَثارَتْ بى فَوادِحُهُ * كامِناتِ الهَمِّ والكَدَرِ (٢)

وكأَنَّ اللَّيْلَ أَقْسَمَ لا * يَنْقَضِى أو يَنْقَضِى عُمُرِى

أَيُّها الزِّنْجِىُّ ما لَكَ لَمْ * تَخْشَ فِينا خالِقَ البَشَرِ؟ (٣)

لِى حَبِيبٌ هاجِرٌ ولَهُ * صُورَةٌ مِن أَبْدَعِ الصُّوَرِ

أَتَلاشَى فى مَحَبَّتِهِ * كَتَلاشِى الظِّلِّ فى القَمَرِ

شكوى الظلم

لَقَدْ كانَتِ الأَمْثالُ تُضْرَبُ بَيْنَنا * بِجَوْرِ (سَدُومٍ) وهُوَ مِنْ أَظْلَمِ البَشَرْ (٤)

فلَمّا بَدَتْ فى الكَوْنِ آياتُ ظُلْمِهِمْ * إذا (بِسَدُومٍ) فى حُكُومَتِهِ (عُمَرْ) (٥)

---

(١) الخفر : شدة الحياء . وقد كنى «بتمهل الدجى فى خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفوادح : ما يثقل حمله من النوائب .

(٣) يريد «بالزنجى» : الليل ؛ لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ؛ وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التى دمرها الله بجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل فى الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، فقيل : «أظلم من قاضى سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم ، وعمر ، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل فى العدل . ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلا اذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال فى مرض له :

مَرِضْنا فما عادَنا عائدٌ * ولا قيلَ: أينَ الفتَى الألمَعِي؟ (١)

ولا حَنَّ طِرْسٌ إلى كاتِبٍ * ولا خَفَّ لَفْظٌ على مِسْمَعِ (٢)

سَكَتْنا فعَزَّ علينا السُّكوت * وهانَ الكلامُ على المُدَّعِي

فيا دَوْلَةَ الأدَبِ ارْجِعي * رَجَعْنا لعَهْدِ الهَوَى فارْجِعي (٣)

ولا تَحْسِبِينا سَلَوْنا النَّسيب * وبين الضُّلُوعِ فؤادٌ يَعِي (٤)

سجن الفضائل

نَعِمْنَ بنَفْسِي وأشْقَيْنَنِي * فيا لَيْتَهُنَّ ويا لَيْتَنِي (٥)

خِلالٌ تَزَلْنَ بِغَضِّ النُّفُوس * فَرُوِّيْنَهُنَّ وأظْمَأْنَنِي

تَعَوَّدْنَ مِنِّي إباءَ الكَرِيم * وصَبْرَ الحَلِيمِ وتِيهَ الغَنِي

وعَوَّدْتُهُنَّ نِزالَ الخُطُوب * فما يَنْثَنِينَ وما أنْثَنِي

إذا ما هَوَيْتُ بِلَيْلِ الشَّباب * أعَبْنَ بعَزْمِي فَنَبَّهْنَنِي (٦)

---

(١) الألمعى : الذكى المتوقد ذكاء . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسمع (بكسر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب .

(٤) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . ويعى : يحفظ .

(٥) نعمن ، أى الخلال المذكورة فى البيت الآتى . فاليمين و باليتنى ، أى باليمين ما نعمن و باليتنى ما شقيت .

(٦) أعاب به : دعاه .

فما زِلْتُ أَمْرَحُ فى قِنَّةٍ (١) * وَيَمْرَحْنَ مِنِّى بِرَوْضٍ جَنِى
إلى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّباب * وَأَوْشَكَ عُودِى أَنْ يَنْحَنِى
فيا نَفْسُ إنْ كنتِ لا تُوقِنِين * بِمَعْقُودِ أَمْرِكِ (٢) فاسْتَيْقِنِى
فهٰذِى الفَضِيلةُ سِجْنُ النُّفوس * وأَنتِ الجَدِيرَةُ أَنْ تُسْجَنِى
فلا تَسْأَلِينِى مَتَى تَنْقَضِى * لَيالِى الإسارِ؟ ولا تَحْزَنِى

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

كتابى إلى سَيِّدِى، وأَنا مِنْ وَعْدِه بين الجَنَّةِ والسَّلْسَبِيل (٣)، ومِنْ تِيهِى به فوقَ النَّثْرَةِ (٤) والإكْلِيل؛ وقد تَعَجَّلْتُ السُّرور، وتَسَلَّفْتُ (٥) الحُبُور؛

* وقَطَعْتُ ما بينى وبين النَّوائب *

وبَشَّرْتُ أَهْلِى بالذى قد سَمِعْتُه * فما بَعْدَنِى إلَّا لَيالٍ قَلائِلُ
وقلتُ لهم للشَّيْخِ فِينا مَشِيئةٌ * فليسَ لنا مِنْ دَهْرِنا ما نُنازِلُ (٦)

(١) القنة (بالكسر) : السير بقدّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال - وروض جنى (بتشديد الياء وتخفيف الشعر)؛ أى أدرك ثمره وصلح للجنى - يقول: إننى فى ضيق من هذه الخلال الحميدة، وهن فى سعة من نفسى. (٢) بمعقود أمرك؛ أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه، وهو الموت. (٣) السلسبيل: اسم عين ماء فى الجنة؛ قال تعالى: «عينا فيها تسمى سلسبيلا». (٤) النثرة: اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد»، وهى من منازل القمر - والإكليل: منزل من منازل القمر (أيضا)، وهو أربعة أنجم مصطفة. (٥) تسلفت الحبور: طلبته مقدما قبل أوانه. (٦) ننازل: نقاتل.

وجمعتُ فيه بين ثِقَةِ الزَّبيدىِّ[1] بالصَّمْصَامَة، والحارِثِ بالنَّعامة[2]؛ فلم أقُلْ ما قال المُذَلِّى[3] لصاحِبِه حِينَ نَسِىَ وَعْدَه، وتعجَّبَ رِفْدَه[4]:

* يا دارَ عاتِكَةَ التى أتَعَزَّلُ[5] *

---

(١) الزبيدى، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور، وهو من بنى زبيد، وقد أدرك الجاهلية والإسلام، وله بلاء حسن فى المعارك التى شهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى غيرها. والصمصامة: اسم سيفه.

(٢) الحارث، هو ابن عباد الثغلبى، وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم. والنعامة: اسم فرسه.

(٣) يريد «بالمذلى» أبا بكر. و«بصاحبه»: أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى المعروف. ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما، وكان أبو بكر المذلى هذا من جلساء المنصور وصحابته، وكان قد تعوّد ألا يكلم المنصور إلا جوابا على سؤال إجلالا له، ورهبة منه، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة، ثم تشاغل عن الوفاء بوعده، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مرا بدار عاتكة التى يشبب بها الأحوص، فقال المذلى للمنصور: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة التى يقول فيه الشاعر.

* يا دار عاتكة التى أتعزل *

فعجب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته، وفطن إلى ما يريد المذلى بذكر هذه الأبيات، وهو قول الشاعر فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

وتذكّر وعده، فقام بوفائه لساعته. والشعر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصارى من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز، وأولها:

يا دار عاتكة التى أتعزل * حذر العدا وبك الفؤاد موكل

إنى لأمنحك الصدود وإننى * قسما إليك مع الصدود لأميل

ويريد الكاتب بهذا الكلام: أنه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل المذلى مع المنصور.

(٤) الرفد: العطاء والصلة.

(٥) أتعزل: أتجنب.

بل أناديه نداءَ الأَخِيذَةِ[1] فى عَمُورِيَّة، شُجاعَ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّة؛ وأَمُدُّ صَوتى بِذِكْرِ إحسانِه، مَدَّ المُؤَذِّنِ صَوْتَهَ فى أَذانِه؛ وأَعْتَمِدُ عليه فى البُعْدِ والقُرْب، اعتمادَ المَلَّاحِ على نَجْمَةِ القُطْب.

وقالَ أَصْحابِى وقد هَالَنِى النَّوَى * وهالَهُمُ أَمْرِى: مَتَى أَنْتَ قَافِلُ؟[2]

فقلتُ: إذا شاءَ الإمامُ فأَوْبَتِى * قَرِيبٌ ورَبِّى بالسَّعَادَةِ آهِلُ[3]

وهَأَنَا مُتَمَاسِكٌ حتى تَنْحَسِرَ هذه الغَمْرَة[4]، ويَنْطَوِىَ أَجَلُ تلك الفَتْرَة؛ وينْظُرُ لى سَيِّدى نَظْرَةً تَرْفَعُنِى مِنْ ذاتِ الصَّدْع[5]، إلى ذاتِ الرَّجْع؛ وتَرُدُّنِى إلى وَكْرِى[6] الذى فيه دَرَجْتُ وَدَّ الشَّمسِ قَطْرَةَ المُزْنِ إلى أَصْلِها، وردَّ الوَفِىُّ الأَمانَاتِ إلى أَهْلِها.

---

(١) الأخيذة: الأسيرة، فعيلة بمعنى مفعولة. وعمورية: بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله ثامن خلفاء بنى العباس فى سنة ٢٢٣هـ. ويريد «بشجاع الدولة العباسية»: المعتصم بالله السابق ذكره. ويشير بهذا الكلام الى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم فى عمورية فى عهد المعتصم، وكان الروم يعذبونها، فصاحت: وامعتصماه، فقال لها بعض الحراس ساخرا بها: سيأتيك المعتصم على جواد أبلق وخلفه خيول بلق فينقذك من أيدينا. فمنى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم، فأقسم أن يفتح بلاد الروم، ويعود بالأسيرة؛ ثم جرّد لوائه على بلاد الروم بجيش كثيف كله خيول بلق، وتقدمه هو على جواد أبلق. فنكل بالروم وفتح عمورية، ودخل على الأسيرة فى سجنها واستنقذها وأعادها الى بلادها.

(٢) النوى: البعد. وقافل: راجع. (٣) قال: «قريب» ولم يقل: «قريبة» لأنه يستعمل فى المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى: «إن رحمة الله قريب من المحسنين». وآهل بالسعادة: عامر بها.

(٤) تنحسر هذه الغمرة: أى تنكشف هذه المصيبة. (٥) الصدع: الشق. ويريد «بذات الصدع»: الأرض. والرجع: المطر بعد المطر. وذات الرجع: أى السماء. قال تعالى: (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع). (٦) الوكر: عش الطائر؛ والمراد به هنا: وطنه. ودرجت: مشيت. والمزن (بضم فسكون): السحاب. ويشير بهذه العبارة الى ماء المطر الذى يسقط من السماء، فتحوله الشمس بحرّها إلى بخار، ثم يعود الى أصله سحابا.

فإنْ شاءَ فالقُربُ الّذى قد رَجَوْتُه * وإنْ شاءَ فالعِزُّ الّذى أنا آمُلُ

وإلّا فإنّى قافُ (رُؤْبَةَ)(١) لَم أَزَلْ * بقَيْدِ النّوَى حتّى تَحُولَ الغَوائِلُ

فلقد حَلَلْتُ السُّودانَ حُلولَ الكَلِيمِ(٢) فى التّابُوت، والمُغاضِبِ(٣) فى جَوْفِ الحُوت؛ بين الضِّيقِ والشِّدّة، والوَحْشَةِ والوُحْدة(٤). لا، بل حُلول الوَزِيرِ(٥) فى تَنُّورِ العَذاب والكافِرِ فى مَوْقِفِ يومِ الحِساب؛ بين نارَين: نارِ القَيْظ، ونارِ الغَيْظ.

فنادَيْتُ بآسِمِ الشَّيخِ والقَيْظُ جَمْرُه * يُذيبُ دِماغَ الضَّبِّ(٦) والعَقْلُ ذاهِلُ

فصِرتُ كأنّى بين رَوْضٍ ومَنْهَلٍ * تَدِبُّ الصَّبا(٧) فيه وتَشْدُو البَلابِلُ

---

(١) رؤبة: هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية. وكان هو وأبوه من رجاز الإسلام وفصحائهم المذكورين المقدّمين منهم. ومات رؤبة فى أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، فضرب بقافه المثل فى السكون وعدم الحركة؛ والمراد هنا: إن لم يدركنى الأستاذ الإمام بمساعيه، فإنى مستقر فى هذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة فى سكونها، حتى يأتى الأجل. وفى قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء:

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت * فى الدهر لم يقدر له إبراؤها

والغوائل: الدواهى التى تأخذ الإنسان من حيث لا يدرى. (٢) الكليم: نبى الله موسى عليه السلام؛ وقصة وضعه فى التابوت وإلقائه فى اليم وهو وليد مشهورة، وقد قصها الله تعالى فى القرآن فى غير موضع. (٣) يريد «بالمغاضب»: نبى الله يونس عليه السلام، قال تعالى فى سورة الأنبياء: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) الآية. وقصة التقام الحوت إياه وخروجه من جوفه مشهورة؛ وقد ذكرها الله تعالى فى القرآن. (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو فى شرح القاموس ضبطا بالعبارة.

(٥) يريد «بالوزير»: أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفتين، المعتصم بالله، وابنه الواثق بالله. ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدّة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر بقتله مبالغة فى تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أوّل من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ. (٦) يذيب دماغ الضب: كناية عن شدّة الحر. والضب: حيوان قصير الذنب، معقد، خشن الجلد، لونه إلى غبرة مشربة بالسواد. (٧) الصبا: ريح الشمال. وتشدو، أى تغرد.

واليومَ أكتُبُ إليه وقد قَعَدَتْ هِمَّةُ النَّجْمَيْن[1]، وقَصُرَتْ يَدُ الجَدِيدَيْن[2]؛ عن إزالةِ ما فى نَفْسِ ذلكَ الجَبَّارِ العَنِيد[3]، فلقد نَمَى ضِبُّ ضِغْنِه[4] علىَّ[5]، وبَدَرَتْ[6] بَوادِرُ السُّوءِ منه إلىَّ؛ فأصْبَحْتُ كما سَرَّ العَدُوَّ وساءَ الحَمِيم[7]، وآلامِى كأنَّها جُلودُ أهْلِ الجحيم، كلَّما نَضِجَ منها أديمٌ تَجَدَّدَ أديم[8]؛ وأمْسَيْتُ ومُلْكُ آمالِى إلى الزَّوال أسْرَعُ مِنْ أثَرِ الشِّهابِ فى السَّماء، ودَوْلَةُ صَبْرِى إلى الاضْمِحْلال أحَثُّ[9] مِنْ حَبابِ الماء؛ فنَظَرْتُ فى وُجوهِ تلك العِباد، وإنِّى لَفارِسُ[10] العَيْنِ والفُؤاد؛ فَلَمْ تَقِفْ فِراسَتِى على غيرِ بابِك.

---

(١) يريد «بالنجمين» : المشترى والزهرة؛ وكان القدماء يعتقدون أن لهما تأثيرا فى نفوس البشر يؤلفان منها ما تفرق . ويقال : قعدت همته عن كذا، أى عجزت عنه .

(٢) الجديدان : الليل والنهار .

(٣) يريد « بالجبار العنيد » : كتشنر باشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك، وكان بينه وبين حافظ نفور وجفوة، حتى يقال : إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه : لا يرق ولا يرفت .

(٤) نمى ينمى وينمو : زاد .

(٥) الضب : الغيظ والحقد الخفى .

(٦) بدرت : أسرعت . والبوادر : جمع بادرة، وهى ما يبدر من الإنسان عند سكرته من خطأ وسقطات، والمراد « ببوادر السوء » : أوائله .

(٧) الحميم : الصديق .

(٨) الأديم : الجلد . ويشير بهذه العبارة الى قوله تعالى فى صفة عذاب أهل النار : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) .

(٩) أحث : أشد سرعة . وحباب الماء : فقاقيعه التى تكون على سطحه .

(١٠) فارس : اسم فاعل من الفراسة، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية .

وإنّي أُهديكَ[1] سَلاما لو آمتزَجَ بالسّحاب، وآختلَطَ منه باللُّعاب[2]، لأَصْبَحَتْ تَتَهادَى بقَطْرِه[3] الأَكاسِرَه، وأَمْسَتْ تَدَّخِرُ منه الرُّهْبانُ في الأَدْيِرَه[4]؛ ولَأَغْنَى ذاتَ الجِحاب، عن الغالية[5] والمَلاب[6]؛ ولا بِدْعَ إذا جادَ السَّيِّدُ بالرَّدِّ، فقد يُرَى وَجْهُ المَليكِ في المِرْآة، وخَيالُ القَمَرِ في الأَضاة[7]؛ وإن حال حائل، دون أُمْنِيَّةِ هٰذا السائل؛ فهو لا يَذُمُّ يَوْمَك، ولا يَيْأَسُ مِنْ غَدِك؛ فأنتَ خَيْرُ ما تكونُ حِينَ لا تَظُنُّ نَفْسٌ بنَفْسٍ خَيْرا؛ والسّلام.

---

(١) صوابه «أهدي لك» أو «إليك». (٢) لعاب السحاب: مطره. (٣) قطر السحاب: ماؤه الذي يقطر منه. والأكاسرة: ملوك فارس. (٤) لم نجد هذا الجمع «للدير» في مدوّنات اللغة التي بين أيدينا؛ والذي وجدناه أن جمعه: أديار، كما في القاموس وغيره؛ وديورة، كما في المصباح؛ وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال في كلام المعاصرين، بل لا يستعملون غيره. وقد شبه المطر الممزج بسلافه بالخمر المتقنة عند الرهبان، المحفوظة في أديارهم. (٥) الغالية: نوع من الطيب مركب من أخلاط تغلى على النار. والملاب: كل مطر مائع؛ وهو لفظ فارسي معرب. (٦) لا بدع، أي ليس غريبا ولا أول شيء حدث. (٧) الأضاة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد): الغدير؛ وجمعه أضوات (بالتحريك).

المراثي

رثاء عثمان[1] السيد أباظه بك

سنة ١٨٩٦ م

رُدَّا كُؤوسَكُما عن شُبْهِ مَفْؤُودِ * فليس ذٰلك يومَ الرَّاحِ والعُودِ[2]

ياساقِيَيَّ أَرانِي قد سَكَنْتُ إلى * ماءِ المَدامِعِ من ماءِ العَناقِيدِ[3]

وبِتُّ يَسْتَاحُ سَمْعِي حين يَفْتُقُه * صَوْتُ النَّوادِبِ لا صَوْتُ الأَغَارِيدِ[4]

فأَمْسِكا الرَّاحَ إنِّي لا أُخامِرُها * وبَلِّغا الغِيدَ عَنِّي سَلْوَةَ الغِيدِ[5]

ثم امْضِيَا ودَعانِي إنني رَجُلٌ * قد آلَ أَمْرِي إلى هَمٍّ وتَسْهِيدِ

أَبْعِدْ (عُثْمانَ) أَبْنِي مَأْرَباً حَسَناً * مِنَ الحَياةِ وحَظًّا غَيْرَ مَنْكُودِ؟

---

(١) عثمان أباظه بك، هو ابن السيد أباظه باشا، ولد في سنة ١٢٦٤ هـ — ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية، ثم مدرسة الإدارة والألسن، وهي مدرسة الحقوق في أول عهدها؛ وتولى جملة مناصب، فكان ناظر قسم، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوي مفتشا لتفتيش (الزنكلون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال بنها، وأقام ببلده (الربعماية) بالقليم الشرقية؛ وكان بيته ملتقى العظماء والأدباء والشعراء، وكان حافظ ابراهيم بك كثير التردد عليه، وتوفي سنة ١٨٩٦ م. وكان أبوه السيد أباظه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب.

(٢) المفؤود: مصاب الفؤاد. والراح: الخمر.

(٣) سكن الى الشيء: استراح اليه وأنس به. ويريد بماء العناقيد: الخمر.

(٤) يفتقه، أي يشقه ويفذ فيه. والأغاريد: جمع أغرودة، وهي الأغنية.

(٥) لا أخامرها، أي لا أخالطها. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة المتثنية ليانا ونعمة.

إنّي لَيَحْزُنُني إنْ جاءَ يَنْشُدُهُ * داعِي المَنُونِ وأنّي غيرُ مَنْشُودِ (١)

أمْسَتْ تُنافِسُ فيكَ الشُّهْبَ مِنْ شَرَفٍ * أرْضٌ تَوارَيْتَ فيها يافَتَى الجُودِ (٢)

لو لَمْ تَكُنْ سَبَقَتْكَ الأنْبِياءُ لَها * قُلْنا بأنَّكَ فيها خيرُ مَلْحُودِ

ووَدَّتِ الرِّيحُ لو كانَتْ مُسَخَّرَةً * لِحَمْلِ نَعْشِكَ عن هامِ الأماجِيدِ (٣)

والشمسُ لو أنّها مِن أُفْقِها هَبَطَتْ * وآثَرَتْ مَعْكَ سُكْنَى القَفْرِ واللِّبَدِ

وقد تَمَنَّى الضُّحى لو أنَّهُمْ دَرَجُوا * هٰذا الفَقِيدَ بثَوْبٍ منه مَفْقُودِ (٤)

يا راحِلاً أكْبَرَتْكَ الحادِثاتُ وَما * أكْبَرْتَها عندَ تَلْيِينٍ وتَشْدِيدِ (٥)

أبْكَيْتَ حتّى العُلا والمَكْرُماتِ وما * جَفَّتْ عليكَ مَآقِي الخُرَّدِ الخُودِ (٦)

وباتَ آلُكَ والأصْحابُ كُلُّهُمُ * عليكَ ما بَيْنَ مَحْزُونٍ ومَعْمُودِ (٧)

يَبْكُونَ فَقْدَ امْرِئٍ للخَيْرِ مُنْتَسِبٍ * بالبِشْرِ مُنْتَقِبٍ في النّاسِ مَحْمُودِ (٨)

(بَنِي أباظَةَ) لا زالَتْ دِيارُكُمُ * أفْقَ البُدُورِ وغاباً للصَّناديدِ (٩)

---

(١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) «تنافس فيك الشهب» الخ ، أى تفاخرها بدفنك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٤) درجوا : لقوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همته . (٦) يريد بالمآقى : العيون . والخرّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ؛ شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباظة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى الغائد ، بطن من طيئ (وكفر الغائد بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق الى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك عندسقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباظه لأن أمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباظه ، فنسبوا إليها .

لا قَدَّرَ اللهُ بعد اليوم تَعزِيَةً * إلّا هَناءً على عِزٍّ وتَخْلِيدِ
وعَظَّمَ اللهُ فى (عُثمانَ) أجرَكُمُ * فى رَحْمَةِ اللهِ أمسَى خَيرَ مَعْمُودِ

رثاء سليمان أباظه باشا (١)

[قيلت فى سنة ١٨٩٧ م]

أيُهذا الثَّرَى إلامَ التَّمادِى * بَعْدَ هٰذا أأنتَ غَرْثانُ صَادِى (٢)
أنتَ تَرْوَى مِنْ مَدْمَعٍ كلَّ يومٍ * وتُغَذَّى مِنْ هٰذه الأَجْسادِ
قد جَعَلْتَ الأنامَ زادَكَ فى الدَّهْـ * ـرِ وقد آذَنَ الوَرَى بالنَّفادِ
فالتَمِسْ بعدَهُ المَجَرَّةَ وِرْدًا * وتَزَوَّدْ من النُّجومِ بزادِ (٣)
لَسْتُ أَدْعُوكَ بالتُّرابِ ولكنْ * بقُدُودِ المِلاحِ والأَجْيادِ (٤)
بخُدودِ الحِسانِ ، بالأَعْيُنِ النُّجْـ * ـلِ ، بتلكَ القُلُوبِ والأَكْبادِ (٥)
لَمْ تَلِدْنا (حَسوَاءُ) إلّا لنَشْقَى * لَيْتَها عاطِلٌ مِنَ الأَوْلادِ
أَسْلَمَتْنا إلى صُرُوفِ زَمانٍ * ثمَّ لَمْ تُوصِها بِحِفْظِ الوِدادِ (٦)

(١) انظر التعريف بسليمان أباظه باشا فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .

(٢) الغرثان : الجائع ، والصادى : الظمآن . يريد مداومة الثرى على مواراة الأجساد وإبلاء الجسوم .

(٣) المجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فى السماء فترى كأنها بقعة بيضاء .

(٤) القدود : جمع قد ، وهو القامة ، والأجياد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى بعده : أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجيادها وخدودها وعيونها ... إلخ ، لأنها فنيت فيه فصارت منه .

(٥) النجل : الواسعة .

(٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

أيُّها اليمُّ كَمْ بِقاعِكَ نَفْسٍ * فيكَ أَوْدَتْ مِنْ عَهْدِ ذِي الأَوْتادِ (١)

قد تَحالَفْتَ والتُّرابَ عَلَيْنا * وتَقاسَمْتَما فَناءَ العِبادِ

خَبِّرينا جُهَيْنَ لا تَكْذِبينا * ما الَّذي يَفْعَلُ البِلَى بِالجَوادِ؟ (٢)

كَيْفَ أَمْسَى وكَيْفَ أَصْبَحَ فيه * ذٰلِكَ المُنْعِمُ الكثيرُ الرَّمادِ (٣)

رَحِمَ اللهُ منه لَفْظًا شَجِيًّا * كان أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الأَعادِي

رَحِمَ اللهُ منه طَرْفًا تَقِيًّا * ويَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الغَوادِي (٤)

رَحِمَ اللهُ منه شَهْمًا وَفِيًّا * كانَ مِلْءَ العُيونِ في كلِّ نادِي (٥)

أَلْهَمَ اللهُ فيكَ صَبْرًا جَمِيلًا * كلُّ مَنْ باتَ ناطِقًا بالضَّادِ

بِتَّ في حُلَّةِ النَّعِيمِ وبِتْنا * في ثِيابٍ مِنَ الأَسَى والسُّهادِ (٦)

وسَكَنْتَ القُصورَ في بَيْتِ خُلْدٍ * وسَكَنَّا عليكَ بَيْتَ الحِدادِ

---

(١) اليم : البحر . و « نفس » (بالجر) على قول بعض النحويين ، والنصب أرجح ، للفصل بين « كم » وتمييزها بالجار والمجرور . وأودت : هلكت . وذو الأوتاد : لقب لفرعون ورد ذكره في القرآن .

(٢) جهين ، يريد جهينة ، وهي قبيلة من قضاعة . ويشير الشاعر إلى المثل المعروف : « وعند جهينة الخبر اليقين » . يضربه لمن يعرف الأمور على حقيقتها ، وأصله من قول الشاعر :

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

والجواد : الكريم .

(٣) فيه ، أي في « البلى » السابق في البيت الذي قبله . وكنى " بكثرة الرماد " عن سعة جوده ، وكثرة إطعامه الناس .

(٤) الغوادي : السحب تنشأ غدوة ؛ الواحدة غادية .

(٥) ملء العيون ، كناية عن هيبة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه .

(٦) الأسى : الحزن .

وقال يرثيه أيضا :

لا والأَسَـــى وتَلَهُّبِ الأَحْشَـاءِ * ما باتَ بَعْـــدَكَ مُعْجَبٌ بوَفَاءِ (١)

أَنَّى حَلَلْتُ أَرَى عليـــكَ مآتِمًا * فلِمَنْ أَوَجْهُ فيـــكَ حُسْنَ عَزائى؟

لِبَنِيكَ ، أم لِذَوِيكَ ، أم للكَوْنِ ، أمْ * للدَّهرِ ، أمْ لجَمَاعةِ الجَـوْزاء؟ (٢)

أَوْدَى (سُـــلَيْمانٌ) فأَوْدَى بَعْـــدَه * حُسْنُ الوَفاءِ وبَهْجَـــةُ العَلْيَـاء (٣)

لا تَحْمِـــلُوه على الرِّقابِ فقـــد كَفَى * ما حُمِّلَتْ مِنْ مِنَّـــةٍ وعَطَـاء

وذَرُوا على نَهْـــرِ المَدَامِعِ نَعْشَـــه * يَسْرِى بـــه للرَّوْضَـــةِ الفَـيْحاء (٤)

تاللهِ لو عَلِمَتْ بـــه أَعْـــوادُه * مُـــذْ لامَسَـــتْهُ لأَوْرَقَتْ للـزائى (٥)

خُلُقٌ كضَوْءِ البَدْرِ ، أو كالرَّوْضِ ، أو * كالزَّهْرِ ، أو كالخَمْرِ ، أو كالماء

وشَمَـائِلٌ لو مازَجَتْ طَبْـــعَ الدُّجَى * ما باتَ يَشْـــكُوه المُحِبُّ النـائى (٦)

وعَمَائِـــدٌ تَسَـجَتْ له أَكْـفانَه * مِنْ عِفَّـــةٍ ، وسَمَـاحَـــةٍ ، وإباء

ومَنَـاقِبٌ لـــولا المَهَـابةُ والتُّـــقَى * قُلْنَـا مَنَـاقِبُ صـاحِبِ الإِسْراء (٧)

وعَزائِمٌ كانت تَفُـــلُّ عَزائِمَ الـ * ـأَحْـــدَاثِ ، والأَيَّامِ ، والأَعْـــدَاء (٨)

---

(١) الأسى : الحزن . وقوله : « ما بات » الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف . ويريد « بجماعة الجوزاء » : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج . (٣) أودى : هلك . (٤) الفيحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .

(٥) أعواده : يريد أعواد نعشه . (٦) النائى : البعيد . يريد أنه لو كان قبل أخلاقه وبهاياه ماشكا العاشق طوله عليه وسهده فيه . (٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٨) تفل : تكل . والأحداث : حوادث الزمن وشدائده .

عَطَّلْتَ فَنَّ الشِّعْرِ بَعْدَكَ وَانْطَوَى * أَجَلُ القَرِيضِ وَمَوْسِمُ الشُّعَرَاءِ
وَاللُّؤْلُؤُ اسْتَعْصَى عَلَيْنَا نَظْمُهُ * بِسُمُوطِ مَدْحٍ أَوْ سُمُوطِ هَنَاءِ (١)
إِلَّا عَلَى طَرَفٍ بَكَاكَ وَشَاعِرٍ * أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَاثِيَ الخَنْسَاءِ (٢)
شَوَّقْتَنَا لِلتُّرْبِ بَعْدَكَ وَاشْتَهَى * فِيهِ الإِقَامَةَ وَاحِدُ العَذْرَاءِ (٣)
تَبًّا فُؤَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصَبُّرِي * وَاشْرَحْ (لآلِ أَبَاظَةٍ) بُرَحَائِي (٤)
فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْفًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الكُرَمَاءِ

رثاء الملكة فكتوريا (٥)

[نشرت فى ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أُعَزِّي القَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزَائِي * وَأُعْلِنُ فِي مَلِيكَتِهِمْ رِثَائِي
وَأَدْعُو الإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ * بِحُكْمِ اللهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
فَكُلُّ العَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

---

(١) السموط : جمع سمط (بالكسر) ، وهو خيط النظم مادام فيه الخرز ، فاذا لم يكن فيه فهو سلك .

(٢) الخنساء ، هى تماضر بنت عمرو بن الحارث ، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب غلب عليها ، وأكثر شعرها فى رثاء أخويها معاوية وصخر ، فضرب بها المثل فى الحزن . وقد شبت فى الجاهلية ، وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت فى أول خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٢٤ هـ .

(٣) واحد العذراء : عيسى المسيح عليه السلام ، إشارة الى أنه فى السماء ، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها .

(٤) البرحاء : شدة الحزن والعناء .

(٥) الملكة فكتوريا ، هى الكسندرينا بنت ادوارد ، وهو الدوق كنت ، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م ، وتولت عرش انجلترا فى سنة ١٨٣٧ م ، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشَمْسُ ٱلْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ ٱلنَّهَارِ * هَوَتْ أَمْ تلك مالِكَةُ البِحارِ

فَطَرْفُ الغَرْبِ بالعَبَرَاتِ جَارِى * وعَيْنُ اليَمِّ تَنْظُر للبُخار (١)

بِنَظْـرَةِ واجِدٍ قَـلِقِ الرَّجاءِ

أَمالِكَةَ البِحارِ ولا أُبالِى * إذا قالوا تَعَـالَى فى ٱلْمَقَـالِ

فِمِثْل عُلاكِ لَمْ أَرَ فى ٱلْمَعَـالى * ولا تاجًا كَتاجِكِ فى ٱلْجَـلالِ

ولا قَوْمًا كَقَوْمِكِ فى الذَّهاءِ

مَلَأْتِ الأَرْضَ أَعْلامًا وجُنْدًا * وشِدْتِ لأُمَّةٍ (السَّكْسُونِ) (٢) مَجْدًا

وكنتِ لِقَائِها يُمْنًا وسَـعْدًا * تَرَى فى نُورِ وَجْهِكِ إنْ تَبَدَّى (٣)

سُعُودَ البَـدْرِ فى بُرْجِ ٱلْهَناءِ

وكنتِ إذا عَمَدْتِ لأَخْذِ ثَارٍ * أَسَلْتِ البَرَّ بالأُسْـدِ الضَّوارِى (٤)

وسَيَّرْتِ المَدائِنَ (٥) فى البِحارِ * وأَمْطَرْتِ العَدُوَّ شُـواظَ نارِ

وذَرَّيْتِ المَعاقِلَ (٦) فى ٱلْهَـواءِ

---

(١) اليم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجل من الشرق ، من الدانمارك وشمالى المانيا الغربى ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا فى الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى التزم إلى جبال الغالة أو الى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجل والسكسون يعيشون أول الأمر فى ولايات مستقلة منفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، واعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ؛ وهى ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها فى اوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أى بدا وظهر .
(٤) «أسلت الخ» أى جعلت البر يسيل بالشجعان كما يسيل الماء . والضوارى : الجريئة التى تعودت الصيد ولازمته . (٥) يريد «بالمدائن» : السفن الكبيرة . وشواظ النار (بالضم وبالكسر) : سوطها ولهيبها . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وفرقت أجزاءها فى الهواء .

أُعَزِّى فيك تاجَك والسَّريرا * أُعَزِّى فيك ذا المَلِكَ الكَبيرا (١)
أُعَزِّى فيك ذا الأَسَدَ المَصُورا * على العَلَمِ الذى مَلَكَ الدُّهورا (٢)
وظَلَّلَ تحتَــه أَهْــلَ الوَلاءِ
أُعَزِّى فيــك أَبْطالَ النِّزالِ * ومَنْ قاسُوا الشَّدائِدَ فى القِتالِ (٣)
وأَلْقَوْا بالعَــدُوِّ إلى الوَبالِ * ولَمْ يَمْنَعْهُمُ فــوقَ الجِبالِ (٤)
لَهِيبُ الصَّيْفِ أو قُرُّ الشِّتاءِ

بيتان كتبا على قبر السيد عبدالرحمن الكواكبي (٦)

فى ســنة ١٩٠٢م

هُنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هُنَا مَهْبِطُ التُّقَى * هُنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هُنَا خَيْرُ كاتِبِ
قِفُوا وأَقْرِئُوا أُمَّ الكِتابِ وسَلِّمُوا * عليه فهٰذا القَبْرُ قَبْرُ (الكَواكِبِى) (٧)

---

(١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .

(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية ، والمصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » ، بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين فى هذا البيت لضرورة الوزن . (٤) الوبال : الهلاك .

(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعاهم عن تسلق الجبال .

(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح فى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند ، وألف كتابيه المشهورين (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفى فى سنة ١٩٠٢ م

(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامى البارودى[1] باشا

[نشرت فى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

ردُّوا عَلَىَّ بَيانِى بَعْـــدَ (محمودِ) * إنِّى عَيِيتُ وأَعْيـا الشِّعْرُ مجهودِى[2]

ما لِلبلاغَـــةِ غَضْـبَى لا تُطاوِعُنى * وما لِجَبْـلِ القَـوافِى غيرَ تَمْـدُودِ؟

ظَنَّتْ سُكُوتِى صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ * فأَسْـلَمَتْنِى الى هَـــمٍّ وتَسْهِيـــدِ[3]

ولو دَرَتْ أنَّ هَـذا الخَطْبَ أَخْمَنِى * لأَطْلَقَتْ مِنْ لِسانِى كلَّ مَعْقودِ[4]

لَبَّيْـكَ يامُؤْنِسَ المَـوْتَى ومُوحِشَـنا * يا فارِسَ الشِّعْرِ والهَيْجاءِ والجُـودِ[5]

مُلْكُ القُلوبِ ــ وأنتَ المُسْتَقِلُّ به ــ * أَبْقَى على الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابنِ داوُدِ)[6]

لقَـــد نَزَحْتَ عن الدُّنيا كما نَزَحَتْ * عنها لَيـالِيكَ مِنْ بِيضٍ ومِنْ سُـودِ[7]

أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عنها وازْدَرَيْتَ بهـا * قَبْـلَ المَـاتِ ولَمْ تَحْفِـلْ بِمَوْجُودِ[8]

لَبَّيْـكَ ياشاعِرًا ضَنَّ الزَّمانُ به * على النُّهَى والقَـــوافِى والأَنَاشِـيدِ[9]

---

(١) انظر التعريف بالبارودى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بيانى، أى أعيدوه الى بعد أن عزب عنى من هول المصاب . وعيى بعيا (من باب رضى) : كل وتعب .

(٣) أى ظلت البلاغة سكوتى عن رثاء الفقيد إعراضا عن مودته وتناسيا لصحبته فتركتنى أعاتب بالهم والسهر . (٤) أخمنى : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .

(٦) يريد «بابن داود» : نبى الله سليمان عليه السلام، وبه يضرب المثل فى سعة الملك .

(٧) نزحت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودى بالعز والبقاء ، وأخرى شق فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنفى . (٨) يشير بقوله : « أغمضت عينيك » إلى أن الفقيد كان قد كف بصره فى آخر حياته فعاش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهى : العقول ؛ الواحدة نهية (بالضم) .

تَجْرِى السَّلاسَةُ فى أثناءِ مَنْطِقِه * تَحْتَ الفَصاحَةِ جَرْىَ الماءِ فى العُودِ (١)

فى كلِّ بَيْتٍ له ماءٌ يَرِفُّ بِه * نَفّارُ مِنْ ذِكْرِه ماءُ العَناقِيدِ (٢)

لو حَنَّطُوكَ بشِعْرٍ أنت قائِلُه * غَنِيتَ عن نَفَحاتِ المِسْكِ والعُودِ

حَلَّيْتَه بعدَ أنْ هَذَّبْتَه بِسَنَا * عِقْدٍ بمَدْحِ رَسُولِ اللهِ مَنْضُودِ (٣)

كَفاكَ زادًا وزَيْنًا أن تَسِيرَ إلى * يومِ الحِسابِ وذاكَ العِقْدُ فى الجِيدِ (٤)

لَبَّيْكَ يا خَيْرَ مَنْ هَزَّ اليَراعَ، ومَنْ * هَزَّ الحُسامَ، ومَنْ لَبَّى، ومَنْ نُودِى

إنْ هُدَّ رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فقد رَفَعَتْ * لكَ الفَضِيلَةُ رُكْنًا غيرَ مَهْدُودِ (٥)

إنّ المَناصِبَ فِى عَزْلٍ وتَوْلِيَةٍ * غيرُ المَواهِبِ فى ذِكْرٍ وتَخْلِيدِ

أكْرِمْ بها زَلَّةً فى العُمْرِ واحِدَةً * إنْ عَمَّ أنَّكَ فيها غيرُ مَحْمُودِ (٦)

سَلُوا الحِجا هَلْ قَضَتْ أرْبابُه وَطَرًا * دُونَ المَقادِيرِ أو فازَتْ بمَقْصُودِ (٧)

---

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيفا ، إذا كثر ماؤه من النضرة والنضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودى فى حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر . (٣) السنا : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودى التى عارض بها قصيدة البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، ومطلعها : (كشف الغمة فى مدح خير الأمة) وأولها :

يا سارى البرق يمم دارة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق . (٥) يشير إلى ما نكب به البارودى فى حياته من عزله من مناصب الحكومة ، ونفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد « بالزلة » اشتراك الفقيد فى الثورة العرابية .

(٧) الحجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

كنتَ الوَزيرَ وكنتَ المُسْتَعانَ به * وكان هَمُّكَ هَمَّ القادَةِ الصِّيدِ (١)
كم وَقْفَةٍ لكَ والأَبْطالُ طائِرَةٌ * والحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيداً بِصِنْدِيدِ (٢)
تَقُولُ للنفسِ إنْ جاشَتْ اليكَ بها * هٰذا مَجالُكِ سُودِى فيه أو بِيدِى (٣)
نَسَخْتَ (يومَ كَرِيدٍ) كلَّ ما نَقَلُوا * فى يومِ (ذِى قارَ) عن (هانِئِ بنِ مَسْعُودِ) (٤)
نَظَمْتَ أعْداكَ فى سِلْكِ الفَناءِ به * على رَوِىٍّ ولٰكِنْ غيرُ مَعْهُودِ (٥)
كأنَّهُمْ كَلِمٌ والمَوْتُ قافِيَةٌ * يَرْمِى بِهِ عَرَبِىٌّ غيرُ رِعْدِيدِ (٦)
أوْدَى (المَعَرِّى) تَقِىُّ الشِّعْرِ مُؤْمِنُهُ * فكادَ صَرْحُ المَعالِى بَعْدَهُ يُودِى (٧)

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى مولية فى سرعة من الخوف والفزع . والصنديد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . ربها ، أى بالهرب . وباد يبيد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتقض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية ، فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديبهم . وكان البارودى « رئيس يا ورسرب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبل الجيش المصرى فى إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أخمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعدتها خمسة آلاف مقاتل . و يوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . وذو قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الوقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانئ بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الوقعة ، وهو الذى أودع عند النعمان بن المنذر ودائعه ، وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . يعمل وقوع القتل قتيلا بجانب قتيل كأبيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيد قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل . (٦) الرعديد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاتحادها فى جميع أبيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . و يودى ، أى يتهدم و ينقض .

وأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلٍ ومِنْ أَدَبٍ * وأَقْفَرَ الرَّوْضُ مِنْ شَدْوٍ وتَغْرِيدِ

وأَصْبَحَ الشِّعْرُ والأَسْماعُ تَنْبِذُه * كأَنَّه دَسَمٌ فى جَوْفِ مَمْدُودِ (١)

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ واسْتَرْخَتْ أَعِنَّتُهُ * فَراحَ يَعْثُرُ فى حَشْوٍ وتَقْيِيدِ (٢)

وأَنْكَرَتْ نَسَماتُ الشَّوْقِ مَرْبَعَه * تُثِيرُها خَطَراتُ الخُرَّدِ الخُرُدِ (٣)

لو أَنْصَفُوا أَوْدَعوه جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَنْزِ حِكْمَتِه لا جَوْفَ أُخْدُودِ (٤)

وكَفَّنُوه بِسَدْرٍ مِنْ صَحائِفِه * أو وَاضِحٍ مِنْ قَمِيصِ الصُّبْحِ مَقْدُودِ (٥)

وأَنْزَلُوه بِأُفْقٍ مِنْ مَطالِعِه * فوقَ الكَواكِبِ لا تَحْتَ الجَلامِيدِ (٦)

وناشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مَحاسِنَه * لِلشَّرْقِ والغَرْبِ والأَمْصارِ والبِيدِ (٧)

أَقُولُ لِلمَلإِ الغادِى بِمَوْكِبِه * والنَّاسُ ما بَيْنَ مَكْبُودٍ ومَفْؤُودِ (٨)

غُضُّوا العُيونَ فإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ * مَعَ المَلائِكِ تَكْرِيمًا (لِمَحْمُودِ) (٩)

---

(١) المعود : الذى أعلت معدته فلا يستمرئ ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به . والأعنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير اللجام . وكنى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة ألفاظه ، واضطراب نظمه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .

(٣) مربعه : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . والخرد : جمع خريدة ، وهى العذراء . والخود (بالضم) : جمع خود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن النزل والنسيب فى الشعر قد ذهبا بذهاب البارودى .

(٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض ، يريد بها القبر . (٥) القدر (بالفتح) : ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصخور ، الواحد جلمود .

(٧) البيد : الفلوات ، الواحدة بيداء . (٨) الملأ : الجماعة . والمكبود : المصاب فى كبده . والمفؤود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد «بالروح» : الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

يا وَيْحَ للقَـبْرِ قـد أَخْفَى سَنا قَـمَـرٍ * مُقَسِّمِ الوَجْـهِ مَحْسُـودِ التَّجالِيـدِ (١)

يا وَيْحَهُ حَلَّ فيـه ذُو قَرِيحَتُـه * لَمَّا بِخِـدْرِ المَعـالِي أَلْفُ مَـوْلُود (٢)

فـرائدٌ خُرَّدٌ لـو شاءَ أَوْدَعَهـا * مُحْصِي الجَـدِيدِ بِحِلْيَاتِ المَوَالِيـد (٣)

كأنّهـا وهْيَ بالألفـاظِ كاسِـيَةٌ * وحُسْنُهـا بينَ مَشْهُودٍ ومَحْسُـود (٤)

لَآلِئٌ خَلْفَ بَـلُّورٍ قـد آنسَـتْ * فى بَيْتِ دِهْقَانَ تَسْتَهْوِى نُهَى الغِيد (٥)

(مَحْمُـودُ) إنّى لَأَسْـتَحْيِيكَ فى كَلِمِى * حَيًّا ومَيْتًا وإنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِيذِى (٦)

فاعذُرْ قَرِيضِى واعْذِرْ فِيـكَ قائِلَه * كِلاهُمـا بَيْنَ مَضْعُـوفٍ ومَحْـدُود (٧)

---

(١) سنا القمر : ضوءه . ومقسم الوجه : جميل كله ، كأن كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) ذر (هنا) : بمعنى الذى ، فى لغة طيئ . والخدر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : قصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة فى نوعها . والخرد : اللآلئ التى لم تثقب ، الواحدة خريدة ، شبه قصائده بالفرائد الخرد فى نفاستها وصيانتها عن الابتذال . ومحصى الجديد : من يحيد المعانى الجديدة التى يبتكرها الشعراء . ويريد بقوله : « لو شاء » الخ : أن له معانى مبتدعة جديرة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالية منجملة كما يجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر وبضم) : التاجر ، فارسى معرب . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا . وقد شبه فى هذا البيت المعانى فى شعر الفقيد باللآلئ ، والألفاظ بالبلور فى أنها تشف عما تضمنت من المعانى كما يشف البلور عما وراءه .

(٦) قصد الشاعر (بالتضعيف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والممنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجادة فى رثاء الفقيد .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

[نشرت فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

سَلامٌ على الإسْلامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلامٌ على أيّامِهِ النَّضِراتِ (٢)

على الدِّينِ والدُّنْيا، على العِلْمِ والحِجا * على البِرِّ والتَّقْوَى، على الحَسَنات

لقد كنتُ أَخْشَى هادِيَ المَوْتِ قَبْلَه * فأَصْبَحْتُ أَخْشَى أنْ تَطُولَ حَياتِي

فوالمَنْفِي — والقَبْرُ بَيْنِي وبَيْنَه — * على نَظْرَةٍ مِنْ تِلْكُمُ النَّظَرات (٣)

وقَفْتُ عليه حاسِرَ الرَّأْسِ خاشِعًا * كأنِّي حِيالَ القَبْرِ فى عَرَفات (٤)

لقد جَهِلُوا قَدْرَ الإمامِ فأَوْدَعُوا * تَجالِيدَه فى مُوحِشٍ بفَلاة (٥)

ولو ضَرَحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لأَنْزَلُوا * بِخَيْرِ بِقاعِ الأرضِ خَيْرَ رُفات (٦)

تَبارَكْتَ هٰذا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ * أَيُتْرَكُ فِي الدُّنيا بغَيْرِ حُماة ؟

تَبارَكْتَ هذا عالِمُ الشَّرقِ قد قَضَى * ولانَتْ قَناةُ الدِّينِ للغَمَزات (٧)

---

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .

(٢) النضرات : ذوات الحسن والرونق . (٣) والمنفى : كناية يحسر بها على مافات .

(٤) حاسر الرأس : عاريه . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضرح الميت : حفر له ضريحا . ويريد «بالمسجدين» : المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : مايبلى وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحا لهذا الجسم لكان حريا بذلك ، لأنه خير جسم يدفن فى خير بقعة من الأرض .

(٧) قضى : مات . والقناة : الرمح . ولين القناة : كناية عن الضعف والوهن . ويريد «بالغمزات» : المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

زَرَعْتَ لنـا زَرْعًا فأَنْضَجَ شَطْأَهُ * وبِئْتَ ولمّا تَجْتَنِ الثَّمَراتِ (١)

فـواهًا له ألّا يُصيبَ مُوَفِّقًـا * يُشَـارِفُه والأَرضُ غـيرُ مَواتِ (٢)

مَدَدْنا إلى الأَعْلامِ بَعْدَكَ راحَنـا * فَرُدَّتْ إلى أَعْطافِنـا صَفِراتِ (٣)

وجالَت بنـا تَبْغِي سِواكَ عُيونُنـا * فَعُدْنَ وآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ (٤)

وآذَوْكَ فى ذَاتِ الإلهِ وأَنْكَرُوا * مَكانَكَ حتّى سَوَّدُوا الصَّفَحاتِ (٥)

رأَيتَ الأَذَى فى جانِبِ اللهِ لَذَّةً * ورُحْتَ ولَمْ تَهْمُمْ له بِشَكاةِ

لقد كنتَ فِيهِمْ كَوكَبًا فى غَياهِبٍ * ومَعْـرِفَةً فى أَنْفُسٍ نَصِكاتِ (٦)

أَبَنْتَ لنـا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وحِكْمَةً * وفَرَّقْتَ بين النُّورِ والظُّلُمَـاتِ (٧)

ووَفَّقْتَ بين الدِّينِ والعِـلْمِ وانْجَا * فأَطْلَعْتَ نُورًا مِن ثَلاثِ جِهاتِ

وَقَفْتَ (لهانُوتُو) و(رِينانَ) وَقْفَةً * أَمَدَّكَ فِيهـا الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ (٨)

---

(١) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبئت : بعدت . (٢) الضمير فى «له» يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجدبة التى لا تنبت . يعنى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها . (٣) يريد « بالأعلام » : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهى الكف . والأعطاف : المشاعر . وصفرات ، أى خاليات . (٤) شرقات ، أى محمرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التى كان يوجهها أعداء الفقيد اليه ، ويشرونها فى بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه . (٦) اللياهب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت الى الدروس التى كان يلقيها الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى . ولد فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات فى الطعن على الاسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسى ، ولد فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيا ، وهو مشهور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق ، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما . وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

وخفت مقام الله فى كل موقف * نخافك أهل الشك والترهات (١)

وكم لك فى إغفاءة الفجر يقظة * نفضت عليها لذة الهجعات (٢)

وولّيت شطر البيت وجهك خاليا * تناجى إله البيت فى الخلوات (٣)

وكم ليلة باتت فى جوفها الكرى * ونبهت فيها صادق العزمات (٤)

وأرصدت للباغى على دين أحمد * شباة يراع ساحر النفثات (٥)

إذا مس خد الطرس فاض جبينه * بأسطار نور باهر اللمعات (٦)

كأن قرار الكهرباء بشقه * يريك سناه أيسر اللمسات (٧)

فيا سنة مرت بأعواد نعشه * لأنت علينا أشأم السنوات

حطمت لنا سيفا، وعطلت منبرا * وأذويت روضا ناضر الزهرات (٨)

وأطفأت نبراسا وأشعلت أنفسا * على جمرات الحزن منطويات (٩)

---

(١) الزغات : الوساوس .

(٢) الإغفاءة : النومة . « ونفضت عليها » الخ ، أى أنه خلع على اليقظة لذة الهجعة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجعة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أرصدت : أعددت وهيأت . واليراع : القلم . وشباته : سنه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبيها لها بما ينفثه الساحر فى العقد .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوءه ونوره . يقول : كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم ، لمجرد اللمس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النبراس : المصباح .

To: www.al-mostafa.com

رأى فى لَيَـالِيكَ المُنَجِّـمُ مَا رَأَى * فأَنْـذَرَنَا بالـوَيْلِ والعَـثَرَاتِ (١)

ونَبَّـأَهُ عِـلْمُ النُّجُـومِ بحـادِثٍ * تَبِيتُ لـه الأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ

رَمَى السَّرَطانُ اللَّيْثَ واللَّيْثُ خادِرٌ * ورُبَّ ضَعِيفٍ نافِـذ الرَّمَيَـاتِ (٢)

فأَوْدَى به خَتْلًا فمَـالَ إلى الثَّرَى * ومالَتْ له الأَبْرَامُ مُنْحَـرِفَاتِ (٣)

وشاعَتْ تَعازِى الشُّهْبِ بالنَّوْحِ بَيْنَهَا * عن النَّيِّرِ الهَـاوِى إلى الفَـلَوَاتِ

مَشَى نَعْشُـه يَخْتَـالُ عُجْبًـا بِرَبِّهِ * ويَخْطِـرُ بين النَّاسِ والقُبَّـلاتِ (٤)

تَكادُ الدُّموعُ الجـارِياتُ تُقِـلُّه * وتَدْفَعُـه الأَنْفَـاسُ مُسْـتَعِرَاتِ (٥)

بَكَى الشَّرْقُ فارْتَجَّتْ له الأَرْضُ رَجَّةً * وضاقَتْ عُيونُ الكَوْنِ بالعَبَرَاتِ

ففِي الهِنْدِ مَحْزُونٌ وفى الصِّينِ جازِعٌ * وفى (مِصْرَ) باكٍ دائمُ الحَسَرَاتِ

وفى الشَّامِ مَفْجُوعٌ، وفِى الفُرْسِ نادِبٌ * وفى تُونُسٍ ما شِئْتَ مِنْ زَفَرَاتِ

بَكَى عالَمُ الإِسْـلامِ عالِمَ عَصْـرِه * سِراجَ الدَّياجِى هـادِمَ الشُّـبُهَاتِ (٦)

---

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام فى السنة التى توفى فيها ، وكتب ذلك فى تقويمه السنوى .

(٢) رمى السرطان ... الخ ، اشارة الى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هـذا الداء المعروف . والليث خادر ، أى والأسـد فى أجمته ، ويطلق السرطان أيضا على برج فى السماء يقابله برج الأسـد الذى أطلق الشاعر عليـه لفظ الليث . واستعمل الشطر الأول فى المعنيين ، كما يدل عليـه سياق الكلام فى الأبيات التالية .

(٣) أودى به : ذهب به . والختل : الخداع . والأبرام : الأفلاك .

(٤) ربه : صاحبه .

(٥) تقله : تحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .

(٦) الدياجى : الظلمات .

مَلاذَ عَيايِلِ ثِمالَ أَرامِلِ * غِياثَ ذَوِي عُدْمٍ إمامَ هُداةِ (١)

فلا تَنْصِبُوا للناس تِمثالَ (عَبْدِه) * وإنْ كانَ ذِكْرَى حِكْمَةٍ وثَباتِ

فإنِّي لَأَخْشَى أنْ يَضِلُّوا فيُومِئُوا * الى نُورِ هٰذا الوَجْهِ بالسَّجَداتِ (٢)

فيا وَيْحَ للشُّورَى اذا جَدَّ جِدُّها * وطاشَتْ بِها الآراءُ مُشْتَجِراتِ (٣)

ويا وَيْحَ لِلفُتْيا اذا قِيلَ مَنْ لَها؟ * ويا وَيْحَ للخَيْراتِ والصَّدَقاتِ

بَكَيْنا على فَرْدٍ وإنَّ بُكاءَنا * على أنْفُسٍ لِلهِ مُنْقَطِعاتِ

تَمَهَّدَها فَضْلُ الإمامِ وَحاطَها * بإحْسانِهِ والدَّهْرُ غيرُ مُواتِي (٤)

فيا مَنْزِلًا في (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظَلَّنِي * وأَرْغَمَ حُسَّادِي وغَمَّ عُداتِي (٥)

دَعائِمُه التَّقْوَى وأساسُه الهُدَى * وفيه الأَيادِي مَوْضِعُ اللَّبِناتِ (٦)

عليكَ سَلامُ اللهِ، مالَكَ مُوحِشًا * عَبُوسَ المَغانِي مُقْفِرَ العَرَصاتِ (٧)

---

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيايل : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم . وثمال الأرامل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : المغيث والمعين . والعدم : الفقر .

(٢) يومئوا : يشيروا . وقد ردد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للاستاذ الإمام .

(٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبكات لا يتميز فيها الحق من الباطل .

(٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواتي : الموافق المساعد .

(٥) عين شمس : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد .

(٦) دعائم البيت : عمده . والأيادي : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ؛ الواحدة لبنة .

(٧) الموحش : الخالي الذي ليس به ساكن . ومغانيه : منازله التي كان ينزل بها ساكنوه ؛ الواحد مغنى . وعرصاته : ساحاته .

لقد كنتَ مَقْصودَ الجَوانبِ آهِلاً * تَطُوف بِكَ الآمالُ مُبْتَهِـلاتِ (١)
مَثابةَ أُرْزاقٍ، ومَهْبِـطَ حِكْمَةٍ * ومَطْلَعَ أَنْوارٍ، وكَعْبَةَ عِظاتِ (٢)

رثاء مصطفى كامل باشا (٣)

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

أيا قَبْرُ هَـذا الضَّـيْفُ آمالُ أُمَّةٍ * فَكَبِّرْ وهَلِّلْ وأَلْقَ ضَيْفَكَ جاثِيَـا (٤)
عَزيزٌ علينا أنْ نَرَى فيكَ (مُصْطَفَى) * شَهِيدَ العُـلَا فى زَهْرَةِ العُمْرِ ذاوِيا (٥)
أيا قَـبْرُ لو أنَّا فَقَـدْناهُ وَحْدَه * لَكانَ التأَسِّى مِنْ جَوَى الحُزْنِ شافِيا (٦)
ولكنْ فَقَـدْنا كلَّ شَيْءٍ بفَقْـدِه * وهَيْهَـاتَ أنْ يَأْتِى به الدَّهْرُ ثانِيـا
فيـا سائِلِى أَيْنَ المُـرُوءةُ والوَفَا * وأينَ ابنُهَـا والرَّأْىُ؟ وَيْحَكَ هاهِيـا
هَنِيئًا لهُـمْ فَلْيَأْمَنُوا كلَّ صائِحٍ * فقد أُسْكِتَ الصَّوْتُ الذى كانَ عَالِيا (٧)

(١) منزل آهل : عامر بأهله . ومبتهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع - أى إن الناس كانوا يرجعون الى هذا البيت فى طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية فى وقت واحد ، ثم ذهب الى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية فى سنة ١٨٩٥م . وكانت باكورة أعماله كتابه الذى رفعه الى رئيس مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونية سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية فى مصر ، إلى أن توفى فى سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطنى . (٤) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه ، والمراد هنا : الخضوع . (٥) الذاوى : الذابل .

(٦) التأسى : الاقتداء بمن سواك فى الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير فى « لهم » : للإنجليز .

ومات الذى أحيا الشعورَ وساقه * الى المجدِ فاستحيا النفوسَ البواليا (١)

مَدَحْتُكَ لما كنتَ حيًّا فلم أجِدْ * وإنى أجيدُ اليومَ فيكَ المراثيا

عليكَ، وإلا ما لِذا الحزنِ شاملًا * وفيكَ، وإلا ما لِذا الشعبِ باكيا (٢)

يموتُ المُداوى للنفوسِ ولا يرى * لما فيه من داءِ النفوسِ مُداويا

وكنا نيامًا حينما كنتَ ساهدًا * فأسهدتنا حزنًا وأمسيتَ غافيا (٣)

شهيدَ العُلا، لا زال صوتُكَ بيننا * يرنُّ كما قد كانَ بالأمسِ داويا (٤)

يُهيبُ بنا : هذا بناءٌ أقمتُه * فلا تهدِموا باللهِ ما كُنتُ بانيا (٥)

يصيحُ بنا : لا تُشعِروا الناسَ أننى * قضيتُ وأنّ الحيَّ قد باتَ خاليا (٦)

يُناشِدُنا باللهِ ألّا تفرّقوا * وكونوا رجالًا لا تسرُّوا الأعاديا

فروحى من هذا المقامِ مُطِلّةٌ * تُشارِفُكُمْ عنّى وإنْ كنتُ بالِيا (٧)

فلا تحزنوها بالخلافِ فإننى * أخافُ عليكمْ فى الخلافِ الدواهيا

أجَلْ، أيُّها الداعى الى الخيرِ إننا * على العهدِ ما دمنا فنمْ أنتَ هانيا (٨)

بناؤكَ محفوظٌ، وطيفُكَ ماثلٌ * وصوتُكَ مسموعٌ، وإنْ كنتَ نائيا

---

(١) استحيا : أى أحيا . والاستحياء (لغة) : الاستبقاء ؛ يقال : استحيا فلان فلانا ، إذا أبقاه حيا .

(٢) عليك : أى عليك الحزن . وفيك : أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والغافى : النائم .

(٤) المعروف (دوى) بتشديد الواو ، واسم الفاعل منه : مدوٍّ ، وأما (دوى) بالتخفيف ، فهو استعمال شائع فى كلام أهل العصر .

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه .

(٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو .

(٨) أجل : كلمة تقال فى الجواب بمعنى « نعم » .

عِهْدناكَ لا تَبْكى وتُنكِرُ أنْ يُرَى * أخُو البَأْسِ فى بَعْضِ المَواطِنِ باكِيا

فَرَخِّصْ لنا اليومَ البُكاءَ وفى غَدٍ (١) * تَرانا كما تَهْوَى جِبالًا رَواسِيا

فيا نِيلُ إنْ لَمْ تَجْسِرِ بَعْدَ وَفاتِه * دَمًا أحْمَرًا لا كنتَ يا نِيلُ جارِيا

ويا (مِصْرُ) إنْ لم تَحْفَظِى ذِكْرَ عَهْدِه * إلى الحَشْرِ لا زالَ انْحِلالُكِ باقِيا

ويا أهْلَ (مِصْرٍ) إنْ جَهِلْتُمْ مُصابَكُمْ * ثِقُوا أنَّ نَجْمَ السَّعْدِ قد غارَ هاوِيا

ثلاثُون عاما بل ثلاثُون دُرَّةً (٢) * بجِيدِ اللَّيالِى ساطِعاتٍ زَواهِيا

سَتَشْهَدُ فى التاريخِ أنَّكَ لَمْ تَكُنْ (٣) * فَتًى مُفْرَدًا بل كنتَ جَيْشًا مُغازِيا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها فى حفل الأربعين فى ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوادِىَ الأزْهارِ (٤) * وأتَيْتُ أنْثُرُ بينهُمْ أشْعارِى

زَيْنَ الشَّبابِ وزَيْنَ طُلّابِ العُلا * هل أنتَ بالمُهَجِ الحَزِينَةِ دارِى؟

غادَرْتَنا والحادِثاتُ بمَرْصَدٍ (٥) * والعَيْشُ عَيْشُ مَذَلَّةٍ وإسارِ

---

(١) الذى وجدناه أنه يقال : «رخصت له» ورخصته فى كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهى عنه . ولم نجد فى كتب اللغة أنه يقال : رخصت له كذا بحذف «فى» كما استعمله الشاعر فى هذا البيت ، إلا أن يقال : إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير ، فحذف الفاء . والرواسى : الرواسخ .

(٢) توفى مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون فى هذا البيت عدد تقريبى .

(٣) تشهد ، أى الثلاثون عاما .

(٤) نوادى الأزهار : الرطبة المبللة بالندى .

(٥) بمرصد ، أى أن الحوادث ترقبنا وتخبئ الفرص لمداهمتنا . والمرصد ، هو مكان الرصد ، أى المراقبة .

ما كانَ أَحْوَجَنا إليكَ اذا عَدَا * (١) بادٍ وصاحَ الصّائحُون : بَدَارِ

أَيْنَ الخَطِيبُ وأَيْنَ خَلّابُ النُّهَى؟ * طالَ انْتِظارُ السَّمْعِ والأَبْصارِ

بالله ما لَكَ لا تُجِيبُ مُنادِيًا * (٢) ما ذا أَصابَكَ يا أَبَا المِغْوارِ

قُمْ وانْحُ ما خَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومَرٍ) * (٣) جَهْلًا بِدِينِ الواحِدِ القَهّارِ

قد كُنْتَ تَغْضَبُ للكِنانَةِ كُلَّما * (٤) هَمَّتْ وَهَمَّ رِجالُها بِعِثارِ

غَضَبَ التَّقِيِّ لِرَبِّه وكِتابِه * (٥) أو غَضْبَةَ (الفارُوقِ للمُخْتارِ)

قد ضاقَ جِسْمُكَ عن مَداكَ فلم يُطِقْ * (٦) صَبْرًا عليكَ وأنتَ شُعْلَةُ نارِ

أَوْدَى به ذاكَ الجِهادُ وهَدَّه * (٧) عَزْمٌ يَهُدُّ جَلائِلَ الأَخْطارِ

لَعِبَتْ يَمِينُكَ بالبَراعِ فأَعْجَزَتْ * (٨) لَعِبَ الفَوارِسِ بالقَنا الخَطّارِ

وجَرَيْتَ للعَلْياءِ تَبْغِي شَأْوَها * (٩) فَسَرى القَضاءُ وأنتَ في المِضْمارِ

---

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير الغارات على الأعداء . ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبى المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية فى مصر من طعن على الدين الإسلامى . (٤) العثار : الكبو والنعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . والمختار : النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطمح إليه من المعالى . (٧) أودى به : ذهب . « وهده عزم » الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناه . (٨) القنا : الرماح . والخطار : من صفات الرمح، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشأو : الغاية . ويريد « بالقضاء » : الموت .

أوكلّما هـــزّ الرّجاءُ مُهنّـــدًا * بَتَرَتْ إليـــه غوائلُ الأقْـــدارِ (١)

عزّ القـــرارُ على ليـــلةَ نعيـــه * وشهدتُ موكبَه فقـــرّ قـــراري (٢)

وتسابقتْ فيـــه النُّعـــاةُ فطائرٌ * بالكهـــرباءِ، وطـــائرٌ بِبُخـــار (٣)

شاهدتُ يومَ الحشْرِ يـــومَ وفاته * وعلمتُ منـــه مراتبَ الأقْـــدار (٤)

ورأيتُ كيفَ تفي الشعوبُ رجالَها * حـــقَّ الـــولاءِ وواجبَ الإكبار

يمشـــونَ ألفًا حولَ نعشكَ خُشّع * يمشـــون تحتَ (لوائكَ) السّـــيّار (٥)

خطّوا بأدمعهم على وجـــهِ الثّرى * للحُـــزنِ أسـطارًا عـــلى أسـطار

آنًا يُوالُون الضجيجَ كأنّهـــم * رَكْبُ الحجيجِ بكعبةِ الزُّوّارِ

وتخالُهم آنًا لفـــرْطِ خشُـــوعِهم * عنـــد المُصَلّى يُنْصِتُونَ لقـــارِي

ظَلَبَ الخشُـــوعُ عليهمُ فدُموعُهم * تجـــري بلا كَلَحٍ ولا استِئْثار (٦)

قد كنتُ تحتَ دُموعهم وزفيرِهم * ما بينَ سَـــيْلٍ دافـــقٍ وشَرار

أسـعى فيأخُـــذُني اللّهيبُ فأتّقي * فيصُـــدُّني مُتـــدفّقُ التّيّـــار

---

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : «وشهدت» الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد فى جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد «بالطائر بالكهرباء» : الرسائل البرقية . «وبالطائر بالبخار» : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف تنزل الأمة عظماءها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح ، أى بلا عبوس ولا تقطب . والمدموع : كلاح وكلوح (بالضم فيهما) . والاستئثار من الأنف معروف . ويريد «بجرى بلا كلح ولا استئثار» : أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

لَـــوْ لَمْ أَلُذْ بالنَّعْشِ أو بِظِـلالِه * لَقَضَيْتُ بين مَراجِلٍ وبِحـار (١)

كم ذاتِ خِدْرٍ يومَ طافَ بك الرِّدَى * هَتَكَتْ عليـكَ حَـرائرَ الأَسْـتار

سَـــفَرَتْ تُوَدِّعُ أُمَّـةً مَحْمُـولَةً * فى النَّعْشِ لا خَـبَراً مِن الأخبار

أَمِنَتْ عُيونَ النّـاظِرِين فَـزَقَّتْ * وَجْـهَ الخِمـارِ فَـلَمْ تَـلُذْ بخِمـار (٢)

قد قام ما بَيْنَ العُيونِ وبَيْنَهـا * سِـتْرٌ مِن الأَحْزانِ والأَكْمار

أَدْرِجْتَ فى العَـلَمِ الّذى أَصْفَيْتَه * مِنـكَ الوِدادَ فكان خيرَ شِـعار (٣)

عَلَمـانِ مِنْ فَوْقِ الرءوسِ كِلاهُما * فى طَيِّـه سِرٌّ مِن الأَسْـرار (٤)

نادَاهُمـا دَاعِى الفِـراقِ فأَسْـرَعا * يَتعانَقانِ على شَـفِيرِ هارِى (٥)

تاللهِ ما جَزِعَ المُحِبُّ ولا بَكَى * لِنَـوًى مُرَوِّعَـةٍ وبُعْـدِ مَزار (٦)

جَزَعَ (الهِلالِ) عليـكَ يومَ تَرَكْتَه * ما بَيْنَ حَـرِّ أَسًى وحَـرِّ أُوار (٧)

مُتَلَفِّتًـا مُتَحَـيِّرًا مُتَخَـيِّرًا * رَجُلًا يُنـاضِـلُ عنـه يومَ نِفـارِ

---

(١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القدور ، الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد «بالمراجل والبحار» : ما أشار اليه فى البيت الأسبق من الزفرات والدموع .

(٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها . (٣) يقال : أدرجه فى الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد «بالعلم» : علم مصر . (٤) يريد «بالعلمين» : الفقيد ، تشبيها له بالعلم فى ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذى لف فيه النعش .

(٥) شفير كل شىء : حرفه . والهارى : المنهار .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التى كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظمأ ، ويريد به ما تركه فراقه فى النفوس من تعطش إليه .

إنّ الثلاثينَ (١) الّتى بك فاتحرت * باتت تُفاسُ بأطوَلِ الأعمارِ

ضمّت الى التاريخ بِضعَ صحائِف * بيضاءَ مثلَ صحائِفِ الأبرارِ

شبّهتُهنّ بنُقطةٍ عِطريّةٍ * وَسعَتْ مُحصّلَ (٢) روضةٍ مِعطارِ

خلّفتَها كالمِسكِ يحكُو حَذوَها * راجى الوُصولِ ومُقتَفِى الآثارِ

ماذا على السّارِى ـ وهُنّ منائرٌ ـ * لو سارَ بينَ (٣) مجاهِلٍ وقِفارِ

ما زِلتَ تختارُ المواقِفَ وَعْرَةً * حتّى وَقفتَ لذلكَ (٤) الجبّارِ

وهَدمتَ سُورًا قد أجادَ بِناءَه * فِرعَونُ (٥) ذو الأوتادِ والأنهارِ

ووَصلتَ بين شكاتِنا ومَشايِخٍ * فى (البَرلمانِ) (٦) أعزّةٍ أخيارِ

كَشَفُوا الغِطاءَ عن العُيونِ فأبصَرُوا * ما فى الكِنانةِ مِن (٧) أذًى وضِرارِ

نَبذُوا كَلامَ (اللّردِ) حينَ تبيّنُوا * حَنَقَ المَغيظِ ولَهجةَ الثّرثارِ (٨)

ورَماهُمُ بمُجلّدينِ رَموهُما * فى رُتبةِ الأصفارِ لا الأسفارِ (٩)

---

(١) يريد الثلاثين سنة التى ذكرها فى مرثيته السابقة فى قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدمنا أن الفقيد قد توفى عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون مدد تقريبى . (٢) الروضة المعطار : الكثيرة الزهور والرياحين . ومحصلها : مايحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ، ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها .

(٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغى ، شبه اللورد كرومر به .

(٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى .

(٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا وشرودا عن الحق . (٩) يشير «بالمجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ، والواحد سفر (بالكسر) .

واهًا على تلك المواقف إنها * كانت مواقف ليث غاب ضارى (١)

لم يلوه عنها الوعيد ولا ثنى * من عزمه قول المريب : حذار (٢)

فاهنأ بمنزلك الجديد ونم به * فى غبطة وانعم بخير جوار

واستقبل الأجر الكبير جزاء ما * ضحيت للأوطان من أوطار (٣)

نعم الجزاء ونعم ما بذلته * فى منزليك ونعم عقبى الدار (٤)

رثاء قاسم أمين بك (٥)

[نشرت فى ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

لله درك كنت من رجل * لو أمهلتك غوائل الأجل (٦)

خلق كأنفاس الرياض إذا * أسحرن عب العارض المطل (٧)

---

(١) الضارى : الجرىء المعود على الصيد . (٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمريب : ذو الريبة ، يريد به هنا : المتهم فى وطنيته ، المشكوك فى إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو البغية والحاجة . (٤) فى منزليك ، أى الدنيا والآخرة .

(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى فرنسا حيث درس الحقوق ، وعاد فى سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج فى المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية ، وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية ، وله فى ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) . واشترك أيضا فى الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ، وتوفى رحمه الله فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .

(٦) الغوائل : الدواهى المهلكة ، الواحدة غائلة .

(٧) أسحر : صار فى السحر . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . والمطل : المتتابع المطر العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب المطر وفى السحر .

وشمائـــلٌ لـــو أنّهـا مُزِجَتْ * بطَبـائِـعِ الأيّـــامِ لَمْ تَحُـــلِ (١)

جَـــمُّ المَحامِـــدِ غيرُ مُتْهَـــمٍ * جَـــمُّ التّواضُـــعِ غيرُ مُبْتَـــذَلِ (٢)

يا دَوْلَةَ الأخْـــلاقِ رافِـــلَةً * مِنْ (فاسِمٍ) فى أبْهَجِ الحُلَلِ (٣)

كيف انطَوَيْتِ به على عَجَلٍ * أكذا تكونُ مَصارِعُ الدُّوَلِ؟

يا طالِعًا للشَّـــرْقِ لَجّ بـــه * نَحْسُ النُّحُوسِ فقَـــرَّ فى (زُحَلِ) (٤)

هَـــلّا وَصَلْتَ سُـــراكَ مُنْتَقِلًا * عَلَّ السُّعُودَ تكونُ فى الثُّقَلِ

مالى أرَى الأجْـــداثَ حالِيَـــةً * وأرَى رُبُوعَ النِّيـــلِ فى عَطَـــلِ (٥)

فاذا الكِنانَةُ أطْلَعَتْ رَجُـــلًا * طـــاحَ القَضاءُ بذلك الرَّجُـــلِ (٦)

أوَ كلّما أرْسَلْتُ مَرْثِيَـــةً * مِنْ أدْمُعِى فى إثْرِ مُرْتَجِـــلِ (٧)

هاجَتْ بِىَ الأخْرَى دَفِـــينَ أسًى * فوَصَلْتُ بين مَدامِعِ المُقَـــلِ

إنْ خانَنِى فـــيما بَعَثْتُ به * شِعْرِى فهٰـــذا الدَّمْعُ يَشْـــفَعُ لِى

ولقَـــدْ أقـــولُ وما يُطـــاوِلُنِى * عنـــدَ البَدِيهَةِ قَـــوْلُ مُرْتَجِـــلِ: (٨)

يا مُرْسِـــلَ الأمْثـــالِ يَضْرِبُها * قَـــدْ عَزَّ بَعْدَكَ مُرْسِـــلُ المَثَلِ

---

(١) لم تحل ، أى لم تتحول ولم تتغير . والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مزجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتا على ما يحب الناس . (٢) المبتذل : المتهن .

(٣) رافلة : تجر الذيل متبخترة . (٤) لج به : ألح عليه . وزحل : كوكب معروف من المتفس ، وهو عند المنجمين كوكب نحس . (٥) الأجداث : القبور ؛ الواحد جدث (بالتحريك) . وحالية : مزدانة . والعطل : التجرد عن الزينة . (٦) طاح به : ذهب به .

(٧) «هاجت بى الأخرى» الخ ، أى أثارت المرثية الأخرى ما خفى من حزنى . (٨) طاوله : غالبه .

يا رائشَ الآراءِ صائبَةً * يَرْمِي بِهِنَّ مَقاتِلَ الخَطَلِ (١)

لِلّهِ آراءٌ شَأَوْتَ بِها * فِي الخالِدِينَ نَوابِغَ الأُوَلِ (٢)

قد كنتَ أَشْقانا بِنا وكذا * يَشْقَى الأَبِيُّ بِصُحْبَةِ الوَكَلِ (٣)

فَفِيمَ عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً * لَمْ تَشْكُ ، لَمْ تَسْتَوْصِ ، لَمْ تَقُلِ (٤)

غَلَّ القَضاءُ يَدَ القَضاءِ فَذا * يَبْكِي عليكَ وذاكَ فِي جَذَلِ (٥)

شَغَلَتْكَ عن دُنْياكَ أَرْبَعَةٌ * والمرءُ مِنْ دُنْياهُ فِي شُغُلِ:

حَقٌّ تُناصِرُهُ ومَفْخَرَةٌ * تَمْشِي إليها غَيْرَ مُنْتَحِلِ (٦)

وحَقائِقُ لِلعِلْمِ تَنْشُدُها * ما لِلحَكِيمِ بِهِنَّ مِنْ قِبَلِ (٧)

وفَضِيلَةٌ أَعْيَتْ سِواكَ فَلَمْ * تَمْدُدْ إليه يداً ولم يَصِلِ (٨)

إنْ رَيْتَ رَأْياً فِي الجَوابِ ولَمْ * تُعْصَمْ ، فِتلْكَ مَراتِبُ الرُّسُلِ (٩)

---

(١) الرائش : الذى يلزق الريش على السهم ليكون أسرع فى مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز الذى يكل أمره الى غيره . ويشير بهذا البيت الى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والطعن الجارح حين أخرج كتابيه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلا ، أى مت من غير علة ظاهرة . وتستوصى ، أى توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت .

(٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثانى) بمعنى الفصل فى الخصومات . والجذل (بالتحريك) : الفرح . (٦) المنتحل : الذى يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها . والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أى لم تمدد الفضيلة الى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها . (٩) ريت : رأيت ، بحذف الهمزة للوزن . ويشير بهذا البيت الى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة . وتلك ، أى العصمة .

الحُكْمُ للأيّام مَرْجِعُـــه * فِـيما رأيْتَ فـــنَمْ ولا تَسَـــلِ

وكذا طُهاةُ الرأى تَتْرُكُه (١) * للدَّهْرِ يُنْضِـجُه عـلى مَهَـــلِ

فاذا أَصَبْتَ فأنتَ خـيرُ فَـتًى * وَضَـعَ الدَّواءَ مَواضِعَ العِـلَلِ

أَوْلَا ، فحَسْبُكَ ما شَرُفْتَ بـــه * وتَرَكْتَ فى دُنْيـاكَ مِنْ عَمَلِ

واهًا عـلى دارٍ مَرَرْتُ بها * قَفْـــرًا وكانت مُلْتَـقَى السُّـبُلِ (٢)

أَرْخَصْتُ فيهـا كلَّ غالِيَـــةٍ * وذَكَرْتُ فيهـا وَقْفَـةَ الطَّلَـلِ (٣)

ساءَلْتُها عن (قاسِـمٍ) فأَبَتْ * رَدَّ الجَـوابِ فُرُحْتُ فى خَبَـلِ (٤)

مُتَعَـثِّرًا يَنْتـابُنِى وَهَـنٌ * مُتَرَنِّحًـا كالشـارِبِ الثَّمِـلِ (٥)

مُتَذَكِّرًا يـومَ (الإمامِ) بـه * يـومَ انْتُـوِيتُ بذَلِكَ البَطَـلِ (٦)

يومَ احْتَسَبْتُ ـ وكنتُ ذا أَمَلٍ ـ * تحتَ التـرابِ بقيّـةَ الأَمَـلِ (٧)

جاوِرْ أَحِبَّتَـكَ الأُلَى ذَهَبـوا * بالعَـزْمِ والإقْـدامِ والعَمَـلِ

وأَذكرْ لهـم حاجَ البِـلادِ إلى * تـلكَ النُّهَى فى الحـادِثِ الجَلَلِ (٨)

(١) شبه فى هـذا البيت صاحب الرأى برسله فى النـاس وبتركه ينفذ الى عقولهم شـيئا فشيئا حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النـار تتضجه شيئا فشيئا حتى يتم نضجه ، ويصـير صالحا لتناوله .

(٢) يريد «بالدار» دار الفقيد . وملتقى السبل ، أى مجمع الوافدين من كل طريق . ونصب «قفرا» على الحال . (٣) الغالية ، أى الدمعة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشد المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار . (٤) الخبل : الجنون . (٥) الوهن : الضعف . والمترنح : المتمايل سكرا . والثمل : النشوان . (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم انتويت به ، أى يوم رماني فيه الزمان وقصدنى بمكروهه . (٧) احتسبه : قدمه واعتده فيما يدخر عند الله .

(٨) الحاج : جمع حاجة .

قـلْ (للإمام) إذا ٱلتقيْتَ بـه * فى الجَنَّتَيْنِ بأكرَمِ النُّزُلِ:
إنّ الحقيقـةَ أصْبَحَتْ هَـدَفًا * للرَّاكِبِينَ مَراكِبَ الزَّلَـلِ
لِلّهِ آثارٌ لكم خَـلَدَتْ * صـاحَ الزَّوالُ بها فـلَمْ تَزُلِ
لِلّهِ أيّامٌ لكم دَرَجَـتْ * طـالَتْ عَـوارفُها ولَمْ تَطُـلِ (١)
نِعْـمَ الظِّـلالُ لو أنّهـا بَقِيَتْ * أو أنّ ظِـلًّا غـيرُ مُنتَقِـلِ

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشـدها فى المحفـل الذى أقيم عنـد قبره لإحياء ذكراه الأولى

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طُوفُوا بأرْكانِ هٰذا القَبْرِ واستَلِمُوا * وٱقْضُوا هُنالِكَ ما تَقْضِى به الذِّمَمُ (٢)
هُنا جَنانٌ تَعالَى اللهُ بارِئُه * ضاقَتْ بآمالِهِ الأقْدارُ والهِمَمُ
هُنا فَمٌ وبَنانٌ لاحَ بَيْنَهما * فى الشَّرْقِ فَجْرٌ يُحَيِّى ضَوْءَهُ الأمَمُ
هُنا فَمٌ وبَنانٌ طالَما نَثَرا * نَثْرًا تَسِيرُ به الأمْثالُ والحِكَمُ
هنا الكَمِىُّ الّذى شادَتْ عَزائمُه * لطالِبِ الحَقِّ رُكْنًا ليسَ يَنْهَدِمُ (٣)
هُنا الشَّهِيدُ، هُنا رَبُّ اللِّواءِ، هُنا * حامِى الذِّمارِ، هُنا الشَّهْمُ الّذى عَلِمُوا (٤)

---

(١) درجت : مضت وذهبت . والعوارف : جمع عارفة ، وهى العطية والمعروف ، فاعلة بمعنى مفعولة .
(٢) استلم القبر : قبله أو لمسه بيده . (٣) الكمى : الشجاع . (٤) اللواء : الصحيفة التى كان يصدرها الفقيد . والذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفاع عنه .

يَأيُّها النَّائمُ الهانِى بمَضْجَعِه * لِيَهْنِكَ النَّوْمُ لاهَمٌّ ولا سَقَم

باتتْ تُسائِلُنا فى كلِّ نازِلَةٍ * عنكَ المَنابِرُ والقِرْطاسُ والقَلَم

تَرَكْتَ فِينا فَراغًا ليس يَشْغَلُهُ * إلّا أَبِيٌّ ذَكِىُّ القَلْبِ مُضْطَرِم (١)

مُنَفِّسُ النَّوْمِ سَبّاقٌ لِغايَتِهِ * آثارُه عَمَمٌ آمالُه أُمَم (٢)

إنّى أَرَى وفُؤادِى لَيْسَ يَكْذِبُنى * رُوحًا يَحُفُّ بها الإكْبارُ والعِظَم

أَرَى جَلالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى مُحَيًّا يُحَيِّينا ويَبْتَسِم (٣)

اللهُ أكبرُ، هٰذا الوَجْهُ أَعْرِفُه * هٰذا فَتَى النِّيلِ هٰذا المُفْرَدُ العَلَم (٤)

غُضُّوا العُيونَ وحَيُّوهُ تَحِيَّتَه * مِنَ القُلوبِ إذَا لَمْ تُسْعِدِ الكَلِم (٥)

وأَقْسِمُوا أن تَذُودُوا عَنْ مَبادِئِه * فنَحْنُ فى مَوْقِفٍ يَحْلُو به القَسَم (٦)

لَبَّيْكَ نَحْنُ الأُلَى حَرَّكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لَمّا سَكَنْتَ ولَمّا غالَكَ العَدَم (٧)

جِئنا نُؤَدِّى حِسابًا عن مَواقِفِنا * ونَسْتَمِدُّ ونَسْتَعْدِى ونَحْتَكِم (٨)

قيلَ اسْكُتُوا فسَكَتْنا ثم أَنْطَقَنا * عَسْفُ الجُفاةِ وأَعْلَى صَوْتَنا الأَلَم (٩)

قد اتُّهِمْنا ولَمّا نَطْلُبِ جَلَلًا * إنّ الضَّعيفَ على الحالَيْنِ مُتَّهَم

---

(١) مضطرم، أى مشتعل غيرة وحمية . (٢) مغر النوم : مسهد . وعم، أى عامة شاملة .
(٣) المحيا : الوجه . (٤) أسعده : أعانه .
(٥) تذودوا : تدفعوا . (٦) غاله : أهلكه .
(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدى : نستنصر .
(٨) العسف : الظلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين . (٩) أطلب : طلب . والجلل : الأمر العظيم .

قالوا : لقد ظَلَمُوا بالحقّ أنفُسَهُمْ * والله يَعْلَمُ أنّ الظالمين هُمُ

إذا مَكَنّا تَناجَوْا، تلك عادَتُهُمْ * وإنْ نَطَقْنا تَنادَوْا : فِتنَةٌ عَمَم (١)

قد مَرّ عامٌ بِنا والأمْرُ يَحْزُبُنا * آنًا وآونَةً تَنْآبُنا النُّقَم (٢)

فالناسُ فى شِدّةٍ والدّهْرُ فى كَلَبٍ * والعَيْشُ قد حارَ فيه الحاذِقُ الفَهِم (٣)

وللسِّياسَةِ فِينا كلَّ آونَةٍ * لَوْنٌ جَديدٌ وعَهْدٌ ليس يُحْتَرَم

بَيْنا نَرَى جَمْرَها تُخْشَى مَلامِسُه * إذا به عِنْدَ لَمْسِ المُصْطَلِي فَحَم (٤)

تُصْغِي لأُمْواتِنا طَوْرًا لتَخْدَعَنا * وتارةً يُزْدَهِيها الكِبْرُ والصَّمَم

فِمْنْ مُلايَنَةٍ أسْتارُها خُدَعٌ * إلى مُصالَبَةٍ أسْتارُها وَهَم (٥)

ماذا يُرِيدُون؟ لا قَرّتْ عُيونُهُمُ * إنّ الكِنانَةَ لا يُطْوَى لها عَلَم

كم أُمّةٍ رَغِبَتْ فيها فما رَسَخَتْ * لها — على حَوْلِها — فى أرْضِها قَدَم (٦)

ما كان رَبُّكَ رَبَّ البَيْتِ تارِكَها * وهيَ التى بِجَمالٍ منه تَعْتَصِم (٧)

لَبَّيْكَ إنّا على ما كُنْتَ تَعْهَدُه * حَتّى نَسُودَ وحتّى تَشْهَدَ الأُمَم

فَيَعْلَمَ النِّيلُ أنّا خيرُ مَنْ وَرَدُوا * ويَسْتَطِيلَ آخِيالًا ذلك الهَرَم

---

(١) تناجوا : تساروا .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدته وإلحاحه بما يسوء .

(٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة أحوالا مختلفة فحينا تكون نارا حامية ، وحينا لحمة باردة .

(٥) الوهم (بسكون الهاء) ، معروف . وحركه الشاعر للضرورة .

(٦) رسخت : ثبتت . والحول : القوة

(٧) البيت : الكعبة .

هـذا الغِراسُ الّذى والَيْتَ منبِتَه * بخَيْرِ ما والَت الأَضْواءُ والنَّسَمُ (١)

أمْسَى وأَضْحَى وعَيْنُ اللهِ تَحْرُسُه * حتّى نَما وحَلاهُ المَجْدُ والشِّيَمُ

فانظُرْ إليه وقد طالَتْ بَواسِقُه * تَهْنَأْ به ولِأَنْفِ الحاسِدِ الرَّغَمُ (٢)

يأيُّها النَّشْءُ سِيرُوا فى طَرِيقَتِه * وثابِرُوا، رَضِىَ الأَعْداءُ أَو نَقِمُوا

فكُلُّكُمْ (مُصْطَفى) لو سارَ سِيرَتَه * وكُلُّكُمْ (كامِلٌ) لو جازَه السَّأَمُ (٣)

قد كان لا وانِيًا يوماً ولا وَكِلًا * يَسْتَقْبِلُ الخَطْبَ بَسّاماً ويَقْتَحِمُ (٤)

وأنتَ ياقَبْرُ قد جِئْنا على ظَمَإٍ * فجُدْ لَنا بجَوابٍ، جادَكَ الدِّيَمُ (٥)

أينَ الشَّبابُ الّذى أَوْدَعْتَ نَضْرَتَه * أينَ الجَلالُ — رَعاكَ اللهُ — والشِّيَمُ؟ (٦)

وما صَنَعْتَ بآمالٍ لنا طُوِيَتْ * ياقَبْرُ فيكَ وعَفّى رَسْمَها القِدَمُ؟ (٧)

ألا جَوابٌ يُرَوِّى مِنْ جَوانِحِنا * ما لِلقُبُورِ اذا ما نُودِيَتْ تَجِمُ؟ (٨)

نَمْ أنتَ، يَكْفِيكَ ماعانَيْتَ مِنْ تَعَبٍ * فنحن فى يَقْظَةٍ والشَّمْلُ مُلْتَئِمُ

هـذا (لِواؤُكَ) خَفّاقٌ يُظَلِّلُنا * وذاكَ شَخْصُكَ فى الأَبْكارِ مُرْتَسِمُ

---

(١) واليت منبته ، أى لم تنقطع عن تعهده . والنسم (محركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح ؛ وقيل : النسم أول هبوبها . «وبخير ما والت» الخ ، أى بأحسن ما تمدّ الشمس والنسيم حياة النبات .

(٢) البواسق : ماطال وارتفع من الأشجار . والرغم (بالسكون ، ويحرك وسطه للضرورة) : التراب . ولأنفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) الوكل (محركة) : العاجز الذى يكل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة ، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق ؛ ويقال : جادته الديم ، إذا أصابه بغزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .

(٦) الخلال : الخصال . (٧) الرسم : مابقى من آثار الديار . وعفاء القدم : محاه وطمس آثاره

(٨) ورجم يجم : سكت عن الكلام وعجز من كثرة الهم .

رثاء تولستوى (١)

[نشرت فى نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

رَثَاكَ أَمِيرُ الشِّعْرِ فى الشَّرْقِ وانْبَرَى * لَمَدْحِكَ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ كَبِيرُ (٢)

ولَسْتُ أُبَالِى حِينَ أَرْثِيكَ بَعْدَه * إذا قِيلَ عَنِّى قَدْ رَثَاهُ صَغِيرُ

فقد كنتَ عَوْنًا للضَّعِيفِ وإنَّنى * ضَعِيفٌ ومالِى فى الحَيَاةِ نَصِيرُ

ولَسْتُ أُبَالِى حِينَ أَبْكِيكَ لِلْوَرَى * حَوَتْكَ جِنَانٌ أَمْ حَوَالَكَ سَعِيرُ (٣)

فإنِّى أُحِبُّ النَّابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ * وأَعْشَقُ رَوْضَ الفِكْرِ وهوَ نَضِيرُ

دَعَوْتَ الى عِيسَى فَضَجَّتْ كَنَائِسٌ * وهُزَّ لها عَرْشٌ ومادَ سَرِيرُ (٤)

وقال أُنَاسٌ إنَّهُ قَوْلُ مُلْحِدٍ * وقال أُنَاسٌ إنَّه لَبَشِيرُ

---

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش فى أملاكه يزرعها ويقسم ماتغله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . واتهم فى آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وله فى رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

« تلستو » تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بائس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدرها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) « حوتك جنان » الخ ، أى أنه لا يبالى حين يرثيه أكان الفقيد مؤمنا أم كافرا .

(٤) ماد : اضطرب .

ولَوْلَا حُطامٌ رَدَّ عنـكَ كَيادَهُـــمْ * لَضِـقْتَ بـه ذَرْعًا وساءَ مَصِـيرُ (١)

ولكنْ حَماكَ العِـلْمُ والرأْىُ والحِجـا * ومالٌ — اذا جَدَّ النِّزالُ — وَفِيرُ

إذا زُرْتَ رَهْنَ المَحْبَسَين بحُفْـرَةٍ * بهـا الزُّهْـدُ ثاوٍ والذَّكاءُ سَـتِيرُ (٢)

وأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فى وَحْشَةِ البِلَى * وشاهَدْتَ وَجْهَ الشَّيْخِ وهو مُنِـيرُ (٣)

وأَيْقَنْتَ أنَّ الدِّينَ لِلهِ وَحْـدَه * وان قُبُـورَ الزَّاهِـدِين قُصُـورُ

فقِفْ ثمَّ سَلِّمْ واحتَشِمْ إنَّ شَـيْخَنا * مَهِيبٌ على رَغْـمِ الفَنـاءِ وقُـورُ (٤)

وسائِلْه عمَّـا غابَ عَنْـكَ فإنَّـه * عَلِـيمٌ بأَسْـرارِ الحَيـاةِ بَصِـيرُ

يُخَبِّرُكَ الأَعْمَى وإنْ كنتَ مُبْصِرًا * بمـا لَمْ تُخَـبِّرْ أَحْرُفٌ وسُـطُورُ

كأنِّى بسَـمْعِ الغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ بـه أَسْـتاذُنا ويُجِـيرُ (٥)

يُنـاجِيكَ : أَهْلًا بالذى عاشَ عَيْشَنا * ومات ولَمْ يَـدْرُجْ اليـه غُرُورُ (٦)

قَضَيْتَ حَيـاةً مِلْؤُها البِـرُّ والتُّقَى * فأنتَ بأَجْـرِ المُتَّقِينَ جَـدِيرُ

وسَمْتُكَ فيهـمْ فَيْلَسُـوفًا وأَمْسَكُوا * وما أنتَ إلا مُحْسِنٌ ومُجِـيرُ

وما أنتَ إلَّا زاهِـدٌ صاحَ صَـيْحَةً * يَرِنُّ صَـداهَا ساعَـةً ويَطِـيرُ

---

(١) الحطام : المال . والكياد : المكايدة . يشير الى ثروة تولستوى التى كان يملكها ثم نزل عنها بعد وفرتها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك فى ترجمته .

(٢) رهن المحبسين ، هو أبو العلاء المعرى ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد المحبسين : البيت . وبالآخر : العمى . وثار : مقيم . وستير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون .

(٣) يريد «بالشيخ» : أبا العلاء .

(٤) الاستشام : الحياء .

(٥) أعار الجواب بحيره : ردّه .

(٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

سَلَوْتَ عن الدُّنيا ولكنّهمْ صَبَوْا * إليها بما تُعطيهمُ وتُمِير (١)

حَياةُ الورَى حَرْبٌ وأنتَ تُريدها * سَلاماً وأسبابُ الكِفاحِ كَثير

أبَتْ سُنّةُ العُمْرانِ إلّا تَناحُرًا * وكَدْحًا ولو أنّ البَقاءَ يَسير

تُحاوِلُ رَفْعَ الشّرّ والشرُّ واقِعٌ * وتَطْلُبُ مَحْضَ الخَيْرِ وهو عَسير

ولولا امْتِزاجُ الشّرِّ بالخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ على أنّ الإلٰهَ قَدير

ولم يَبْعَثِ اللهُ النّبِيّينَ للهُدَى * ولَمْ يَتَطَلَّعْ للسَّرِيرِ أمِير

ولَمْ يَعْشَقِ العَلْياءَ حُرٌّ ولَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ ولَمْ يَرْجُ الثَّرَاءَ فَقِير

ولو كانَ فِينا الخَيْرُ مَحْضًا لَمَا دَعَا * الى اللهِ داعٍ أو تَبَلَّجَ نُور (٢)

ولا قِيلَ هٰذا فَيْلَسُوفٌ موفَّقٌ * ولا قِيلَ هٰذا عالِمٌ وخَبِير

فكَمْ فِي طَرِيقِ الشرِّ خَيرٍ ونِعْمَةٍ * وكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّباتِ شُرُور (٣)

أَلَمْ تَرَ أنّي قُمْتُ قَبْلَكَ هَاتِفًا * الى الزُّهْدِ لا يَأْوِي الى ظَهِير (٤)

أطاعُوا (أبِيقُورًا) و(سُقْراطَ) قَبْلَه * وخُولِفْتُ فِيما أرْتَئِي وأُشِير (٥)

---

(١) صبا : مال بوحن . وتميرهم : تأتيهم بالميرة ، وهي الطعام .

(٢) تبلج : أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع فى قوله «شرور» آخر البيت لضرورة حركة الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأوسع ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بجار ومجرور : أو بره ، على مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد ابيقور الفيلسوف الإغريقى سنة ٣٤٢ ق م فى جزيرة ساموس ، وأسس فى أثينا مدرسة فى حديقة منزله ، وتوفى سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر بدعوته إلى طلب اللذات فى الحياة ، وأخطأ الناس فهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط : فيلسوف يونانى معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م الى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه فى اللذة بالضبط ؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب اليه ، منها مذهب القلة .

وِسْتُ وما ماتَتْ مَطامِعُ طامِعٍ * عليها ولا أَلْقَى القِيادَ ضَمِيرُ (١)

إذا هُـدِمَتْ للظُّلْمِ دُورٌ تَشَيَّدَتْ * له فَوْقَ أَكْتافِ الكَواكِبِ دُور

أفاضَ كَلانا فى النَّصيحَةِ جاهِـدًا * وماتَ كِلانا والقُـلُوبُ صُخُـور

فكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ المَساكِينِ باطِلٌ * وكَمْ قِيـلَ عنْ شَـيْخِ (المَعَرَّةِ) زُور (٢)

وما صَدَّ عَنْ فِعْلِ الأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ * وما راعَ مَفْتُونَ الحَيـاةِ نَذِير (٣)

رثاء رياض باشا (٤)

أنشدها على قبره فى حفل الأربعين

[نشرت فى ٢٩ يوليه سنة ١٩١١ م]

(رِياضُ) أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ واسْمَعْ * حَدِيثَ الوَرَى عَنْ طِيبِ ما كُنْتَ تَصْنَعُ (٥)

أَفِـقْ واسْمَعْ مِنِّى رِثاءً جَمَعْتُـه * تُشارِكُنى فيـه البَرِيَّةُ أَجْمَـع

لِتَعْلَمَ ما تَطْوِى الصُّـدُورُ مِنَ الأَسَى * وتَنْظُرَ مَقْـرُوحَ الحَشَا كَيْفَ يَجْـزَع

---

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر : الحبل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعرة ، هو أبو العلاء المعرى السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماه الناس فى عقيدته ومذهبه بما هو برىء منه . (٣) راعه : أفزعه . والمفتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية فى عهد إسماعيل وتوفيق وعباس الثانى ، ورأس نظارة المعارف ، ونظارة الحقانية ، ورئاسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٤ م ، وتوفى بالأسكندرية فى ١٧ يونيه سنة ١٩١١ وكان مسرفا بالعدل والشدة فى تنفيذ الأحكام ، وكانت له أياد بيضاء فى تنظيم شؤون الداخلية . (٥) الغمرة : الشدة .

لئن تَكُ قد عُمِّرتَ دَهْرًا لقد بَكَى * عليكَ مَعَ الباكى خَلائِقُ أَرْبَعُ:
مَضاءٌ وإقدامٌ وحَزْمٌ وعَزْمَةٌ * مِنَ الصّارِمِ المَصْقُولِ أَمْضَى وأَقْطَعُ (١)
رُحِمْتَ ، فما جاءُ يُنَوِّهُ فى العُلا * بصاحِبِهِ إلّا وجاهُكَ أَوْسَعُ (٢)
ولا قامَ فى أَيّامِكَ البِيضِ ماجِدٌ * يُنازِعُكَ البابَ الذى كنتَ تَقْرَعُ
إذا قِيلَ : مَنْ للرَّأْىِ فى الشَّرْقِ أَوْمَأَتْ * إلى رَأْيِكَ الأَعْلَى مِنَ الغَرْبِ أَصْبُعُ (٣)
وإنْ طَلَعَتْ فى (مِصْرَ) شَمْسُ نَباهَةٍ * فمِنْ بَيْتِكَ المَعْمُورِ تَبْدو وتَطْلُعُ
حَكَمْتَ فما حَكَّمْتَ فى قَصْدِكَ الهَوَى * طَرِيقُكَ فى الإنْصافِ والعَدْلِ مَهْيَعُ (٤)
وقد كنتَ ذا بَطْشٍ ولكنْ تَحُثُّه * نَزاهَةُ نَفْسٍ فى سَبِيلِكَ تَشْفَعُ (٥)
وَقَفْتَ (لإسماعيلَ) والأمرُ أَمْرُه * وفى كَفِّه سَيْفٌ مِنَ البَطْشِ يَلْمَعُ (٦)
إذا صاحَ لَبّاهُ القَضاءُ وأَسْرَعَتْ * إلى بابِه الأيّامُ ، والناسُ خُشَّعُ
يُذِلُّ — إذا شاءَ — العَزِيزَ وتَرْتَقِى * إرادَتُه رَفْعَ الذَّلِيلِ فيُرْفَعُ
ففى كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وهوَ عابِسٌ * تُدَكُّ جِبالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعْزَعُ (٧)

---

(١) الصارم المصقول : السيف المجلو .
(٢) نوه به : رفع ذكره .
(٣) أومأت : أشارت .
(٤) المهيع من الطريق : البين الواضح .
(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيد عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس اذا أخذهم بالقسوة والعنف فى تنفيذ الأحكام .
(٦) يشير الى معارضته (اسماعيل باشا) المدبوى عند ما أراد نفى (اسماعيل باشا صديق) ، وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذى عارض فى هذا النفى ، وطالب محاكمته علنا ليعلم جرمه .
(٧) تدك : تهدم .

وفى كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِه وهـــوَ بَاسِمٌ * تَسِـــيلُ بِحَـارٌ بالعَطَاءِ فَتُمْـــرِعُ (١)

فـا أَغْلَبٌ شاكِى العَـــزِيمَةِ أَرْوَعٌ * يُصَـارِعُه فِى الغَـابِ أَغْلَبُ أَرْوَع (٢)

بأَجْرَأَ مِنْ ذاكَ الوَزِيرِ مُصَـادِمًا * إرادةَ (إسْمَاعِيلَ) والمـوتُ يَسْـمَع (٣)

وفى الثَّوْرَةِ الكُبْرَى وقد أَحْدَقَتْ بِنَـا * صُرُوفُ اللَّيَـالِى والمَنِيَّـــةُ مَشْرَع (٤)

نَظَرْتَ الى (مِصْرٍ) فسَاءَكَ أَنْ تَرَى * حُـــلاهَا بأَيْدِى المُسْـــتَطِيلِينَ تُقْرَع (٥)

وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَـــبْرًا على هَتْكِ خِدْرِها * فَفَارَقْتَهَا أَسْـــوانَ والقَلْبُ مُوجَـــع (٦)

وعُـــدْتَ اليهـا بِينَ نَادَاكَ نِيلُها : * أَقِلْ عَثْرَتِى فالقَوْمُ فى الظُّلْمِ أَبْدَعُـــوا (٧)

فكنتَ (أبا مَحْمُـودَ) غَوْثًا وعِصْمَةً * اليـــكَ دُعَاةُ الحَـــقِّ تَأْوِى وتَفْـزَع (٨)

وكَمْ نَابِغٍ فى أَرْضِ (مِصْرَ) حَمَيْتَـــه * وِمِثْـــلُكَ مَنْ يَحْمِى الكَرِيمَ ويَمْنَـــع (٩)

---

(١) تمرع، أى تفيض بالخصب والخير. (٢) الأغلب: الأسد، لغلظ رقبته. وشاكى العزيمة، أى ذو شوكة وحدة فى عزيمته. والأروع: من يعجبك بشجاعته. (٣) والموت يسمع: كناية عن قربه.

(٤) أحدقت بنا: أحاطت. وصروف الليالى: نوائبها. والمشرع: المورد.

(٥) المستطيلون: المتجبرون. (٦) الأسوان: الحزين.

(٧) العثرة: الكبوة والزلة. ورفاقتها: إنهاض صاحبها والأخذ بيده. يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله: إلى هجرة الفقيد من مصر إلى أوربا، عند ما ثار الضباط فى عهد إسماعيل فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفرس ولس) رأى أن يرفت ٢٥٠٠ ضابط على سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم، فتظاهروا أمام نظارة المالية، وأوسعوا نوبار باشا رئيس النظار و(ولس) لكما وضربا، وكادوا ينالون من الفقيد، وكان وزيرا للداخلية فى هذه الوزارة؛ وقد بقى الفقيد فى أوربا حتى دعاه المغفور له توفيق باشا لتولى رآسة النظار، فعاد إلى مصر فى ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م. (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر. (٩) يشير بقوله «وكم نابغ» والأبيات الأربعة الآتية بعد: إلى ترحيب الفقيد وتعضيده السيد جمال الدين الأفغانى حينما ترك الآستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمده به حكومة رياض من مساعدة مالية، ذلك إلى أنها رخصت له فى إلقاء محاضرات فى الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه.

رَعَيْتَ (جَمالَ الدِّينِ) ثمَّ اصْطَفَيْتَه * فأَصْبَحَ فى أَفْيائِهِ جاهِكَ يَرْتَعُ (١)

وقد كانَ فى دارِ الخلافةِ ثاوِيًا * وفى صَدْرِه كَنْزٌ مِنَ العِلْمِ مُودَعُ (٢)

فَفُزْتَ به والنَّاسُ قد طالَ شَوْقُهُمُ * إلى أَلْمَعِيٍّ بالبَراهِينِ يَصْدَعُ (٣)

فَحَرَّكَ مِن أَفْهامِهِمْ وعُقُولِهِمْ * وعاوَدَهُمْ ذاكَ الذَّكاءُ المُضَيَّعُ

ووَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الوَقائِعِ (عَبْدَهُ) * فجاءَ بما يَشْفِى الغَلِيلَ ويَنْقَعُ (٤)

وكانتْ لِرَبِّ النَّاسِ فيه مَشِيئَةٌ * فأَمْسَتْ إليه النَّاسُ فى الحَقِّ تَرْجِعُ (٥)

وجاءُوا (بإبراهيمَ) فى القَيْدِ راسِفًا * عليه مِنَ الإمْلاقِ ثوبٌ مُرَقَّعُ (٦)

فأَلْقَيْتَ مِلْءَ الثَّوْبِ نَفْسًا طَمُوحَةً * الى المَجْدِ مِنْ أَطْمارِها تَتَطَلَّعُ (٧)

فأَطْلَقْتَه مِنْ قَيْدِه وأَقَلْتَه * وما كانَ فى تِلْكَ السَّعادَةِ يَطْمَعُ

وكَمْ لك فى (مِصْرٍ) وفى (الشَّأْمِ) مِنْ يَدٍ * لها أَيْنَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوَّعُ (٨)

---

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد فىء .

(٢) ثاويا : مقيما .

(٣) الألمعى : الذكى المتوقد . ويصدع بالبراهين : يجهر بها . (٤) عبده : أى الشيخ محمد عبده ، وكان رياض باشا قد عهد إليه فى سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة فى أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موئلا للحق .

(٦) يريد بابراهيم : ابراهيم المهباوى بك الهمامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن المهباوى على الحكومة والمجىء به متهما أمام رياض باشا ، فأمر منه رياض ماسر به فخفاعنه ، وتولاه برعايته .

(٧) نفسا طموحة ، أى مستشرفة إلى سالى الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طموح ، بلا تاء فى آخره ، للذكر والمؤنث . والأطمار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) .

(٨) تتضوع : تنتشر رائحتها .

رَفَعْتَ عن الفَـــلّاحِ عِبْءَ ضَرِيبَـةٍ * يَنُـــوءُ بها أَيّامَ لا غَوْثَ يَنْـــفَعُ (١)

وأَرْهَبْتَ حُكّامَ الأَقالِـيمِ فَارْعَـوَوْا * وكانُوا أُناسًا فى الجَهالَةِ أَوْضَـــعُوا (٢)

فخافُـــوكَ حتّى لو تَنـاجَوْا بِنَجْـــوَةٍ * لَخالُوا (رِياضًـا) فوقَهُـــمْ يَتَسَـــمَّعُ (٣)

أَقَمْتَ عليهـــمْ زاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِـــمْ * اذا سَـــوَّلَتْ أَمْرًا لهـــمْ قامَ يَرْدَعُ (٤)

سَـــلِ النّـاسَ أَيّامَ الرُّشـا مُسْتَفِيضَةٌ * وأَيّامَ لا تَجْنِي الّـــذى أنتَ تَزْرَعُ (٥)

أكانَ (رِياضٌ) عنهـــمُ غيرَ غافِلٍ * يَرُدُّ الأَذَى عن أهلِ (مِصْرَ) ويَدْفَـــعُ

(أُمْؤْتَمَرَ الإِصْلاحِ) والعُرْفِ، قد مَضَى * (رِياضٌ) وأَودَى الـوازِعُ المُتَـــوَرِّعُ (٦)

وكانَ عَـــلَى كُرْسِـــيِّهِ خـــيرَ جالِسٍ * لَهَيْبَتِـــهِ تَعْنُـو الوُجُـــوهُ وتَخْشَـــعُ (٧)

فيـاوَيْلَنا إنْ لَمْ تَسُـــدُّوا مَكانَهُ * بِـــذِى مِرَّةٍ فى الخَطْبِ لا يَتَضَعْضَعُ (٨)

(١) العبء : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الغاء رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعا وعشرين ضريبة ، منها عوائد إلجارك الداخلية التى كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانتهى . وأوضعوا فى الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تساروا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتثليث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم العامل ثمرة عمله .

(٦) يشير الى أثر الفقيد فى مؤتمر الإصلاح الذى انعقد فى سنة ١٩١١م ، وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان هذا المؤتمر عرضان : أولهما النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية . والثانى الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى : هلك . والوازع : الزاجر . والمتورع : المتحرج .

(٧) تعنو : تذل وتخضع .

(٨) المرة : القوة والعزيمة .

بَعِيدِ مَرَامِ الفِكْرِ أمَّا جَنَانُهُ * فَرَحْبٌ ، وأمَّا عِزُّهُ فَمُمَنَّعُ[1]
فَيَا نَاصِرَ المُسْتَضْعَفِينَ إذا عَدَا * عليهِمْ زَمانٌ بالعَدَاوَةِ مُولَعُ[2]
عَلَيكَ سَلامُ اللهِ ما قامَ بَيْنَنَا * وَزِيرٌ على دَسْتِ العُلَا يَتَرَبَّعُ[3]

رثاء الشيخ على يوسف[4] صاحب المؤيد

أنشدها فى المحفل الذى أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُونُوا يَرَاعَ (عَلِيٍّ) فى مَتَاحِفِكُمْ * وشَاوِرُوهُ لَدَى الأَرْزَاءِ والنُّوَبِ
واسْتَلْهِمُوهُ إذا ما الرَّأْيُ أَخْطَأَكُمْ * يومَ النِّضَالِ عن الأَوْطَانِ والنَّشَبِ[5]
قد كانَ سَلْوَةَ (مِصْرٍ) فى مَكَارِهِها * وكانَ جَمْرَةَ (مِصْرٍ) ساعَةَ الغَضَبِ
فى شِقِّهِ ومَرَامِيهِ ورِيقَتِهِ * ما فى الأَسَاطِيلِ مِنْ بَطْشٍ ومِنْ عَطَبِ[6]
كم رَدَّ عَنَّا وَعَيْنُ الغَرْبِ طَامِحَةٌ * مِن الرَّزَايا وكَمْ جَلَّى مِنَ الكُرَبِ[7]

---

(١) أبغان : القلب . (٢) مولع : مغرم . (٣) الدست : المجلس .

(٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد فى بلصفورة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم فى بلدة بنى عدى من أعمال منفلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فتلقى فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها فى ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة ، وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتبا معروفا بالجدل وقوة الحجة ، وتولى مشيخة سجادة الوفائية .

(٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .

(٧) جلى : كشف .

له صَـــريرٌ اذا جَـــدَّ الـــتَّزالُ به * يُنْسِي الكُمَاةَ صَلِيلَ البِيضِ والقُضُبِ (١)

ما ضَرَّ مَنْ كان هٰـــذا فى أَنامِلِه * أنْ يَشْهَدَ الحَرْبَ لم يَسْكُنْ الى يَلَبِ (٢)

فـلو رآهُ (ابْنُ أَوْسٍ) ما قَرَأْتَ له: * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِن الكُتُبِ) (٣)

أَلا فَـــتًى عَرَبِىٌّ يَسْـــتَقِلُّ بـــه * بعـــدَ الفَقِيد ويَحْمِى حَـــوْزَةَ الأَدَبِ

ويَمْنَـــعُ الحَقَّ أَنْ يُغْشِى تَبَلُّجَه * ما فى السِّياسَةِ مِنْ زُورٍ ومِنْ كَذِبِ (٤)

أَوْدَى فَتَى الشَّرْقِ، بل شَيْخُ الصَّحافَةِ بَلْ * شَـــيْخُ الوَفائِيَّـــةِ الوَضّاحَةِ الحَسَبِ

أَقامَ فِينَـــا عِصَامِيًّـــا فعَلَّمَنَـــا * مَعْنَى الثَّبـــاتِ ومَعْنَى الجِدِّ والدَّأَبِ (٥)

ورَاحَ عَنَّـــا ولَمْ تَبْلُـــغ عَزائِمُنَـــا * مَدَى مُنَـــاها ولَمْ تَقْرُبْ مِنَ الأَرَبِ

قالوا عَجِبْنَـــا لِمِصْرٍ يومَ مَصْـــرَعِهِ * وقد عَجِبْتُ لهم مِنْ ذٰلك العَجَبِ (٦)

---

(١) صرير القلم : صوته فى الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى . (٢) اليلب : الدروع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع يقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائى المعروف بأبى تمام . والشطر الثانى من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسى حين فتح عمورية ، وعجز البيت :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

لحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلجه ، أى يحجب إشراقه . (٥) العصامى : الذى ساد بنفسه لا بآبائه ، نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سوّدت عصاما *

والدأب فى العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبا .. الخ ، أى عجبا لأهل مصر فى تفجعهم نعى الفقيد فى نثور وقلة أكتراث .

إنّ الأُلَى حَسِبُوها غيرَ جازِعَةٍ * لا يَنْظُرونَ إلى الأَشْياءِ مِنْ كَثَبِ (١)

تاللهِ ما جَهِلَت فيه مُصيبَتَها * ولا الذى فَقَدَتْ مِنْ كاتِبِ العَرَبِ

لكنّها أَلِفَتْ والأمرُ يَحْزُبُها * فَقْدَ الرِّجالِ ومَوْتَ السادةِ النُّجُبِ (٢)

وعَلَّمَتْها الليالى أنْ تُصابِرَها * فى الحادِثاتِ وإنْ أَمْعَنَّ فى الحَرَبِ (٣)

كم أَرْجَفُوا بعدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وارْتَقَبُوا * مَوْتَ (المُؤَيَّدِ) فِينا شَرَّ مُرْتَقَبِ (٤)

وإنْ يَمُتْ تَمُتِ الآمالُ فى بَلَدٍ * لولَا (المُؤَيَّدُ) لَمْ يَنْشَطْ إلى طَلَبِ

صُبابَةٌ مِنْ رَجاءٍ بين أَضْلُعِنا * قد باتَ يَرْشُفُ منها كلُّ مُغْتَصَبِ (٥)

ألَمْ يَكُنْ لبَنِي (مِصْرٍ) وقد دُهِسُوا * مِنْ ساسَةِ الغَرْبِ مِثْلَ المَعْقِلِ الأَشِبِ (٦)

كم أَنْبَرَتْ فيه أَقْلامٌ وكم رُفِعَتْ * فيه مَنابِرُ مِنْ نَظْمٍ ومِنْ خُطَبِ

وكان مَيْدانَ سَبْقٍ للأُلَى غَضِبُوا * للدِّينِ والحَقِّ مِنْ داعٍ ومُحْتَسِبِ

فكم يَراعٍ حَكِيمٍ فى مَشارِعِه * قد الْتَقَى بِيَراعِ الكاتِبِ الأَرِبِ (٧)

---

(١) الكثب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون للأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء . (٥) الصبابة : البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغصوب الحق . (٦) الضمير فى « يكن » المؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : المتشع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشتبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (بفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

أىُّ الصَّحائِفِ فى القُطْرَيْنِ قد وَسِعَتْ * رَدَّ (الإمامِ)[1] مُزِيلِ الشَّكِّ والرِّيَبِ

أيَّامَ يَحْصِبُ (هانُوتُو)[2] بِفِرْيَتِهِ * وَجْهَ الحَقِيقَةِ والإسْلامُ فى نَحَبِ

مالى أُعَدِّدُ آثارَ الفَقِيدِ لَكُمْ * والشرقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ والغَلَبِ

لولا (المُؤَيَّدُ) ظَلَّ المُسْلِمُون على * تَناكُرٍ بينهمْ فى ظُلْمَةِ الحُجُبِ

تَعارَفُوا فيه أرْواحًا وضَمَّهُمُ * رَغْمَ التنائِى زِمامٌ غيرُ مُنْقَضِبِ[3]

فى مِصْرَ فى تُونُسٍ فى الهِنْدِ فى عَدَنٍ * فى الرُّوسِ فى الفُرْسِ فى البَحْرَيْنِ فى حَلَبِ

هٰذا يَحِنُّ إلى هٰذا وقد عُقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بينهمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ

(أبا بُثَيْنَةَ) نَمْ يَكْفِيكَ ما تَرَكَتْ * فينا يَداكَ وما عانَيْتَ مِنْ تَعَبِ

جاهَدْتَ فى اللهِ والأوْطانِ مُحْتَسِبا * فارْجِعْ إلى اللهِ مَأْجُورًا وفُزْ وطِبِ

واحْمِلْ يَمِينَكَ يومَ النَّشْرِ ما نَشَرَتْ[4] * تلك الصَّحِيفَةُ فى دُنْيَاكَ وانْتَسِبِ

---

(١) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . ويشير إلى رده على هانوتو الذى نشره فى صحيفة المؤيد .

(٢) يحصب : يرمى . والفرية : الكذبة . والنحب (بسكون الحاء، وضمها هنا لضرورة الوزن) : أشد البكاء .

(٣) التنائى : التباعد . ومنقضب : منقطع .

(٤) وانتسب، أى انتسب إلى تلك الصحيفة فهى حسبك من نسب .

رثاء على أبى الفتوح[1] باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه فى الجامعة

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

جَلَّ الأَسَى فَتَجَمَّلِي * واذا أَبَيْتِ فأَجْمِلِي[2]

يامِصْرُ قد أَوْدَى فَتًى * لِكِ ولا فَتًى إلّا (عَلِي)

قد ماتَ ثابِتَةُ القَضا * ءِ وغابَ بَدْرُ المَحْفِلِ

وعَدَا القَضاءُ على القَضا * ءِ فصابَه فى المَقْتَلِ[3]

حَلّالُ عَقْدِ المُعْضِلا * تِ قَضَى بِداءٍ مُعْضِلِ

وَيْحَ الكِنانَةِ مالَها * فى غَمْرَةٍ لا تَنْجَلِي[4]

باتَتْ وكارِثَةٌ تَمُرُّ بِها وكارِثَةٌ تَلِي

يازَهْرَةَ الماضِي ويا * رَيْحانَةَ المُسْتَقْبَلِ

كُنّا نُعِدُّكِ للشَّدا * ئِدِ فى الزَّمانِ المُقْبِلِ

---

(١) على أبو الفتوح باشا ، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا ، ولد ببلقاس من أعمال الغربية فى سنة ١٨٧٣م وبعد أن أخذ حظه من العلم فى مصر سافر الى أوربا لتلقى علوم القانون بكلية مونبليه بفرنسا ، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس ، وقد شهد له أساتذته فى تقريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها . وكان ينشر بعض المباحث فى المجلات الفرنسية ، وعاد الى مصر فى سنة ١٨٩٥ م . وآخر منصب تولاه فى الحكومة المصرية وكالة المعارف فى ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وتوفى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م .

(٢) تجمل ، أى لا تظهرى الجزع . وأجملى ، أى ارفقى ، يخاطب مصر .

(٣) يريد « بالقضاء » الأول : الموت ، وبالثانى : الفصل فى الخصومات .

(٤) الغمرة : ما يغمر الناس ، أى يشملهم من الخطوب والأرزاء .

يا لابسَ الخُلُقِ الكَرِي * مِ المُطْمَئِنِّ الأَمْثَـــلِ

فارَقْتَنا فى حِينِ ما * جِئْنا ولَمْ تَتَمَهَّـــلِ

يا رامِيًا صَدْرَ الصِّحا * بِ رَماكَ رامِي الأَجْدَلِ (١)

يا حافِظًا غَيْبَ الصَّدِيـ * ـقِ ويا كَرِيمَ المَقْـــوَلِ (٢)

أَيُّ المَحـامِدِ غَضَّـــةً * بِمُـــلاكَ لَمْ تَتَجَمَّـــلِ (٣)

تَلْهُـو لِداتُكَ بالصِّبا * لَهْـوًا وأَنتَ بِمَعْـزِلِ (٤)

تَسْـمَى وَراءَ البـاقِيا * تِ الصالِحاتِ وتَعْتَلِى

بينَ المَحـابِرِ والدِّفا * تِرِ دائِبًـا لا تَأْتَـــلِى (٥)

أَدْرَكْتَ عِلْمَ الآخِرِيـ * ـنَ ومُزْتَ فَضْلَ الأَوَّلِ

أَدْنَى مَرامِيكَ هِمَّـــةٌ * فَـوقَ السِّماكِ الأَعْزَلِ (٦)

وأَجَلُّ قَصْدِكَ أَنْ تَرَى * (مِصْرًا) تَسُودُ وتَعْتَـلِى

دَرَجَ الأَحِبَّـةُ بَعْدَ ما * تَرَكُوا الأَسَى والحُزْنَ لِى (٧)

لَمْ يَحْلُ لى مِنْ بَعْدِهِمْ * عَيْشٌ ولَـــمْ أَتَعَـــلَّلِ (٨)

---

(١) الأجدل : الصقر ، وهو معروف بالحذر والحرص . يقول : أصابك الموت الذى يصيب أشد المخلوقات حذرا وحرصا .

(٢) المقول : اللسان .

(٣) الغضة : الناضرة .

(٤) لداتك : من ولدوا معك .

(٥) لاتأتلى : لاتقصر .

(٦) السماك : اسم يطلق على نجمين نيرين ، وهما الأعزل والرامح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شىء بين يديه من الكواكب ، وهو من منازل القمر ، والرامح ليس من منازله .

(٧) درج الأحبة : ذهبوا ومضوا .

(٨) أتعلل : أتشاغل وألهى .

لى كلّ عامٍ وقفــةٌ * حَرّى على مُــتَرَحّلِ
أَبْكِي بُكاءَ الثّـاكِلا * تِ وأَصْطَلِي ما أَصْطَلِي (١)
لَمْ يُبْقِ لى يَـوْمُ الفَقِيـ * ـدِ عَزِيمَـةً لَمْ تُفْـلَلِ
يومٌ عَبُوسٌ قـد مَضَى * بِفَـتًى أَغَرَّ مُحَجَّـلِ (٢)
مَنْ لَمْ يُشاهِدْ هَوْلَه * عنـد القَضـاءِ المُنْزَلِ
لم يَدْرِ ما قَصْمُ الظُّهُـو * رِ ولا انْخِزالُ المَفْصِلِ (٣)
يا قَبْرُ وَيْحَكَ ما صَنَعْـ * ـتَ بِوَجْهِـهِ المُتَهَلِّـلِ
عَفَّيْتَ منـه نَضْرَةً * كانتْ رِياضَ المُجْتَلِي (٤)
وعَبَثْتَ منـه بطُـرَّةٍ * سَـوْداءَ لَمّا تَنْصُـلِ (٥)
يا قَبْرُ هَـلْ لَعِبَ البِلَى * بِلِطـافِ تلك الأَنْمُـلِ؟
لَمْفِي عليهـا فى الطُّرُو * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الجَدْوَلِ (٦)
لَمْفِي عليهـا فى الجِدَا * لِ تَحُـلُّ عَقْدَ المُشْكِلِ
لَمْفِي عليهـا للـرَّجَا * ءِ وللعُفـاةِ السُّـؤَّلِ (٧)

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .
(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمحجل : اصلهما من صفات الخيل .
(٣) المخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح الأشياء .
(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .
(٦) الجدول : النهر الصغير .
(٧) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاض) .

يا قَبْرُ ضَيْفُكَ بَيْنَنا * قـد كانَ خَيْرَ مُؤَمَّلِ
لَمْ يَنْقَبِضْ كِبْرًا بِنا * دِيـــه ولَمْ يَتَبَـــذَّلِ
إنّى حَلَلْتُ رِحابَـــه * فـنَزَلْتُ أكرَمَ مَنْزِلِ
ونَهِلْتُ مِنْ أخْلاقِه * فوَرَدْتُ أعْذَبَ مَنْهَلِ (١)

رثاء فتحى وصادق

قالها فى رثاء الطيارين الشابين فتحى بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطيارة قرب دمشق ، وكانا يتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر ، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نورى بك سالما

[نشرت فى أول أبريل سنة ١٩١٤م]

أخْتَ الكَواكِبِ ما رَمَا * كِ وأنتِ رامِيَـــةُ النُّسُـــورِ؟ (٢)
ما ذا دَهاكِ وفَـــوْقَ ظَهْـ * ـرِكِ مَرْبِضُ الأَسَدِ المَصُورِ؟ (٣)
خَضَعَتْ لإمْرَتِه الـــرِّيا * حُ مِنَ الصَّبا ومِنَ الدَّبُورِ (٤)
فَغَـــدا يُصَرِّفُ مِنْ أعِنَّتِها تَصـارِيفَ القَـــدِيرِ
(فَتحِى) وهَـــلْ لى إنْ سَأَلْـ * ـتُ عَنِ المُصِيبَةِ مِنْ مُجِيرِ؟ (٥)
وَيْلاهُ هَـــلْ جُزْتَ الحُـدُو * دَ وأنتَ مُخْتَرِقُ السُّـــتُورِ؟ (٦)

(١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب ، يخاطب الطائرة .
(٣) مربض الأسد : موضع ربوضه ، أى بروكه . والمصور : الذى يصور فريسته ، أى يكسرها .
(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المجير : المجيب .
(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض ، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

فـرَماكَ حُرّاسُ السّـما * ءِ وتلكَ قاصِمَـةُ الظُّهُـورِ (١)

أمْ غارَ مِنْـكَ السابِحَـا * تُ وأنتَ تَسْبَحُ فى الأُثيرِ (٢)

حَسَدَتْكَ حِينَ رَأَتْكَ وَحْـ * ـدَكَ قَمْ كالفَـلَكِ المُنِـيرِ

والعَيْنُ مِثْـلُ السَّهْمِ تَنْـ * ـفُذُ فى الغَرائِبِ والنُّحُـورِ (٣)

حاوَلْتَ انْ تَرِدَ المَجَـرَّةَ والوُرُودُ مِنَ العَسِـيرِ

فـوَرَدْتَ يا (فَتْحى) إلَـى * مَ وأنْتَ مُنْقَطِـعُ النَّظِـيرِ

وهَـوَيْتَ مِنْ كَبِدِ السَّما * ءِ وهٰكَذا مَهْوَى البُـدُورِ

إنْ كانَ أعْيـاكَ الصُّعو * دُ بذٰلكَ الجَسَـدِ الطَّهُـورِ

فَاسْبَحْ بِرُوحِكَ وَحْـدَها * وَاصْعَدْ إلى المَلِكِ الكَبِـيرِ

إنْ راعَنـا صَوْتُ النَّعِـيِّ وفاتَنـا نَبَـأُ البَشِـيرِ (٤)

فَلَعَـلَّ مَنْ ضَنَّتْ يَدا * هُ عَـلى الكِنانَةِ بالسُّـرُورِ

أنْ يَسْتَجِيبَ دُعاءَهـا * فى حِفْظِ صاحِبِكَ الأَخِـيرِ

باتَتْ تُـراقِبُ فى المَشـا * رِقِ والمَغارِبِ وَجْهَ (نُورِى)

---

(١) يريد بهذا البيت تشبيه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتحرقهم بشهبها المرسلة عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب ، قال تعالى : (والسابحات سبحا) . (٣) يجارى فى هذا البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم فى تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفزعنا .

رثاء الدكتور شبلى شميـــل[1]

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى نادى جمعية الاتحاد السورى فى مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرابِ * إنَّ ذاكَ السُّكُونَ فَصْلُ الخِطابِ

لَقِيَ اللهَ رَبَّهُ فاتْرُكُوا المَرْ * ءَ لَدَيْانِيهِ فَيْصِلِ الأَرْحابِ

حَزِنَ العِلْمُ يومَ مِتَّ ولكنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَبْحَةَ المُرْتابِ[2]

كنتَ تَبْغِي بَرْدَ اليَقِينِ على الأَرْ * ضِ وتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللُّبابِ

فاسْتَرِحْ أَيُّها المُجاهِدُ واهْدَأْ * قد بَلَغْتَ المُرَادَ تَحْتَ التُّرابِ

وعَرَفْتَ اليَقِينَ وانْبَلَجَ الحَقُّ[3] لَعَيْنَيْكَ سَاطِعًا كالشِّهابِ

لَيْتَ شِعْرِى وقد قَضَيْتَ حَيَاةً * بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وارْتِيابِ

هل أَتاكَ اليَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ فشَكُّ الحَكِيمِ بَدْءُ الصَّوابِ

كم سَمِعْنا مُسائِلًا قَبْلَ (شِبْلِى) * عاثَ فى البَحْثِ طارِقًا كلَّ بابِ

أَطْلَقَ الفِكْرَ فى العَوالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًا يُرِيغُ هَتْكَ الحِجابِ[4]

---

(١) الدكتور شبلى شميل ، هو الطبيب اللبنانى نزيل مصر ، وكان من أشهر الأطباء . ولد فى نحو سنة ١٨٥٠ م ، فى قرية كفر شيما من قرى ساحل لبنان ، وهى القرية التى ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجى . وتعلم العلوم الطبيعية والطب فى كلية الأمريكان ببيروت وأتم طوفه فى أوربا . وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة ، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه ، وإلى هذا يشير حافظ فى قصيدته تلك . ومن أشهر كتبه : كتاب (النشوء والارتقاء) . وتوفى سنة ١٩١٧ م .

(٢) المرتاب : الشاك فى العقيدة . (٣) البلج : أضاء وأشرق . (٤) يريغ : يطلب .

يَقْرَعُ النَّجْمَ سائِلًا ثمّ يَرْتَدُّ الى الأرض بائِسًا عن جَوابِ

أَعْجَزَتْه مِنْ قُدْرَةِ الله أَسْبا * بٌ طَواها مُسَبِّبُ الأَسْبابِ

وَقَفَتْ دُونَها العُقُولُ حَيارَى * وَانْثَنَى هِبْرِزِيُّها وهو كابِي (١)

لَمْ يَكُنْ مُلْحِدًا ولكنْ تَصَدَّى * لشُؤُونِ المُهَيْمِنِ الوَهّابِ

رامَ إدْراكَ كُنْهِ ما أَعْجَزَ النا * سَ قَدِيمًا فلَمْ يَفُزْ بالطِّلابِ

إيهِ شِبْلِي قد أَكْثَرَ الناسُ فِيكَ الْـ * ـقَوْلَ حتّى تَمَنَّنُوا فى عِتابِي

قِيلَ : تَرْثِى ذاكَ الّذى يُنْكِرُ النَّو * رَ ولا يَهْتَدِى بهَدْيِ الكِتابِ؟

قلتُ : كُفُّوا فإنّما قُمْتُ أَرْثِي * منه خِلًّا أَمْسَى طَوِيلَ الغِيابِ

أنا واللهِ لا أُحابِيهِ فى القَوْ * لِ فقد كانَ صاحِبِي لا يُحابِي

أنا أَرْثِي شَمائِلًا منه عِنْدِى * كُنَّ أَحْلَى مِن الشَّهادِ المُذابِ (٢)

كانَ حُرَّ الآراءِ لا يَعْرِفُ الخَتْـ * ـلَ ولا يَسْتَبِيحُ غَبْنَ الصِّحابِ (٣)

مُفْضِلًا مُحْسِنًا على العُسْرِ واليُسْـ * ـرِ جَمِيعَ الفُؤادِ رَحْبَ الجَنابِ (٤)

عاشَ ما عاشَ لا يُلِيقُ على الأيْـ * ـتامِ مالًا ولَمْ يَلِنْ للصِّعابِ (٥)

كانَ فى الوُدِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الكُتْـ * ـبُ ترى وفى العِلْمِ مَوْضِعَ الإعجابِ

---

(١) الهبرزى : المقدام ، والكابى : العاثر المنكب على وجهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) الختل : الخداع .

(٤) المفضل : المنعم - وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النوائب .

(٥) يقال : فلان لا يلين درهما لسخائه ، أى لا يمسكه .

نُكِبَ الطِّبُّ فِيـــه يـومَ تَـــوَلَّى * وأصِـــيبَتْ رَوائِـــعُ الآدابِ

وخَـــلَا ذلكَ النَّـــدِيُّ مِنَ الأُنْـ (١) ـسِ وقـد كان مَرْتَعَ الكُتّابِ

وبَكَتْ فَقْـــدَه الشـــآمُ ونأَتْ (٢) * فـوقَ ما نابَهـا بِهَـذا المُصَـابِ

كُلَّ يَوْمٍ يُهَـدُّ رُكْنٌ مِنَ الشَّـ (٣) ـمِ، لقـــد آذَنَتْ إذاً بالخَـــرابِ

فهيَ (بالبازِجِي) و (بُحَيْرِي) و (شِبْلِي) (٤) * فُجِعَتْ بالثَّـــلاثَـــةِ الأَقْطـابِ

فعَـــلَى الرَّاحِـــلِ الكريمِ سَـلَامٌ * كلَّمـا غَيَّبَ الثَّـرَى لَيْثَ غابِ

رثاء جـــورجى زيدان (٥)

ســـنة ١٩١٤

دَعانِي رِفاقِي والقَوافِي مَرِيضَةٌ (٦) * وقد عَقَدَتْ هُوجُ الخُطوبِ لِسانِي

فجُئْتُ وبِي ما يَعْلَمُ اللهُ مِنْ أَسًى * ومِنْ كَمَدٍ قد شَـفَّنِي وبَرانِي

---

(١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناء بالحمل : نهض به مع جهد ومشقة وتثاقل .

(٣) آذنت : أعلمت . (٤) يريد الشيخ ابراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وبحيرى : هو بحيرى زيدان (وسيأتى التعريف به فى الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجى زيدان فى بيروت عاصمة لبنان فى سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم فى مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، غير أن ميله الى العلم والأدب جعله لا يدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل اليه يده من الكتب ، وإما بتقربه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة الهلال المعروفة . وكانت وفاته فى أغسطس سنة ١٩١٤م ، وتآليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ، و(تاريخ التمدن الإسلامى) ، و(تاريخ المماليك) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافى : كناية عن قلة مواتاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب فى ثورانها وتقلبها واشتداد وقعها بالرياح الهوج ، وهى التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلِلْتُ وُقوفِي بينكُمْ مُتلهِّفا * على راحِلٍ فارَقْتُه فشجانِي

أفِي كلِّ يومٍ يبضَعُ الحُزْنُ بَضْعَةً؟ (١) * مِن القلبِ إنِّي قد فقدْتُ جَنانِي

كَفانِيَ ما لُقِّيتُ مِنْ لَوْعَةِ الأسَى * وما نابَنِي يومَ (الإمامِ) (٢) كَفانِي

تَفرَّقَ أحبابِي وأهلِي وأخرَتْ * يَدُ اللهِ يَوْمِي فانتظَرْتُ أوانِي

ومالِي صَدِيقٌ إنْ عَثَرْتُ أقالَنِي * ومالِي قَرِيبٌ إنْ قَضَيتُ (٣) بكانِي

أرانِيَ قد قَصَّرْتُ فى حَقِّ مُحْبِّي * وتَقصِيرُ أمْثالِي جِنايَةُ جانِي

فلا تَعْذِرُونِي يومَ (فتحِي) فإنَّنِي * لأعْلَمُ ما لا يَجْهَلُ (٤) الثَّقَلانِ

فقد غابَ عنّا يومَ غابَ ولَمْ يَكُنْ * له بَيْنَ هالاتِ (٥) النَّوابِغِ ثانِي

وفى ذِمَّتِي (لليازِجِيِّ) (٦) وَدِيعَةٌ * وأُخْرَى (لزَيْدانٍ) وقد سَبَقانِي

---

(١) يبضع : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .

(٢) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عثرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنس والجن . ويريد «بفتحى» : أحمد فتحى زغلول باشا العالم القانونى المعروف ، ولد فى سنة ١٨٦٣ م بإبيانة من أعمال مركز فوة ؛ وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحقانية . وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة عن اللغات الأجنبية ، وشرح القانون المدنى . وقد مات فتحى ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه فى ذلك .

(٥) الهالة : دارة القمر التى تحيط به . (٦) يريد «باليازجى» : الشيخ إبراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ، ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا فى أنواع أخرى من العلوم . وتوفى سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ، الأولى فى سنة ١٨٩٧ م والثانية فى سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجى معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فيالَيْتَ شِعْرِى ما يَقُولانِ فى الثَّرَى * إذا الْتَقَيَا يوماً وقَـدْ ذَكَّرانِى

وقد رَمَيَـا بالطَّرْفِ بين جُمُوعِكُمْ * ولَمْ يَشْهَـدا فى المَشْهَدَيْنِ مكانِى

أيَحْسُـنُ بى هٰـذا العُقوقُ وإنَّمـا * على غيرِ هٰـذا العَهْدِ قد عَرَفانِى

دَمانى وَفانى يومَ ذاكَ فَـلَمْ أَكُنْ * ضَـنِيناً ولكنّ القَرِيضَ عَصانِى

وقد تُخْرِسُ الأَحْزانُ كلَّ مُفَوَّهٍ * يُصَرِّفُ فى الإنْشادِ كلَّ عِنانِ (١)

أَأَنْساهُمَا والعِـلْمُ فَـوقَ ثَرَاهُمـا * تَنَكَّسَ مِنْ أَعْـلامِه عَلَمَـانِ

وكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلالِ) بِحِكْمَةٍ * وكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّياءِ) بَيانِى (٢)

(أَزَيْدانُ) لا تَبْعَـدْ وتِلْكَ عُلالَةٌ * يُنادِى بهـا النَّاعُونَ كلَّ حُسانِ (٣)

لكَ الأَثَرُ الباقِى وإنْ كنتَ ناثِيًا * فأنتَ على رَغْـمِ المَنِيَّـةِ دانِى

ويا قبرَ (زَيْدانٍ) طَوَيْتَ مُؤَرِّخًا * تَجَـلَّ له ما أَضْمَـرَ الفَتَيـانِ (٤)

وعَقْـلًا ولُوعًا بالكُنُوزِ فإنّه * على الدُّرِّ غَوّاصٌ بِبَحْـرِ (عُمـانِ) (٥)

وعَزْمًا شَآمِيًّـا له أَيْنَمـا مَضَى * شَبَا هِنْـدُوانِىٌّ وحَدُّ يَمـانِى (٦)

---

(١) المفوه : المنطيق . والعنان : سير اللجام . ويريد بقوله « يصرف فى الإنشاد... الخ » : أنه يذهب فيه كل مذهب .

(٢) رب الهلال : بحور بحى زيدان ، ورب الضياء : الشيخ ابراهيم اليازجى . والهلال والضياء : مجلتان معروفتان .

(٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أى يتلهى به عن مراده اذا لم يظفر به . والحسان من الرجال (بضم الحاء وتخفيف السين) : الحسن منهم .

(٤) تجل : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .

(٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمناص اللؤلؤ .

(٦) شبا هندوانى ، أى سن رمح منسوب الى الهند . وحد يمانى ، أى حد سيف مصنوع باليمن .

وكفًّا إذا جالت على الطرس جولةً (١) * تمايل إعجابًا بها البلدان
أشادت بذكر الراشدين كأنما (٢) * فتى (القدس) مما ينبت الحرمان
سألت حماة النثر عد خلاله (٣) * فمالي بما أعيا القريض يدان

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينهما فى مدرسة القصر العينى فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م

لا مرحبًا بك أيها العام (٥) * لم يرع عندك للأساة ذمام
فى منزل رعتنا بمآتم * للنافعين من الرجال تقام
علمان من أعلام (مصر) طواهما * فيك الردى فبكتهما (الأهرام)
غيبت (شكرى) وهو نابه عصره * وأصبت (إبراهيم) وهو إمام

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد «بالراشدين» ، خلفاء الإسلام ، و«فتى القدس» : الفقيد . والحرمان : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيد أثنى على الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم فى كتبه ، فكأنه من أهل الحجاز مع أنه فلسطينى . (٣) تقول : مالى يد بهذا الأمر ، اذا عجزت عنه . وأعيا القريض ، أى أعجز الشعر .

(٤) الدكتور ابراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر ، ولد بالقاهرة فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب فى مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رآسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته الى المعاش كان يقضى الصيف فى أوربا والشتاء فى مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو فى أوربا دون عودته الى وطنه ، فقضى السنين الأخيرة بعيدا عنه إلى أن توفى فى ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيبا خاصا بأمراض النساء ، وله فى هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه فى مدرسة الطب . وكانت ولادته فى نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته فى مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساة : الأطباء ، الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النِّيلِ فِي عَهْدَيْهِمَا * والطِّبُّ نَبْتٌ لَمْ يَجُـــدْه غَمَامُ (١)

والنـاسُ بالغَـرْبِيِّ فى تَطْبِيبِـه * وَلِعُـوا على بُعْـدِ المَـزارِ وهاموا

حتى أنبرى (شُكرِى) فأثبتَ سَبْقَه * أنّ ابنَ (مِصْرَ) مُجَـرَّبٌ مِقْـدام

وأقامَ (إبراهِـيمُ) أبلَغَ حُجَّـةٍ * أنّ العَرِينَ يَحُـلُّه ضِرْغَام (٢)

وترسَّـمَ المُتَعَلِّمُون خُطاهُمـا * فانشَقَّ مِنْ عَلَمَيْهِـما أعْـلام (٣)

قد أقسَمُوا للطِّبِّ أنْ يَسْموا به * فـوق السِّماكِ فَـبَرَّتِ الأقْسـام (٤)

وغَدَتْ رُبُوعُ الطِّبِّ تَحكى جَنَّةً * فيهـا (لُقْـراطُ) الحَكِيمِ مقـام

ورأى عليـلُ النيـلِ أنّ أُسـاتَه * بَذُّوا الأُسـاةَ فـلَمْ يَرُعْهُ سَـقام (٥)

يا (مِصْرُ) حَسْبُكِ ما بلَغْتِ مِن المُنَى * صَـدَقَ الرَّجاءُ وصَحَّت الأحْلام

ومَشَى بَنُوكِ كما اشتَهَيْتِ إلى العُلا * وعلى الوَلاءِ ـ كما عَلِمْتِ ـ أقاموا

ومَدَدْتِ صَوْتَكِ بَعْدَ طُولِ خُفُوتِه * فـدَعَا بعافِيَـةٍ لكِ الإسْـلام

ورَفَعْتِ رأسَكِ عند مُفْتَخَرِ النُّهَى * بين المَـالِكِ حيثُ تُحْنَى الهـام (٦)

كم فيـكِ جَرَّاحٍ كأنّ يَمِينَـهُ * عنـد الجـراحَةِ بَلْسَمٌ وَسَـلام (٧)

(١) جاده الغمام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .

(٣) فانشق من علميهما أعلام ، أى تخرج عليهما فى الطب أمثالها فى النبوغ . (٤) السماك : اسم لكوكبين تقدم الكلام عليهما فى حواشى هذا الديوان . (٥) بذوا الأساة : غلبوهم وفاقوهم فى الطب . (٦) الهام : الرءوس . وإحناء الهام : كناية عن التصاغر والانكسار والتسليم للخصم .

(٧) يلاحظ أن الأرجح فى قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ، ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين فى جر تمييز « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :

كم بجود مقرف نال العلى *

والبلسم : دواء تضمد به الجراح .

قد صِيغَ مِبْضَعُهُ وإنْ أجرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَةٍ بفريضِهِ بَسّامِ (١)

ومُوَفِّقٍ جَمَّ الصَّوابِ اذا ٱلْتَوَى * داءُ العَلِيلِ وحارَت الأفْهامِ

يُلْقِي بسَمْعٍ لا يَخُونُ اذا هَفَتْ * أُذُنٌ وخانَ المِسْمَعَيْنِ صِمامِ (٢)

واذا غُضالُ الدّاءِ أبْهَمَ أمْرَه * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَبِيبِهِ الإبْهامِ (٣)

يَسْتَنْطِقُ الآلامَ وهيَ دَفِينَةٌ * نَرْساءُ حتّى تَنْطِقَ الآلامِ

كم سَلَّ مِنْ أيْدِي المَنايَا أنْفُسًا * وثَنَى عِنانَ المَوْتِ وهْوَ زُؤامِ (٤)

ومُطَبِّبٍ للعَيْنِ يَجْلُو مِيلُهُ * نُورًا اذا غَشِيَ العُيُونَ قَتامِ (٥)

وكأنّ إثْمِدَهُ ضِياءُ ذَرَّهِ * (عِيسَى بنُ مَرْيَمَ) فانْجَلَى الإظْلامِ (٦)

ومُطَبِّبٍ للطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ لَهُ * سِنٌّ ولَمْ يَدْرُجْ إليهِ فِطامِ (٧)

يَشْكُو السَّقامَ بناظِرَيْهِ ومالَهُ * غيرُ التَّفَزُّزِ والأنِينِ كَلامِ

فكمِ ٱسْتَشَفَّ وكَمْ أصابَ كأنّما * في نَظْرَتَيْهِ الوَحْيُ والإلْهامِ (٨)

ومُوَلِّدٍ عَرَفَ الأجِنَّةُ فَضْلَهُ * إنْ أعْسَرَتْ بِوِلادِها الأرْحامِ

كم قد أثارَ لها بحالِكَةِ ٱلحَشا * سُبُلًا تَضِلُّ سُلُوكَها الأوْهامِ

---

(١) المبضع : المشرط . (٢) المسمعان : الأذنان . (٣) إنما ذكر الإبهام لأن الطبيب يلمس بيده موضع الداء من جسم المريض ، فكنى بالإبهام عن اليد . (٤) الزؤام : الكريه المجهز على صاحبه . (٥) الميل : المرود الذى تكحل به العين . والقتام : الظلام .

(٦) الإثمد : الكحل . ويشير « بعيسى بن مريم » عليه السلام : إلى ما أجراه الله على يده من إبراء الأكمه . قال تعالى حكاية عنه : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله) .

(٧) يدرج : يمشي . (٨) الضمير فى (استشف) للطبيب ، السابق ذكره .

لـولا يَـداهُ سَـطَا على أبْدانِهـا * كَرْبُ المَخـاضِ وشَـفّها الإيلامُ[1]

فبهـؤلاءِ الغُرِّ يا (مِصْـر) آهنَـيِّ * فبِمِثْلِهِـمْ تَتَفاخَـرُ الأيّام

وعـلى طَبِيبَيْـكِ اللّذَيْنِ رَماهُمـا * رامِي المَنُـونِ تَحِيّـةٌ وسَـلام

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشرى[2]

أنشـدها عنـد دفنـه

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أيَدْرِى المُسْـلِمُونَ بِمَنْ أُصِيبُوا * وقـد وارَوْا (سَـلِيمًا) فى التُّرابِ

هَوَى رُكْنُ الحَـدِيثِ فأىُّ قُطْبٍ[3] * لطُـلّابِ الحَقِيقَـةِ والصَّـوابِ

(مُوَطَّأَ مالِكٍ) عَزَّ (البُخارِى)[4] * ودَعْ لِلّهِ تَعْـزِيَةَ (الكِتَابِ)

فـا فى النّاطِقِينَ فَـمٌ يُوَفِّى * عَزاءَ الدِّينِ فى هٰـذا المُصَـابِ

قَضَى الشيخُ المُحَـدِّثُ وهْوَ يُمْـلِى[5] * على طُـلّابِهِ فَصْـلَ الخِطَـابِ

---

(١) شفها : هزلها . (٢) ولد الشيخ سليم البشرى فى سنة ١٢٤٨ هـ فى محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعلمه فى الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخا لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك بيضعة أعوام عين شيخا ونقيبا للسادة المالكية ، ثم اختير عضوا فى مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله فى سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .

(٣) كان الفقيد مشهورا بتبحره فى علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، كتاب لمالك بن أنس فى الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخارى» : كتاب الجامع الصحيح الذى وضعه الإمام البخارى محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التى كان يدرسها الفقيد مضطلعا بها . (٥) قضى : مات .

ولَمْ تَنْقُصْ له النُّعْمَى عَزْماً * ولا صَدَّتْهُ عَنْ دَرْكِ الطِّلابِ (١)

وما غَالَتْ قَريحَتَـهُ اللَّيالِي * ولا خَانَتْـهُ ذاكِرَةُ الشَّبابِ

أَشَيْخَ المُسْلِمين نَأَيْتَ عَنّا * عَظِيمَ الأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوابِ

لقد سَبَقَتْ لك الحُسْنَى فطُوبَى * لمَوْقِفِ شَيْخِنا يَوْمَ الحِسابِ

إذا أَلْقَى السُّؤالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ بالجَوابِ (٢)

ونادَى العَدْلُ والإحْسانُ إنّا * نُزَكِّي ما يَقُولُ ولا نُحابِي (٣)

قِفُوا يا أيُّها العُلَمَاءُ وابْكُوا * ورَوُّوا لَحْدَه قَبْلَ الحِسابِ

فهٰذا يَوْمُنا ولَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذاتِ الخِضابِ (٤)

عليكَ تَحِيَّةُ الإسْلامِ وَقْفاً * وأَهْلِيهِ إلى يومِ المَآبِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل (٥)

[نشرت فى أول نوفمبر سنة ١٩١٧ م]

دُكَّ ما بَيْنَ صَخْوَةٍ وعَشِيٍّ * شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ) (٦)

وهَوَى عن سَمَاوَةِ العَرْشِ مَلْكٌ * لَمْ تُمَتِّعْ بِعَهْدِهِ الذَّهَبِيِّ (٧)

---

(١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة . (٢) يريد «بالملق» : الملك الذى يتولى حساب الميت على ما عمل . (٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان الى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر . (٤) ذات الخضاب : المرأة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول .

(٦) دك : هدم . وآل على ، أى آل محمد على جدّ الأسرة المالكة .

(٧) يريد «بسماوة العرش» : أعلاه . والملك (بسكون اللام) ، لغة فى الملك (بكسرها) .

قـد تساءلتُ يومَ ماتَ (حُسَيْنٌ) * أفقـدتنا بفقـده كلَّ شيٍّ؟

أمْ ترى يُسعِدُ الكآبةَ بارِدٍ * بها ويقضى لها بلُطْفٍ خفى؟

لم تكدْ تُدرِكُ النفوسُ مُرادًا * فى زمانِ المتوِّجِ العَلَوِى

لم تكدْ تبلُغ البلادُ مُناها * تحتَ أفياءِ عدْلِه الكِسْرَوِى (١)

لم يكدْ ينعَمُ الفقيرُ بعَيْشٍ * مِنْ نَداهُ وفَيْضِه الحاتِمِى (٢)

حَجَبَ الموتُ مَطْلَعَ الجُودِ يا (مصـ * ـرُ) فجُودِى له بدَمْعٍ هَمِى

ومَضَى واهِبُ الألُوفِ فولَّتْ * يومَ ولَّى بَشاشةُ الأَرْيَحِى (٣)

وقضَى كافِلُ اليَتامَى فَوَيْلٌ * لليَتامَى مِنَ الزمانِ العَتِى (٤)

كم تمنَّى لو عاشَ حتَّى يَرانا * أمَّةً ذاتَ مَنَعةٍ ورُقِى

غالَه الضَّعْفُ حينَ شَمَّرَ للرِّفـ * ـعةِ فى مُلْكِه بعَزْمٍ فَتِى

حَبَسَ الخَطْبُ فيكَ ألْسِنةَ القَوْ * لِ وأعْيَا قَريحةَ العَبْقَرِى

وإذا جَلَّت الخُطوبُ وطَمَّتْ * أعْجَزَتْ فى القَريضِ طَوْقَ الرَّوِى (٥)

إنَّ شَرَّ المُصابِ ما أطْلَقَ الدَّمْـ * ـعَ وراعَ المُفَوَّهِينَ بِنَجِى (٦)

---

(١) الأفياء : الظلال . وكسروى : نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل .

(٢) الحاتمى : نسبة إلى حاتم الطائى المعروف بالجود . والفيض : العطاء .

(٣) الأريحى : الواسع الخلق الذى يرتاح للمعروف .

(٤) العتى : الظالم المتجبر .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكنى بالروى عن الشعر ، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المنطيق . والنجى : عدم القدرة على الكلام .

لَفَّ نَفْسِى على بِساطِكَ للضَّيْـ * ـفِ وذَيَّلْكَ الحَـدِيث الشَّهِىّ

يَحْسَبُ الدارَ دارَه وهـو يَمْشِى * فوقَ زاهِى بِساطِكَ الأَحْمَدِى (١)

خُلُقٌ مِثْلَما نَشَقْتَ أَرِيجَ الـ * ـزَّهْـرِ جادَتْـه زَوْرَةُ الوَسْمِى (٢)

واهتزازٌ للعُرْفِ مِثْلُ اهتزازِ الـ * ـسَّيْفِ فى قَبْضَـةِ الشُّـجاعِ الكَمِى (٣)

وحَيـاءٌ عنـد العَطِيَّـةِ يَنْـفِى * خَجَـلَ السائِلِ الكَـرِيمِ الأَبِى

واختِيارٌ يَقِى عِنانَ العَـوادِى * ووَقارٌ يَزِينُ صَـدْرَ النَّدِى (٤)

رَحِـمَ اللهُ (يا حُسَيْنُ) خِلالًا * فيـكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فى نَفْسِ حَى

يا كَرِيمًا حَلَلْتَ ساحَ كَرِيمٍ * وضَـعِيفًا حَلَلْتَ ساحَ القَـوِى

قد كَفاكَ الشَّهادُ فى العَيْشِ فاهْنَأْ * يا أَلِيفَ الضِّـنَى بَنُـومٍ هَـنِى (٥)

وَيْحَ (مِصْـرٍ) فأَىُّ خَيْـطِ رَجاءٍ * قَطَعَتْه رَنَّاتُ صَـوْتِ النَّـعِى

---

(١) البساط الأحدى، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة .

(٢) نشقت : شممت . وأريج الزهر : ريحه . والوسمى : مطر أول الربيع .

(٣) الاهتزاز للعرف : كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء . والكمى : الشجاع .

(٤) يقى عنان العوادى، أى يصرف حوادث الأيام و يردّها عن قصدها . والندى : مجتمع القوم .

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنى» : الى ما كان يعانيه الفقيد فى آخر أيامه من مرض وأرق .

رثاء باحثـــة البـادية[1]

[نشرت فى ســـنة ١٩١٨ م]

(مَلَكَ) النُّهَى لا تَبْعَـدِى * فالخُلْقُ فى الدنيـا سِـيَرْ
إنِّى أَرَى لَكِ سِـــيرَةً[2] * كالرَّوْضِ أَرَّجَهُ الزَّهَـــرْ
رَبَّى أَبُـــوكِ النـاشِئِيـ * ـنَ فعاشَ مَحمودَ الأَثَرْ
وسَلَكْتِ أَنتِ سَـبِيلَه * فى الناشِئاتِ مِن الصِّغَرْ
رَبَّيْتِهِنَّ[3] على الفَضِـيـ * ـلةِ والطَّهـارَةِ والخَفَـرْ
وعـــلى اتِّبـاعِ شَرِيعَـةٍ * نَزَلَتْ بِهـا آىُ السُّـوَرْ
فلَبَنْتِكُمْ فَضْلٌ عـــلى الـ * ـماحِياءِ أُنْثَى أو ذَكَـرْ
لِلهِ دَرُّكِ إنْ نَـــقَرْ * تِ ودَرُّ (حفْنِى) إنْ نَـثَرْ
قـــد كنتِ زَوْجًا طَيِّبَةً[4] * فى البَدْوِ عاشَتْ والحَضَرْ

---

(١) باحثة البادية ، هى السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقت مبادئ العلوم فى مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم فى مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت فى سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكاتبات والباحثات ، بذلت جهدا كبيرا فى الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفور على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها فى كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها فى إدارة الجريدة التى كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ فى هذه القصيدة .

(٢) أرجه : طيبه . (٣) الخفر : شدة الحياء . (٤) يشير بقوله : «فى البدو الخ» : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم ، والطلبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

سادَتْ على أهْلِ القُصُو * رِ وسَوَّدَتْ أهْـلَ الوَبَرْ[1]

غَرِيبَـةٌ فى عِلْمِـها * مَرْمُوقَةٌ بينَ الأسَـرْ

شَرْقِيَّـةٌ فى طَبْعِـها * مَخْـدُورَةٌ بينَ الجُحَـرْ

بَيْنَـا تَرَاهَـا فى الطُّـرُو * سِ تَخُـطُّ آياتِ العِـبَرْ[2]

وتُرِيكَ حِكْمَةَ نابِهٍ * عَرَكَ الحَوادِثَ واختَبَرْ

فإذا بِهـا فى مَطْبَـخٍ * تَطْهُو الطَّعامَ على قَـدَرْ[3]

وإذا بِهـا قَعَـدَتْ تَخِيـ * ـطُ وتَرْتَضِى وَخْـزَ الإبَرْ

نَفَـرتْ بوالِدِهـا ووا * لِدُهـا بِطِبْتِهـا افتَخَـرْ

بالعِـلْمِ حَلَّتْ صَـدْرَها * لا باللآلِئِ والـدُّرَرْ

فانْظُرْ شَمـائِلَ فِكْرِها * باللهِ يَـوْمَ (المُؤْتَمَـرْ)[4]

واقْـرأْ (مُحَـاضَرَةَ الجَرِيـ * ـدَةِ) والمَقالاتِ الغُـرَرْ

وارْجِـعْ إلى ما أوْدَعَتْ * عِنْـدَ المَجَلاتِ الكُبَرْ

---

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الوبر .

(٢) الطروس : الصحائف التى يكتب فيها . (٣) على قدر ، أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى سنة ١٩١٢ م وتوالت جلساته خمسة أيام ، وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما ، النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ، والثانى ، الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامى المرحوم رياض باشا ، وقد ألقت الفقيدة محاضرة فى هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تَعْـــلَمْ بأنّا قـــد فقَـــدْ * نا خَيْرَ رَبّاتِ الفِخَرْ

ذَنْبُ المَنِيّـــةِ فى آختيا * لِ شَـــبابِها لا يُغْتَفَـــر

يا لَيْتَهـا عاشَتْ (لِمِصْـ * ـرَ) ولَمْ تُغَيِّبْهـا الحُفَـــر

كانتْ مِثـالاً صالحًـا * يُرْجَى وكَنْزاً يُدَّخَـــر

انّى رَأَيْتُ الجاهِـــلا * تِ السّافِراتِ على خَطَر

ورأَيْتُ فيهِنّ الصِّبـا * نَةَ والعَفافَ على سَـــفَر

لا وازِعٌ — وقد آنطَوَتْ * (مَلَكٌ) يَقِيهِنّ الضَّرَر (١)

لا كانَ يَوْمُكِ يومَ لا * حَ الحُزْنُ مُخْتَلِفَ الصُّوَر

عَلَّمْتِ هاتِفَـــةَ القُصـــو * رِ نُواحَ هاتِفَـــةِ الشَّـــجَر (٢)

وتَرَكْتِ أَتْرابَ الصِّبـا * حُزْنًا يُقَطِّعْنَ الشُّـــعَر (٣)

يَبْكِينَ عَهْدَكِ فى الصِّبـا * حِ وفى المَساءِ وفى السَّحَر

وتَرَكْتِ شَيْخَكِ لا يَعِى * هَـــلْ غابَ زَيْدٌ أو حَضَر (٤)

تَمْـــلَا تُرَنِّحُـــهُ الهُمُـــو * مُ إذا تَحامَلَ أو خَطَـــر (٥)

كالفَـــرْعِ هَزَّتْهُ الصَّبـا * صِفُ فآلتَـــوَى ثمّ آنكَسَر

---

(١) الوازع : الزاجر. (٢) يريد «بهاتفة القصور» : الباكية من النساء، و«بهاتفة الشجر» : النائحة من الطير. (٣) أتراب الإنسان : لداته ؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء).

(٤) يريد «بالشيخ» : أباها. ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... إلخ إلى ما كان أبوها مشتهرا به من علم النحو واللغة وما إليهما من علوم العربية، وذلك لأن مدار الأمثلة فى النحو على «زيد».

(٥) ترنحه : تميله هنا وهنا.

أو كالبناءِ يُريدُ أنْ * يَنْقَضَّ مِنْ وَقْعِ الْخُـورِ[1]

قـد زَعْزَعَتْـهُ يَدُ القَضا * ءِ وزَلْزَلَتْـه يَـدُ القَـدَر

أنا لَمْ أَذُقْ فَقْـدَ البَنِـيـ * ـنَ ولا البَنـاتِ على الكِبَر

لكنّنى لمّـا رأيْـ * ـتُ فـؤادَه وقـد انْفَطَر[2]

ورأيْتُـه قـد كادَ يَحْـ * ـرِقُ زائِريـه إذا زَفَـر

وشَهِـدْتُه أنّى خَطَـا * خَطْـوًا تَحَبَّـلَ أو عَـثَر

أدْرَكْتُ مَعْنَى الحُـزْنِ حُـ * ـنَ الـوالِدَيْنِ ، فـا أمَرّ

وشَهِـدْتُ زَوْجَكِ مُطْرِقًا * مُسْتَوْحِشًا بين السُّمَر[3]

كالمُدْلِجِ الحَـيْرانِ فى الـ * ـبَيْـداءِ أخْطَـأَهُ القَمَـر[4]

فعَلِمْتُ أنّكِ كنتِ عِـقْـ * ـدَ هَنـائِه وقـد انْتَثَر

صَبْرًا أبا (مَلَكٍ) فإنّ الباقِياتِ لِمَنْ صَبَر

وبقَـدرِ صَـبْرِ المُبْتَلَى * طُـولُ المُصِيبةِ والقِصَـر

كن أنتَ أنتَ إذا نُسا * ءُ كانتَ أنتَ إذا تُسَـرّ

يا بَـرَّةً بالـوالِـدَيْـ * ـنِ أبُوكِ بَعْـدَكِ لا يَقَـرّ

فَسَـلِي الإلَـهَ سُـلْوَةً * لأبِيـكِ فهْـوَ به أبَـرّ

ولَيَهْنِـكِ الخُـلْدُ الجَـدِيـ * ـدُ فـذاكَ دارُ المُسْتَقَرّ

(١) من وقع الخور ، أى من وقوع الضعف به .
(٢) انفطر : انشق .
(٣) السمر : مجلس السمار بالليل .
(٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فـــريد بك[1]

[فى سنة ١٩١٩ م]

مَنْ لِيَوْمٍ نحنُ فيـه مَنْ لِغَـدْ * ماتَ ذُو العَزْمَةِ والرَّأْيِ الأَسَدْ[2]

حَلَّ (بالجُمْعَـةِ) حُزْنٌ وأَسًى * ومَشَى الوَجْدُ الى يوم (الأَحَدْ)[3]

وبَدَا شِـعْرِى على قِرْطاسِـهِ * لَوْعَةً سالَتْ على دَمْعٍ جَمَـدْ

أيُّهـا النِّيلُ لقـد جَلَّ الأَسَى * كُنْ مِدادًا لى إذا الدَّمْعُ نَفِـدْ

واذْبُلِى يا زَهْـرَةَ الرَّوْضِ ولا * تَبْسِمِى للطَّـلِّ فالعَيْشُ نَكِدْ[4]

والزَمِ النَّـوْحَ أيا طَـيْرُ ولا * تَبْتَهِجْ بالشَّـدْوِ فالشَّدْوُ حَدَدْ[5]

---

(١) المرحوم محمد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد فى مدينة القاهرة فى رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبيته من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، ونال شهادة الحقوق فى مايو سنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل الى النيابة العمومية ، ثم الى نيابة الاستئناف . وقد أنعم عليه بالرتبة الثانية فى أغسطس سنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيد اسمه فى جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية فى أول يونيه سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشتغلا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للمرحوم مصطفى كامل باشا وقد صحبه فى كثير من رحلاته الى أوربا ، واختاره مصطفى كامل لرآسة الحزب الوطنى فى فبراير سنة ١٩٠٨م وتوفى فى برلين عاصمة المانيا فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جثته الى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة نفيسة .

(٢) يريد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسد : الأصوب .

(٣) الأسى : الحزن . وكنى « بيوم الجمعة والأحد » عن مسلمى مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولّى (فريدٌ) وانطوى * ركنُ (مصر) وفتاها والسّنَدْ

خالدَ الآثارِ لا تخشَ البِلَى * ليس يبلَى مَنْ له ذِكرٌ خلَدْ

زُرتَ (برلين) فنادى سمتُها : * (١) نزلتْ شمسُ الضُّحى برجَ الأسَدْ

واختفتْ شمسُكَ فيها وكذا * تختفي في الغربِ أقمارُ الأبَدْ

يا غريبَ الدارِ والقبرُ ويا * سُلوةَ (النِّيل) اذا ما الخطبُ جدّ

(٢) وحُساماً فلّ حدّيه الرّدى * وشهاباً ضاءَ وهْناً ونَخَمَدْ

(٣) قُلْ لصبِّ (النِّيلِ) إنْ لاقيتَه * في جوارِ الدّائمِ الفردِ الصّمَدْ

إنّ (مصرًا) لا تنِي عن قصدِها * رَغْمَ ما تلقَى وإن طالَ الأمَدْ

جئتُ عنها أحملُ البُشرَى إلى * أوّلِ الباقينَ في هذا البلَدْ

فاستَرِحْ واهنأْ ونَمْ في غِبطةٍ * قد بذرتَ الحبَّ والشّعبُ حصَدْ

(٤) آثرَ (النِّيلَ) على أموالِهِ * وقُواهُ وهواهُ والولَدْ

(٥) يطلبُ الخيرَ (لمصرٍ) وهْوَ في * شِقوةٍ أحلَى مِنَ العيشِ الرّغَدْ

---

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوة وجلال الشأن ، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوة بالشمس حين تنزل برج الأسد ؛ والثانى ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس فى برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ ويكون هذا البيت بالمعنى الثانى ترشيحا للبيت الذى بعده .

(٢) فل حديه : ثلمهما ، والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صب النيل : عاشقه ، ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوربا فى سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد فى غربته من بؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

ضَارِبٌ فى الأَرضِ يَبْغى مَأْرَبًا * كُلَّمَا قَارَبَه ، عنه ابْتَعَدْ (١)

لم يَعِبْه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُه * رُبَّ جِدٍّ حادَ عن مِجْراه جَدّ (٢)

يَسْتَجِمُّ العَزْمَ حَتَّى إِنْ بَدَتْ * فُرصةٌ شَدَّ اليها وصَمَّد (٣)

فهو لا يَثْنِى عِنانًا عن مُنًى * وهو مِجْيراهُ (مَنْ جَدَّ وَجَد) (٤)

فَأَيادِيه إذا ما أُنْكِرَتْ * إنَّما تُنْكِرُهَا عَيْنُ الحَسَد (٥)

فَقَدَتْ (مِصْرُ فَريدًا) وهِىَ فى * مَوْطِنٍ يُعْوِزُها فيه المَدَد

فَقَدَتْ (مصرُ فَريدًا) وهِىَ فى * لَهْوَةِ المَيْدانِ والموتُ رَصَد (٦)

فَقَدَتْ منه خَبِيرًا حُوَّلًا * وهِىَ والأيّامُ فى أَخْذٍ وَرَدّ (٧)

لم يَكَدْ يُمْتِعُها الدَّهْرُ به * فى رُبُوعِ (النِّيل) حَيًّا لم يَكَد

لَيْتَه عاشَ قليلًا فَتَرَى * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُه كيف اتَّحَد (٨)

وَيْحَ (مِصرٍ) بَلْ فَوَيْحًا للثَّرَى * إنّه أَبْلَغُ حُزْنًا وأَشَدّ

كَمْ تَمَنَّى وتَمَنَّى أَهْلُه * لو يُوارَى فيه ذَيّاكَ الجَسَد (٩)

---

(١) ضرب فى الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر .

(٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إنى لأستجم قلبى بشىء من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إنى لأجعل قلبى يتفكه بشىء من اللهو ليستجمع قوته . وصمد : قصد .

(٤) مجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته .

(٥) الأيادى : النعم .

(٦) شبه مصر فى ميدان الجهاد بلهوة الرحى ، وهى بفتح اللام وضمها ، ما يلقى فى فمها للطحن .

(٧) الحول : الحاذق البصير بتحويل الأمور .

(٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمى مصر وقبطها فى سنة ١٩١٩ م ، تحت رآسة المرحوم سعد زغلول باشا .

(٩) يوارى : يدفن .

لَمْ قَفْ نَقْضِي هل (بَرْلِينَ) آمِرُؤٌ * فوق ذَاكَ القَبْرِ صَلَّى وسَجَدْ؟
هل بَكَتْ عَيْنٌ فروَّتْ تُرْبَه * هل على أحجارِه خَطَّ أحَدْ؟ (١)
هاهُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فى هَوَى * أُمَّةٍ أيقظَها ، ثُمَّ رَقَدْ

رثاء عبد الله أباظه بك (٢)

[أنشد هذين البيتين على قبره فى سنة ١٩١٩ م]

يا عابِدَ اللهِ نَمْ فى القَبْرِ مُغْتَبِطًا * ما كنتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ العَرْشِ باللاهِى
يا رحمَةَ اللهِ هٰذا قَبْرُهُ فقِفِى * وآنِسِى رُوحَه يا رَحْمَةَ اللهِ

رثاء عبد الحميد رمزى

قالها على لسان ابراهيم رمزى بك فى حفل تأبين ابنه عبد الحميد ، وكان طالبا بالمدارس الثانوية ، ولم يقو أبوه على الكلام فى هذا الحفل ، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة :

[نشرت فى ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

وَلَدِى ، قد طالَ سُهْدِى وَنَحِيبِى * جِئْتُ أَدْعُوكَ فهَلْ أَنْتَ مُجِيبِى؟
جِئْتُ أَرْوِى بِدُمُوعِى مَضْجَعًا * فيه أَوْدَعْتُ مِنَ الدُّنيا نَصِيبِى

---

(١) خط أحد ، أى كتب على أحجار هذا القبر البيت الآتى بعده .

(٢) عبد الله أباظه بك ، هو ابن السيد أباظه باشا ، كان عضوا بالجمعية التشريعية ، وتقلد عدة مناصب ، وتوفى فى سنة ١٩١٩ م .

لا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ القَبْرِ ولا * تَبْتَئِسْ إنِّى مُوافٍ عَنْ قَرِيبِ

أَنَا لا أَتْرُكُ شِبْلِى وَحْدَه * فى جَدِيبٍ مُوحِشٍ غَيْرِ رَحِيبِ (١)

أَوْ يَمِينَ ٱبْتَزَّ دَهْرِى قُوَّتِى * وذَوَى عُودِى ووافَانِى مَشِيبِى (٢)

وٱكْتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِه * تَحْتَ شَمْسِ العِزِّ والجاهِ الخَصِيبِ

ورَجَوْنا فيكَ ما لَمْ يَرْجُهُ * مُنْجِبُ الأَشْبالِ فى الشِّبْلِ النجيبِ

يَنْتَوِيكَ المَوْتُ فى شَرْخِ الصِّبا * والشَّبابِ الغَضِّ فى البُرْدِ القَشِيبِ (٣)

لم يَدَعْ لِيسبكَ جُهْدًا إنَّما * غابَ عِلْمُ اللهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ (٤)

إيهِ يا (عَبْدَ الحَمِيدِ) انْظُرْ إلى * والدٍ جَمَّ الأَسَى بادِى الشُّحُوبِ (٥)

ذاهِلٍ مِنْ فَرْطِ ما حَلَّ به * بَيْنَ أَتْرابِكَ يَمْشِى كالغَرِيبِ

كُلَّما أَبْصَرَ منهم واحِدًا * هَزَّهُ الشَّوْقُ إلى وَجْهِ الحَبِيبِ

يَسْأَلُ الأَغْصانَ فى إزْهارِها * عن أَخِيها ذٰلِكَ الغُصْنِ الرَّطِيبِ

يَسْأَلُ الأَقْمارَ فى إشْراقِها * عن مُحَيًّا غابَ مِنْ قَبْلِ المَغِيبِ (٦)

غَمَرَ الحُزْنُ نَوَاحِى نَفْسِه * وأَذابَتْ لُبَّه سُودُ الخُطُوبِ (٧)

فهو لا يَنْفَعُه العَيْشُ وهَلْ * تَصْلُحُ الأَبْدانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبِ؟

---

(١) الشبل : ولد الأسد . ويعنى «بالجديب الموحش» : القبر . (٢) ابتز : سلب . وذوى عوده : ذبل وجف . (٣) ينتويك : يقصدك . وشرخ الصبا : ريعانه . والقشيب : الجديد

(٤) الآسى : الطبيب . (٥) الأسى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه .

(٦) محيا الإنسان : وجهه (٧) غمر الحزن نواحى نفسه ، أى شملها .

طـالِعِي يا شَمْسُ قَـبْرًا ضَمَّـهُ * بالتَّحايا فى شُـرُوقٍ وغُـرُوبِ
واسـكُنِي يا رَحْمَـةَ اللهِ بـه * واجْعَلِي فَيْضَكِ مُنْهَـلَّ السُّكُوبِ

رثاء عبد الحليم المصرى الشاعر المعروف

[نشرت فى ٨ يوليه سنة ١٩٢٢ م]

لَكَ اللهُ قد أَسْرَعْتَ فى السَّيْرِ قَبْلَنَا * وآثَرْتَ يا "مِصْرِىُّ" سُكْنَى المَقابِرِ
وقد كنتَ فِينا يانَقِىَّ الشِّعْرِ زَهْرَةً * تَفَتَّحُ للأَذْهانِ قَبْـلَ النَّواظِرِ
فَلَهْفِى على تلكَ الأَنامِلِ فى البِـلَى * فكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ البِلَى مِنْ مَفاخِرِ
ويا وَيْحَ للأَشْـعارِ بَعْـدَ نَجِيِّهـا (١) * ووَيْحَ القَـوافِى ساقَها غيرُ شاعِرِ
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيـاكَ ذِكْرًا مُخَلَّدًا * وذاكَ لَعَمْـرِى نِعْـمَ زادُ المُسافِرِ
وأَوْرَثْتَنا حُزْنًا عليـكَ وحَسْرَةً * على فَقْـدِ سَبَّاقٍ كَرِيمِ المَحاضِرِ (٢)
فَلَمْ تَنْوِ يا (عَبْدَ الحَلِيمِ) بحُفْـرَةٍ * ولكنْ بِرَوْضٍ مِنْ قَرِيضِكَ ناضِرِ (٣)
فـدِيوانُكَ الرَّيَّانُ يُغْنِيـكَ طِيبُـه * عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا بِجَـوْدِ المَواطِرِ (٤)
فسامِرْ (أَبا بَكْرٍ) هُنـاكَ فإنَّه * سَيَظْفَرُ فى عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسامِرِ (٥)

(١) نجيها ، أى من يناجيها . (٢) المحاضر : المجالس . (٣) ثوى بالمنزل : أقام به . (٤) الزهر المطلول : المبلل بالطل . والجود : المطر الكثير . والمواطر : السحب .
(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصرى فى سيرة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأولها :
أفضى أبا بكر عليهم قوافيا * وأسطر لسانى سكبة ومعانيا

هَنِيئًا لَكَ الدارُ التى قـد حَلَلْتَهـا * وأَعْظِـمْ بِمَنْ جاوَرْتَه مِنْ مُجـاوِرِ
عليـكَ سَـلامٌ ما تَرَنَّمَ مُنْشِـدٌ * وقامَ خَطِيبٌ فَـوْقَ هامِ المَنـابِرِ (١)

ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (٢)

انشدها فى الحفل الذى أقيم بالجامعة المصرية فى يوم الثلاثاء ١١ يوليه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفنى ناصف بك

آذَنَتْ شَمْسُ حَيـاتِى بِمَغِيـبِ * ودَنَا المَنْهَـلُ يا نَفْسُ فَطِيـبِى (٣)
إنَّ مَنْ سارَ إليـه سَـيْرَنا * وَرَدَ الراحةَ مِنْ بَعْـدِ اللُّغُوب (٤)
قـد مَضَى (حفْنى) وهٰـذا يَوْمُنا * يَتَـدانَى فَاسْـتَثِيبِى وأَنِيـبِى (٥)
وارْقُبِيـهِ كُلَّ يَـوْمٍ إنَّمـا * نحنُ فى قَبْضَةِ عَلّامِ الغُيُوب
أَذْكُرِى المـوتَ لَدَى النَّوْمِ ولا * تُغْفِـلِى ذِكْرَتَه عنـد المُبُـوب
واذْكُرِى الوَحْشَةَ فى القَبْرِ فلا * مُؤْنِسٌ فيه سِوَى تَقْوَى القُلُوب
قَدِّمِى الخَيْرَ احتِسـاباً فكَفَى * بعضُ ما قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوب
راعَـنِى فَقْـدُ شَـبابِى وأنَا * لا أُراعُ اليَـوْمَ مِنْ فَقْـدِ مَشِيبِى
حَنَّ جَنْبـاىَ الى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسَى مِنْ عَـدُوٍّ وحَبِيبِ

---

(١) هام المنابر : رؤسها ؛ الواحدة هامة .
(٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول .
(٣) آذنه بالأمر : أعلمه بقربه . والمنهل : المورد ؛ يريد به الموت .
(٤) اللغوب : التعب .
(٥) استثيبى : اطلبى الثواب من الله . وأنيبى : ارجعى اليه بالطاعة .

مَضْجَعٌ لا يَشْتَكِي صاحبُه * شِدَّةَ الدَّهْرِ ولا شَدَّ الخُطُوبِ[1]

لا ولا يُسْئِمُه ذاك الذى * يُسْئِمُ الأحياءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ[2]

قد وَقَفْنا سِتَّةً نَبْكِى على * عالِمِ المَشْرِقِ فى يَوْمٍ عَصِيبِ[3]

وَقَفَ الخَمْسَةُ قَبْلِى فَمَضَوْا * هَكذا قَبْلِى وإنِّى عَنْ قَرِيبِ

وَرَدُوا الحَوْضَ تِباعًا فَقَضَوْا * بِاتِّفاقٍ فى مَنَاياهُمْ عَجِيبِ

أنا مُذْ بانُوا ووَلَّى عَهْدُهُمْ * حاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّحِيبِ[4]

هَدَأَتْ نِيرانُ حُزْنِى هُدْأَةً * وانْطَوَى (حفنِى) فعادَتْ للشُّبُوبِ

فتَذَكَّرْتُ به يومَ انْطَوَى * صادِقَ العَزْمَةِ كَشَّافَ الكُرُوبِ[5]

(١) شد الخطوب، أى حلها عليه . (٢) يريد «بالرتيب» : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة عجيبة ، وهى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة، ثم حسن عاصم باشا، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير، ثم قاسم أمين بك، ثم حفنى ناصف بك، ثم حافظ ابراهيم بك . واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء، فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات :

أتذكر اذ كنا على القبر ستة * نعدد آثار الإمام ونندب

وقفنا بترتيب وقد دب بيننا * ممات على وفق الرثاء مرتب

أبو خطوة ولى وقضاه عاصم * وجاء لعبد الرازق الموت يطلب

فلبى وغابت بعده شمس قاسم * وعما قليل نجم عجاى يغرب

فلا تخش هلكا ما حييت وأن أمت * فما أنت الا خالف تستوقب

فطاوعه تحت القطار ولا تخف * وثم تحت بيت الوقف وهو مخرب

وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا * فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

فلما توفى حفنى بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك .

(٤) بانوا : بعدوا .

(٥) يريد «بصادق العزمة» : المرحوم الشيخ محمد عبده .

يـــومَ كَفَنّـاه فى آمالِنـا * وذَكَرْنا عِنْـدَه قَـوْلَ (حَبِيب) (١)

عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوه وكذا * تُعْرَفُ الأَقْمَارُ مِنْ بَعْدِ المَغِيب (٢)

وبِنَا مِنْهُ بإمامٍ مُصْـلِحٍ * عامِـرِ القَلْبِ وأَوّابٍ مُنِيـب (٣)

كَمْ له من باقياتٍ فى الهُدَى * والنَّدَى بين شُرُوقٍ وغُرُوب

يَبْـذُلُ المَعْرُوف فى السِّـرِّ كما * يَرْقُبُ العاشِـقُ إغفَـاءَ الرَّقِيب (٤)

يُحْسِنُ الظَّنَّ به أعـداؤُه * حِينَ لا يَحْسُنُ ظَنٌّ بقَـرِيب

تَنْزِلُ الأَضْيافُ منه والمُنَـى * والخِلالُ الغُرُّ فى مَرْعًى خَصِيب

قد مَضَتْ عَشْرٌ وسَبْعٌ والنُّهَى * فى ذُبُولٍ والأَمانِى فى نُضُوب (٥)

تَرْقُبُ الأُفْـقَ فلا يَبْـدُو به * لامِـعٌ مِنْ نُـورِ هادٍ مُسْتَثِيب (٦)

ونُنَـادِى كلَّ مَأْمُـولٍ وما * غيرُ أَصْـداءِ المُنَادِى مِنْ مُجِيب

دَوِىَ الجُـرْحُ ولَمْ يُقْـدَرْ له * بَعْدَ تاوِى (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبِيب (٧)

أَجْدَبَ العِـلْمُ وأَمْسَى بَعْـدَه * رائِـدُ العِرْفانِ فى وادٍ جَدِيب (٨)

---

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائى ، المكنى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد فى شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسحاق بن أبى ربى :

قـــد علمت مازرنت إنما * يعرف فقد الشمس عند المغيب

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ فى البيت الذى قبله .

(٣) الأواب : كثير الرجوع إلى الله . والمنيب : من أناب ، بمعنى رجع .

(٤) الإغفاء : النوم .

(٥) النضوب : الجفاف .

(٦) مستثيب ، أى يطلب ممن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع .

(٧) دوى : صار ذا داء . والتاوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كان يسكنه الفقيد ، وهى ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة .

(٨) الرائد : الطالب .

رَحْمَةُ الدِّينِ عليه كلَّما * خَرَجَ التفسيرُ عن طَوْقِ الأَرِيب (١)

رَحْمَةُ الرأيِ عليه كلَّما * طاشَ سَهْمُ الرأيِ فى كَفِّ المُصيب

رَحْمَةُ الفَهْمِ عليه كلَّما * دَقَّت الأَشْياءُ عن ذِهْنِ اللَّبيب

رَحْمَةُ الحِلْمِ عليه كلَّما * ضاقَ بالحِدْثانِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحيب

ليسَ فى مَيْدانِ (مِصْرٍ) فارِسٌ * يَرْكَبُ الأَخْطارَ فى يَوْمِ الرُّكُوب

كلَّما شارَفَه مِنّا فَتًى * غالَهُ المِقْدارُ مِنْ قَبْلِ الوُثُوب (٢)

ما تَرَى كيف تَوَلَّى (قاسِمٌ) * وهو فى المَيْعَةِ والبُرْدِ القَشِيب (٣)

أُنْسِيَ الأَحْياءُ ذِكْرَى (عَبْدِه) * وهِيَ لِلْأَسْيافِ مِنْ مِسْكٍ وطِيب (٤)

إنَّهم لو أَنْصَفُوها لبَنَوْا * مَعْهَدًا تَعْتادُه كَفُّ الوَهُوب (٥)

مَعْهَدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غَرْسُه * مِنْ نَمِيرٍ فاضَ مِنْ ذَاكَ القَلِيب (٦)

ونَسِينا ذِكْرَ (حِفْنِي) بَعْدَه * ودَفَنَّا فَضْلَه دَفْنَ الغَرِيب

لَمْ تَسِلْ مِنّا عليه دَمْعَةٌ * وهو أَوْلَى الناسِ بالدَّمْعِ الصَّبِيب (٧)

---

(١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .

(٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه . (٣) ميعة الشباب : أوله . والقشيب : الجديد . وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .

(٤) استاف الطيب : شمه . (٥) تعتاده ، أى تتعود الإنفاق عليه وتتعهده بالبذل .

(٦) الماء النمير : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيد .

(٧) الصبيب : المنصب .

سَكَنَتْ أَنفاسُ (حفني) بَعْـدَ ما * طَيَّبَتْ فى الشَّرْقِ أَنفاسَ الأَدِيبِ[1]

عاشَ خِصْبَ العُمْرِ مَوْفُورَ الجِجَا * صادِقَ البِشْرَةِ مأْمُونَ المَغِيب

تأبين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك[2]

قالها فى الحفل الذى أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدين

[يوم الأربعين ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

عَلَمَـانِ مِنْ أَعْلامِ مِصْـ * ـرَ عَدَا الرَّدَى فطواهُمَـا

(حَسَنٌ) و(زُهْدِى) لَمْ يَدَعْ * ـهُ بالشَّبابِ كِلاهُمَـا

سَلَكَا سَبِيلَ الحَقِّ ما * عاشَـا وما أَوْلاهُمَـا!

دَاسَ الأَثِيـمُ حِماهُمَا * تَحْتَ الدُّجَى ودَهاهُمَـا

فَرَمَى النُّهَى والفَضْلَ مُجْـ * ـتَمِعَيْنِ حِينَ رَماهُمَـا

إِنْ تَذْكُرُوا هِمَمَ الرِّجَا * لِ فقَدِّمُوا ذِكْراهُمَـا

أَوْ تَسْأَلُونِى عَنْ شَبِيـ * ـهَيْ مَبْدَإٍ فهُمَا هُمَـا

---

(١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت فى الشرق أنفاس الأديب » : أن أدباء الشرق قد تخزيوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منتدياتهم وارتفع به أدبهم .

(٢) فى مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢م ، اعتدى سفاح على عضوين من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك ، فرماهما بالرصاص ولم يمهلهما الأجل إلا أياما ، فتوفى اسماعيل بك أولا ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف السياسى بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا[1]

أنشدها فى حفل التأبين الذى أقيم فى فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة فى مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فى مَوْطِنٍ * كان البُكَا فيه بِنَا أَلْيَقَا
فَاكْرِمُوا (صَبْرِى) بِإِنْصَافِكُمْ * وَلْيُعْذَرِ الدَّمْعُ إذا صَفَّقَا

ثم ابتدأ فى إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ النُّعَاةُ وحُسْنُ القَدَرْ * ولَمْ يُغْنِ عَنَّا وعَنْكَ الحَذَرْ[2]
طَوَتْ ذَبْحَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدِىّ * فَلَمْ تَطْوِ إلَّا بِعَجْلِ العِبَرْ[3]
فَأَمْسَيْتَ تُذْكَرُ فى الغَابِرِين * وإنْ قَلَّ مِثْلُكَ فِيمَنْ غَبَرْ[4]
إذا ذُكِرَتْ سِيَرُ النَّابِهِين * فسِيرَةُ (صَبْرِى) تَجُبُّ السِّيَرْ[5]
لقد كنتَ بَرًّا بِظِلِّ الشباب * فلمَّا تَقَلَّصَ كُنتَ الأَبَرّْ[6]

---

(١) ولد المرحوم اسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر الى أوربا فأتم علومه القانونية هناك ، ونال الشهادة من كلية أكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية ، واعتزله فى سنة ١٩٠٧ ، وكانت وفاته فى ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة فى المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ فى مرثيته .

(٢) عم القدر : قضى (بالبناء للمجهول فيهما) . ويريد « بالقدر » : الموت .

(٣) يشير الى أن الفقيد توفى بالذبحة الصدرية ، وقد عاش مصابا بها زحمه الله أعواما طويلة . والندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٤) الغابرون : الماضون .

(٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواه فى النابهين من الرجال .

(٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم فى شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فـلَم تَسْتَبِقْ تَرْوَةٌ فى الصِّبا * ولَم تَسْتَبِحْ هَفْوَةٌ فى الكِبَرْ

أَهَنِّى الثَّرَى أم أَعَزِّى الْوَرَى * لقـد فازَ هٰـذا وهٰـذا خَسِر

أَأَوَّلَ يـومٍ لمَهْـدِ الرَّبيـع * تَجِفُّ الرِّياضُ ويَذْوِى الزَّهَر (١)؟

ويَذْبُلُ زَهْرُ الغَريضِ الثَّرِىّ * ويُقْفِرُ رَوْضُ القَوافِى الغُـرَر (٢)

لِيَهْدَأْ (عُمـانُ) فغَوّاصُه * أُصِيبَ وأَمْسَى رَهِينَ الحُفَر (٣)

فقـد كانَ يَعْتَـادُه دائِبًا * بُكُورًا رَوُوحًا لنَهْبِ الدُّرَر (٤)

يَقُـولُ فيُرْخِصُ دُرَّ النُّحُـور * ويُغْلِى جُمـانَ بَنـاتِ الفِـكَر (٥)

يَسُـوقُ القِصارَ فيَأْبَى العِشار * وكَم مِنْ مُطِيـلٍ مُمِـلٍّ عَثَر (٦)

قِصـار وحَسْبُ النُّهَى أنّهـا * لهـا مُعْجِزاتُ قِصارِ السُّـوَر

رُحِمْتَ، فقد كنتَ حُلْوَ اللِّسان * جَلِىَّ البَيانِ صَـدُوقَ الخَـبَر

قليـلَ التَّعَجُّبِ جَـمَّ الأَناة * حَكِيمَ الوُرُودِ حَكِيمَ الصَّـدَر (٧)

شَمـائِلُكَ الغُـرُّ هُنَّ الرِّياض * رَوَى عن شَذاها نَسِيمُ السَّحَر (٨)

---

(١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيد كانت فى فصل الربيع .

(٢) الغريض الثرى : الفتى بمعانيه وألفاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة باللؤلؤ المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيد باللؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .

(٤) يعتاده دائبا : أى يواظب على استخراج اللآلئ منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ الواحدة جمانة . ويريد « ببنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيد كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناة : التأنى . ويريد « بحكيم الورود ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

لها مِثْلُ رَوْحِ الدُّعاءِ اسْتُجِيب * فعـاقَ وآوَى وأَغْنَى وسَـرّ (١)

إذا ما وَرَدْتَ لها مَنْهَـلًا * وَرَدْتَ نَمِـيرًا لَذِيذَ الخَصَر (٢)

وفِكْرُكَ فى خِصْبِهِ ثَرْوَةٌ * لِفِكْرِ الأَدِيبِ إذا ما افْتَقَـر (٣)

وشِعْرُكَ كالماء فى صَفْوِهِ * على صَفْحَتَيْهِ تَرَاءَى الصُّوَر (٤)

عُيُونُ القَصَائِدِ مِثْـلُ العُيُون * وشِعْرُكَ فيهِنَّ مِثْـلُ الحَوَر (٥)

وكَمْ لَكَ شَكْوَى هَوًى أو أَسًى * لها نَفَثَاتٌ تُذِيبُ الحَجَـر

هَتَفْتَ بها مَرَّةً فى الهَجِـير * فكادَ يَدِبُّ إليـكَ الشَّـجَر (٦)

وكَمْ كنتَ تُشْعِلُ فَحْمَ الدُّجَى * بأَنْفَـاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهَر (٧)

فيـا وَيْحَ قَلْبِـكَ ما ذا أَلَـمَّ * عليـه مِن الدَّاء حتَّى انْفَطَـر

أَيَخْفِقُ تحتَ الدُّجَى وَحْـدَه * لِذِكْرَى أَلِيفٍ سَـلا أو هَجَر (٨)

---

(١) الروح : الراحة .

(٢) النمير : الماء الناجع فى الرى . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أعوزتهم المعانى .

(٤) تراءى ، تتراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : نفائسها وكرائمها . والحور فى العين : اشتداد البياض والسواد فى بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهبير : شدة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أولها :

يا سرحة بجـوار الماء ناضرة * سقاك دمعى اذا لم يوف ساقيك

عار عليك وهـذا الظل منتشر * فـك الهبير بمشـل فى نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيد فى النسيب والشوق ، وهى من أنفس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيد يخاطب فؤاده :

سـلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا * حمل المصابة فاخفق وحدك الآنا

إذا قيلَ (صَبْرِى) ذَكَّرْتُ (الوَلِيد) (١) * ومَرَّتْ بنَفْسِى ذِكْرَى (عُمَرْ)
يَزِينُ تَواضُعُه نَفْسَـــه (٢) * كما زانَ حُسْنَ المَلاحِ الخَفَرْ
زَكِىُّ المَشاعِرِ عَفُّ الهَـوَى (٣) * شَهِىُّ الأَحادِيثِ حُلْوُ السَّمَرْ
لقد كنتُ أَغْشَاهُ فى دارِه * ونادِيهِ فيها زَهًا وازْدَهَـرْ
وأَعْرِضُ شِعْرِى على مَسْمَعٍ (٤) * لَطِيفٍ يُحِسُّ نُبُـوَّ الـوَتَرْ
على سَمْعٍ باقِعَـةٍ حاضِـرٍ (٥) * يَمِيزُ القَـدِيمَ مِنَ المُبْتَكَرْ
فيَصْقُلُ لَفْظِىَ صَقْلَ الجُمَـانِ (٦) * ويَكْسُوه رِقَّـةَ أَهْـلِ الحَضَرْ
يُرَقْرِقُ فيـه عَبِيرَ الجِنـانِ (٧) * فتَسْتافُ منه النُّهَى والفِكَرْ
كذَلِك كان ــ عليه السَّلام ــ * إماماً لكُلِّ أَدِيبٍ شَـعَرْ
فكُنَّا الجَداوِلَ تُرْوِى الظِّمَاءَ (٨) * ظِمَاءَ العُقُـولِ وكان النَّهَـرْ
زَهِـدْتَ عـلى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ (٩) * وجاهٍ أَظَـلَّ وفَضْـلٍ بَهَـرْ

---

(١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحترى وعمر بن عبـد الله بن أبى ربيعة القرشى المخزومى ، الشاعرين المعروفين . شبه بهما الفقيد فى رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطرافة المعانى ، وحسن النسيب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحترى ويفضله على غيره من الشعر .

(٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعوه حبه الى ارتكاب مأثم . (٤) يريد بقوله «يحس نبو الوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة ذوقه مابين الألفاظ والعبارات ، ورقة مما جاوره وما ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .

(٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شىء . (٦) يصقل لفظى ، أى يجلوه ويحسنه .

(٧) العبير : الرائحة الطيبة . وتستاف : تشم . والنهى : العقول .

(٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى امتد ظله واتسع .

خَلَتِ الشَّبابَ فَلَمْ تَبْكِهِ * وساعَتُكَ أنَّكَ لَمْ تُحْتَضَرْ (١)

وقد ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَما * أُصِيبَ قِطارُكَ يومَ السَّفَرْ (٢)

فأقْسَمْتَ أنَّكَ أَلْفَيْتَهُ * لَذِيذَ المَذاقَةِ إذْ تُحْتَضَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَ أنْ لَمْ تَعُدْ للحَياةِ * ولكنْ أباها عليكَ القَدَرْ

وكَمْ ساعةٍ بين ساعِ الحَياةِ * سَقَتْكَ المُرارَ بكَأْسِ الضَّجَرْ (٤)

فَرُحْتَ الى أُخْتِها شاكِيًا * أَذاتَكَ منها فكانَتْ أَمَرْ (٥)

فَفَتَّشْتَ أثْناءَها جاهِدًا * بعَيْنَيْ بَصِيرٍ بَعِيدِ النَّظَرْ

فَلَمْ تَرَ فيها على طُولِها * هُنَيْهَةَ صَفْوٍ خَلَتْ مِنْ كَدَرْ (٦)

(١) احتضر فلان بالبناء للمجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ماحدث للفقيد أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا إلى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوى عباس الثانى اذ اصطدم القطار الذى كان يقله مع قطار آخر ، وقد أصيب فى هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغمى على الفقيد إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج فى مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض فى كتفه الأيسر ، وكان يحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت فى هذا الحادث فوجده لذيذ المذاق ، وكان يتمنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للمجهول) : حضره الموت .

(٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأحزان والهموم بمرارة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيد فى الساعة ، أولها :

كم ساعة آلمنى سمها * وأزعجنى يدها القاسيه

(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة إليها :

وكم سقتنى المرأحت لها * فرحت أشكوها إلى التاليه

فأسلمتنى هذه عنوة * لساعة أخرى وبى مايسيه

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة أيضا :

فتشت فيها جاهدا لم أجد * هنيهة واحدة صافيه

وما زِلْتَ تَشْكُو الى أَنْ أَتَتْ * كما تَشْتَهِى ساعةٌ لَمْ تَفُرْ (١)

فلا صَدٌّ تَخشاه بَعْدَ الوِصال * ولا ضَعْفَ تَشْكُوه بَعْدَ الأَشَرْ (٢)

أَرِيحَ فُؤادُكَ مِمَّا ضَناه * وصَدْرُكَ مِمَّا عليه انْكَدَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَها خُطْوَةً للأَمام * تُفَرِّجُ عنكَ كُرُوبَ الغِيَرْ (٤)

وها قَدْ خَطاها ونِلْتَ المُنَى * فَهَلْ فى المَماتِ بُلُوغُ الوَطَرْ (٥)

صَدَقْتَ ففى المَوْتِ نَصْرُ الأَبِىّ * على الدَّهْرِ إنْ هُوَ يَوْماً غَدَرْ

مَلِلْتَ الثَّواءَ بدارِ الزَّوال * فماذا رَأَيْتَ بدارِ المَقَرْ (٦)

أَتَحْتَ التُّرابِ يُضَامُ الكَرِيم * ويَشْقَى الحَلِيمُ ويَخْفَى القَمَرْ؟

ويُهْضَمُ حَقُّ الأَدِيبِ الأَرِيب * ويُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيهِ الأَغَرّ؟ (٧)

أَتحتَ التُّرابِ تُساقُ الشُّعوب * بسَوْطِ العُبُودَةِ سَوْقَ البَقَرْ؟

ويُعْقَدُ مُؤْتَمَرٌ للسَّلام * فَنَخْرُجُ منه إلى مُؤْتَمَرْ؟

---

(١) ساعة لم تفر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت الى قول الفقيد فى آخر مقطوعة الساعة :

ياشاكى الساعات أسمع عنى * تنبيك منها الساعة الماضيه

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر انما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه انكدر، أى مما انصبّ عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان وغوائله . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى قول الفقيد :

يامـــوت هأنـــذا نفذ * ما أبقت الأيام مـــنى

بينى وبينـــك خطـــوة * إن تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الثواء : الإقامة .

(٧) الأديب : العاقل الفطن .

فإنْ كان ما عِنْدَنا عِنْدَكُمْ * فليسَ لنا مِنْ شَقاء مَفَرّ
خِضَمُّ الحَياةِ بَعِيدُ النَّجاة * فطُوبَى لراكِبِه إنْ عَبَرْ[1]
فَعُدْ سالِمًا غانِمًا للتّراب * كَرَأْيِكَ في الموتِ والهَنَأُ وَقَرّ

رثاء سعيد زغلول[2]

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت في ٢١ يوليه سنة ١٩٢٣ م]

ما أنتَ أوّل كَوْكَب * في الغَرْب أدْرَكَه المَغِيبْ
فهُناكَ أقمارُ المَشا * رِقِ قد أُتيحَ لها الغُرُوب
داسَ الحِمامُ عَرِينَ خا * لِكَ، وهو مَرْهُوبٌ مَهِيب[3]
لَمْ يَثْنِهِ عَنْكَ الرَّئِيـ * ـسُ ولا رَمَى عَنْكَ الخُطُوب[4]
يا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيـ * ـدٌ) وهْوَ مِنْ (سَعْدٍ) قَرِيب؟

---

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول في ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرج في مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطاني في أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد إلى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا في محكمة الزقازيق . ولما سُمّ خاله الوعدة ، وكان إذ ذاك منفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه في جبل طارق ، وصحبه في سفره بعد ذلك إلى أوربا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ؛ وكانت وفاته في ١٠ يوليه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوربا الى مصر . (٣) العرين : مأوى الأسد . (٤) لم يثنه : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصري المرحوم سعد زغلول باشا .

عَجَـــبًا ! أتَحْمِى أُمَّـــةً * وتَخَـافُ جانِبَكَ الخُطُوبْ (١)

ويُقَالُ ضَـيْفُكَ وابنُ أُخْـ * ـتِكَ وهْوَ عَنْ (مِصْرٍ) غَرِيبْ ؟

نُبِّئْتُ أنَّكَ قـــد بَكَيْـ * ـتَ وهالَكَ اليَوْمُ العَصِيبْ

واذا بَكَى (سَـعْدٌ) بَكَتْ * لُبكائِهِ مِنَّـا القُـلُوبْ

يا (آلَ زُغْـلُولٍ) ذَوَى (٢) * مِنْ رَوْضِكُمْ غُصْنٌ رَطِيبْ

فَقَـدَتْ بِهِ (مِصْرٌ) فَتًى * أخْلاقُـهُ مِسْـكٌ وطِيبْ

يا (آلَ زُغْـلُولٍ) وَعُو * دُكُمُ عـلى الجُـلِّ (٣) صَلِيبْ

إنِّى لأُجْمِلُ أنْ أُعَـزِّيَـكُمْ وكُلُّكُمُ أرِيـبْ (٤)

شاكِى سِـلاحِ الصَّبرِ مُذْ * تَحَنُ لِدُنْيَـاهُ لَبِيبْ (٥)

خَطْبُ الكِنَانَةِ فى فَقِيـ * ـدِكُمُ لِخَطْبِكُمُ يُشِيبْ (٦)

لَمْ يَبْـقَ مِنَّـا واحِـدٌ * إلَّا لَـهُ مِنْـهُ نَصِيبْ

---

(١) يلاحظ أن فى هذا الشعر إيطاء، لتكرير لفظ «الخطوب» فى بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكى سلاح الصبر، أى متسلح بالصبر، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «لخطبكم» ... الخ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصيبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباظه بك[1]

[فى سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلِيفِ الصِّبَا * لَمْ يَدْرِ ما أَبْدِى وما أُضْمِرُ

أَفْقَدَنِى المَوْتُ به وافِيًا * لا يَعْرِفُ الخَتْلَ ولا يَغْدِرُ[2]

تَقْرَأُ فى عَيْنَيْهِ كُلَّ الذَّى * فى نَفْسِهِ عن نَفْسِهِ يَسْتُرُ

ثَلاثَةٌ لم تَعْرُ عَنْ عِفَّةٍ : * لِسانُهُ والذَّيْلُ والمِئْزَرُ[3]

قد كان مِئْلافًا لأَمْوالِهِ * وكان نَهَّاضًا بِمَنْ يَعْثُرُ

أَوْشَكَ أَن يُفْقِرَهُ جُودُهُ * ومِنْ صُنُوفِ الجُودِ ما يُفْقِرُ

أَصْبَحَ فيه المَجْدُ يَوْمَ انْطَوَى * والعُرْفُ والسائِلُ والمُعْسِرُ[4]

* * *

كُنَّا على عَهْدِ الصِّبا سَبْعَةً * بِمُسْتَطابِ اللَّهْوِ نَسْتَأْثِرُ

(البابِلِى) صَفْوَةُ فِتْيانِنا * و(ابنَ المُوَيْلِحِى) الكاتِبُ الأَشْهَرُ[5]

و(صادِقٌ) خِيرُ بَنِى (سَيِّدٍ) * و(بَيْرَمٌ) إِذْ عُودُهُ أَخْضَرُ

وكانَ (عَبْدُ اللهِ) أُنْسًا لَنا * وأُنْسُ (عَبْدِ اللهِ) لا يُنْكَرُ

لَهُ كَرِيمٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ * رِجْسٌ ولَمْ يَشْهَدْهُ مُسْتَهْتِرُ[6]

---

(١) محمد سليمان أباظه بك ، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم فى مدرسة البوليس ثم كان ضابطا الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالته لمصلحة الأملاك وتوفى سنه ١٩٢٣ م .

(٢) الختل : الخداع . (٣) المئزر : الازار . وعفة المئزر : كناية عن عفة صاحبه . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابلى والمويلحى (فى الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

فكم لنا مِنْ مَجْلِسٍ طَيِّبٍ * يَشْتاقُهُ (هارُون) أو (جَعْفَرُ)[1]
تَلْعَبُ باللَّفْظِ كما تَشْتَهِى * وتُضْمِرُ المَعْنَى فما يَظْهَرُ
وتُرْسِلُ النُّكْتَةَ مَحْبُوكَةً * عَنْ غَيْرِنا فى الحُسْنِ لا تَصْدُرُ
ثم انْطَوَى هٰذا وهٰذا وما * يُطْوَى مِن الأيّام لا يُنْشَرُ
كم دَوْحَةٍ أوْدَى بها عاصِفٌ * والنَّجْمُ مِنْ مَأْمَنِهِ يَنْظُرُ[2]

ذكرى المرحوم محمد أبى شادى[3] بك

عَجِبْتُ أنْ جَعَلُوا يَوْماً لِذِكْراكا * كأنَّنا قد نَسِينا يومَ مَنْعاكا
إذا سَلَتْ (يا أبا شَادِى) مُطَوَّقَةٌ[4] * ذِكْرَ الحَمِيلِ فَثِقْ أنّا سَلَوْناكا
فى مُهْجَةِ (النِّيلِ) والوادِى وساكِنِه * رَجْعٌ لصَوْتِكَ مَوْصُولٌ بِذِكْراكا
قد عِشْتَ فِينا نَمِيرًا طابَ مَوْرِدُه[5] * أسْمَى سَجايَا الفَتَى أدْنَى سَجايَاكا[6]

---

(١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكى وزيره، وقد توفى جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة.

(٣) كان المرحوم محمد أبو شادى بك علما من أعلام المحاماة وإليه انتهت رآسة نقابة المحامين حينا من الزمن كما كان صحفيا مبرزا وأنشأ صحيفة يومية سماها «الظاهر» وانتخب عضوا فى مجلس النواب وتوفى فى ٣٠ يونية سنة ١٩٢٥ م.

(٤) المطوقة: الحمامة، لما يحيط بعنقها من لون يخالف سائر لونها. والهديل: زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون: ما من حمامة إلا وهى تبكى عليه.

(٥) رجع الصوت: صداه.

(٦) النمير: الماء الناجع فى الرى. ويريد بقوله «أسمى سجايا» = أن أعلى ما يحلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تحلى به من شيم ومكارم.

فما كأولاكَ فى بِرٍّ وفى كرمٍ * أولَى كريمٍ، ولا عُقْبَى كعُقْبَاكا

قضيةُ الوَطَنِ المَغْبُونِ، قد مَلأَتْ * أَلْحاءَ نَفسِكَ شُغْلًا عن قضاياكا

أَبْلَيْتَ فيها بَلاءَ المُخْلِصين لها * وكان سَهْمُكَ أَنّى رِشْتَ فتّاكا (١)

أَجْمَلْتَ ما فَصَّلُوه فى قصائدِهِمْ * حتّى لقد نَضَّرُوا بالحَمْدِ مَثْواكا (٢)

لَمْ يُبْقِ لى قِيدَ شِبْرٍ صاحِباىَ ولَمْ * يَفْسَحْ لىَ القَوْلَ لا هٰذا ولا ذاكا

يَا مُدمِنَ الذِّكرِ والتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا * هٰأَنْتَ فى الخُلْدِ قد جَاوَرْتَ مَوْلاكا

لو لم يَكُنْ لكَ فى دُنْياكَ مَفْخَرَةٌ * سِوَى (زَكِىٍّ) لقد جَمَّلْتَ دُنْيَاكا (٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبين الفقيد فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إيهٍ يا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ المُصابَا * كيف يَنْصَبُّ فى النُّفُوسِ انصِبابا؟

بَلِّغِ المَشْرِقَيْنِ قَبْلَ انْبِلاجِ الصُّـ * ـبْحِ أَنَّ الرئيسَ وَلَّى وَغابَا (٤)

وَأَنَخَ للنَّيِّراتِ (سَعْدًا) فَـ (سَعْدٌ) * كان أَمْضَى فى الأرضِ منها شِهابا

قُدَّ يا لَيْلُ مِنْ سَوادِكَ ثَوْبًا * للدَّرارِى وللضُّحَى جِلْبابا (٥)

---

(١) راش السهم يريشه، اذا ألصق به الريش ليكون أسرع فى مضيه .

(٢) نضروا، من النضرة، وهى الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « بزكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى، ابن الفقيد .

(٤) انبلاج الصبح : إشراقه . (٥) قد : اقطع . والدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر)، الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

أنُسِيجُ الحـالِكاتِ مِنـــكَ ثِيـابًا * وأحبُّ شمسَ النَّهارِ ذاكَ النِّقـابا (١)

قُل لَهَا: غابَ كوكبُ الأرْضِ فى الأر * ـضِ فنِيبِى عن السَّـــماءِ احتِجابا

والبَسِينِي عليـــه ثَـــوْبَ حِـــدادٍ * وآجلِسِى للعَـــزاءِ فالحُزْنُ طابَا

أين (سَعْدٌ)؟ فذَاكَ أوّلُ حَفْـلٍ * غابَ عَنْ صَـدْرِه وعافَ الخِـطابا (٢)

لَمْ يُعَـــوِّدْ جُنـــودَه يومَ خَطْبٍ * أنْ يُنـادَى فلا يَرُدُّ الجَـوابا

عَـلَّ أمْرًا قـد عاقَه، عَلَّ سُـــقْمًا * قـــد عَراهُ، لقـــد أطالَ الغِيابا (٣)

أيْ جُنُـــودَ الرئيسِ نادُوا جِهـارًا * فإذا لَمْ يُجِبْ فشُـــقُّوا الثِّـيابا

إنّهـا النَّكْبَةُ الّتى كنتُ أخْشَى * إنهـا الساعـــةُ الّتى كنتُ آبَى (٤)

إنّهـا اللَّفظةُ الّتى تَنْسِـــفُ الأزْ * ـفُسَ نَسْـفًا وتَفْقِـــرُ الأصْـــلابا (٥)

ماتَ (سَعْدٌ)، لا كنتِ يا (ماتَ سَعْدٌ) * أيّهاتًا مَسْـــمُومَةً أمْ حِـــرابا

كيف أقْصَدْتِ كلَّ حَيٍّ على الأر * ـضِ وأحْدَثْتِ فى الوُجُودِ انقِـلابا؟ (٦)

حَسْـــرَةٌ عنـــد أنَّةٍ عنـــد آهٍ * تحتَهـا زَفْـــرَةٌ تُذِيبُ الصِّـــلابا (٧)

قُل لِمَنْ باتَ فى (فَلَسْطِينَ) يَبْكِى * إنّ زِلْزالَنـا أجَـــلُّ مُصَـابا (٨)

---

(١) يقال: حباه كذا وبكذا يحبوه، إذا أعطاه إياه. (٢) عاف الشيء: كرهه وزهد فيه.
(٣) عراه: أصابه. (٤) آبى، أى أكره. (٥) يريد باللفظة: (مات سعد) الواردة فى البيت التالى. والأصلاب: عظام فى الظهر ذات فقار من لدن الكاهل الى العجب. وتفقرها، أى تصيب هذه الفقار فتكسرها. (٦) أقصده: أصاب مقتله. (٧) الصلاب، أى الحجارة الصلبة. (٨) يشير الى زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٧ م، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية، فدمر كثيرا من الدور، وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس، وقد تبرع الفقيد لمنكوبى هذا الزلزال بمئة جنيه.

قد دُهِيتُمْ فى نُورِكُمْ ودُهِينا * فى نُفُوسٍ أَبَيْنَ إلّا احتِسابا (١)

فَفَقَدْتُمْ على الحَوادِثِ جَفْنًا * وفَقَدْنَا المُهَنَّدَ القِرْضابا (٢)

سَلَّهُ رَبُّه زَمانًا فأَبْلَى * ثمّ نادَاهُ رَبُّه فأَجابا (٣)

قَدَرٌ شاءَ أَنْ يُزَلْزِلَ (مِصْرًا) * فتَعَالَى فَزَلْزَلَ الأَلْبابا

طاحَ بالرَّأْسِ مِنْ رِجالاتِ (مِصْرٍ) * وتَخَطَّى التُّخُومَ والأَوْشابا (٤)

والمَقادِيرُ إنْ رَمَتْ لا تُبالِي * أَرُءوسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنابا

خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ نَعْشًا * قد حَوَى أُمَّةً وبَحْرًا عُبابا

حَمَلُوه على المَدافِعِ لَمّا * أَعْجَزَ الهامَ حَمْلُه والرِّقابا

حالَ لَوْنُ الأَصِيلِ والدَّمْعُ يَجْرِى * شَفَقًا سائِلًا وصُبْحًا مُذابا (٥)

وسَهَا النِّيلُ عَنْ سُراهُ ذُهُولًا * حِينَ أَلْقَى الجُمُوعَ تَبْكِى انتِحابا

ظَنَّ يا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجانًا * فَرَأَى مَأْتَمًا وحَشْدًا مُجابا

لَمْ تُسُقْ مِثْلَه قَراعِينُ (مِصْرٍ) * يومَ كانوا لأَهْلِها أَرْبابا (٦)

---

(١) احتسابا ؛ أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب وآحتمالها له فيما يدخرها عند الله .

(٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقرضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالزلزال بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف . (٣) سله : ذهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والتخوت : السفلة . والأوشاب : الأخلاط من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التى كانت تجرى دما ؛ فكانت كأنها شفق سائل ؛ أو صبح مذاب ؛ وفى لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته .

(٦) مثله ؛ أى مثل هذا الحشد .

خَضَبَ الشَّيبُ شَيْبَهُـــم بسَـــوادٍ * وعَـا البِيضُ يومَ مِتِّ الخضـابا (١)

واستَهَلَّت سُحُبُ البُكاءِ على الوا * دِى فغطَّتْ خَضْـــراءَه وآليَـابا (٢)

ساقَت (التِّيمسُ) العَـــزاءَ إلَينـا * وتَوَشَّحْتُ فِى مَـــنِحكَ الإنسهـابا (٣)

لَم يَنُـــخ جازِعٌ عليكَ كما نا * حَتْ ولا أطنَبَ الحُبُّ وحابَى

وأعرافُ (التَّامِيزِ) يا (سَعْدُ) مِقيَـا * سٌ لِمـا نالَ نِيـــلَنا وأصـابَا (٤)

يا كبيرَ الفُـــؤادِ والنفسِ والآ * مالِ أينَ ٱعـــتَرَمْتَ عنّا الذِّهابا؟

كيفَ نَنسَى مَواقِفًا لكَ فِينـا * كنتَ فيهـا المَهيبَ لا ألمَيَـابا؟

كنتَ فى مَيْعَـةِ الشَّبابِ حُسَـامًا * زادَ صَـقْلًا فِرِنْدُه حِينَ شَـابا (٥)

لَم يُنـازِلْكَ قارِحُ القَـــوْمِ إلّا * كنتَ أقْـوَى يَدًا وأعْلَى جَنـابا (٦)

عِظَـــمٌ لوحَـــواهُ (كِسْرَى أنُو شر * وانَ) يوما لَضَـاقَ عنـه إهابا (٧)

ومَضَـاءٌ يُرِيـــكَ حَـــدَّ قَضـاءِ اللهِ يَفْـــرِى مَتْنًا ويَحْطِـــمُ نابـــا (٨)

---

(١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد .

(٢) يقال : استهل المطر، اذا أنهل واشتد انصبابه . والياب : القفر .

(٣) التيمس : بريدة انجليزية معروفة .

(٤) التامير : نهر فى جنوب انجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهليها .

(٥) ميعة الشباب : أوله . وفرند السيف : رشيه وجوهره .

(٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح فى الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تتم فى خمس سنين .

(٧) كسرى أنو شروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السمو والعظم .

(٨) يفرى المتن، أى يقصم الظهر . ويحطم الناب : يكسره .

قد تحدّيْتَ قُوَّةً تملأ المعـ * ـمورَ مِنْ هولِ بطشِها إرهابا (١)

تملكُ البرَّ والبحارَ وتمشي * فوقَ هامِ الورى وتجبي السحابا (٢)

لم يُنَهْنِهْ مِنْ عزمِكَ السَّجنُ والنفـ * ـيُ وساجلتَهَا (بمصرَ) الضِّرابا (٣)

سائلُوا (سيشلاً) أأوجسَ خوفًا * وسَلُوا (طارقًا) أرامَ انسحابا؟ (٤)

عزمةٌ لا يَصُدُّها عَنْ مَداها * ما يَصُدُّ السُّيولَ تَغْشَى الهضابا

ليتَ (سعدًا) أقامَ حتى يرانا * كيفَ نُعلي على الأساسِ القِبابا

قد كشفنا بهَدْيِهِ كلَّ خافٍ * وحسبْنا لكلِّ شيءٍ حسابا

نُجَسِّمُ المُبْطِلين تمضي سراعًا * مثلَما تُطْلِعُ الكؤوسُ الحبابا

حينَ قال : (انتهيتُ) قُلْنا بَدَأْنا * نَحْمِلُ العِبْءَ وَحْدَنا والصِّعابا (٥)

فاحْجُبوا الشمسَ وأحبِسُوا الرَّوْحَ عنّا * وأمنعُونا طعامَنا والشرابا (٦)

واستَشِفُّوا يقينَنا رَغْمَ ما نَلْـ * ـقَى فهَلْ تَلْمَحُون فيه ارتيابا؟ (٧)

---

(١) يريد «بالقوة» : قوة الإنجليز . (٢) هام الورى : رءوسهم ، الواحدة هامة . ويريد بقوله « وتجبي السحابا » أن هذه الدولة لها ملك واسع ، فحيث أمطر السحاب وأخرج زرعا كان ما يجبى من هذا الزرع لدولة الانجليز ، وهو اشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة فى الأفق فقال : امطرى حيث تمطرين فانه ما تخرجيه من الزرع تجبى ثمراته الينا . (٣) لم ينهنه ، أى لم يثنه عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا ، أى حاربت هذه القوة كما حاربتك . (٤) سيشل : جزيرة انجليزية فى المحيط الهندى تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر ، وقد نفى اليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١ م ثم نقل من سيشل الى جبل طارق ، لأن جو سيشل أضر به . (٥) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : « أنا انتهيت » ، والى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح : نسيم الريح .

(٧) استشف الشيء : تبينه من وراء حجاب . يقول فى هذا البيت والذى قبله مخاطبا الانجليز : إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لا نرتاب فيه ولا يزعزعنا عنه مزعزع .

قـد ملكتُمْ فَـمَ السَّـبيلِ عَلَيْنـا * وفتحـتُمْ لـكلِّ شَـعْواءَ بابَا (١)

وأتيتُمْ بالحـائماتِ تَـراءَى * تحمِـلُ الموتَ جائمًا والخَـرابا (٢)

وملأتُمْ جَـوانبَ النِّيـلِ وَعْـدًا * ووَعيـدًا ورَحْمَـةً وعَـذابا

هـل ظَفِـرتُمْ مِنّـا بقَلْبٍ أبيٍّ * أو رأيتُمْ مِنّـا إليكُمْ مَتابا (٣)

لاتقُـولوا خَـلَا العَـرينُ ففيـه * ألْفُ لَبْثٍ إذا العَرينُ أهـابا (٤)

فاجمَعُوا كَيْدَكُمْ وروعُوا حِماها * إنّ عِنـدَ العَرينِ أُسْـدًا غِضابا (٥)

جَـزِعَ الشَّـرْقُ كلُّـه لعَظِـيمٍ * مَـلأَ الشَّـرْقَ كلَّـه إعْجابَا

عَـلَمَ (الشامَ) و (العراقَ) و (نجْدًا) * كيف يُحْمَى الحِمَى إذا الخَطْبُ نابا

جَمَعَ الحـقَّ كلَّـه فى كِتابٍ * واسـتثارَ الأُسُـودَ غابًا فغابا (٦)

ومَشى يَحْمِـلُ اللِّـواءَ إلى الحَـ ـقِّ ويَتْـلُو فى النّاسِ ذاكَ الكِتابا

كلّما أسْـدَلُوا عليـه حِجابًا * مِـنْ ظَـلامٍ أزالَ ذلكَ الحِجابا

واقِفٌ فى سَبيلِهِـمْ أينَ سارُوا * عالِـمٌ بأحْبِـالِهِمْ أينَ جَـابا (٧)

(١) الشعواء : الغارة المنتشرة . (٢) يريد «بالحائمات» : الطائرات .

(٣) المتاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغتم فى تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلبا أبيا من قلوبنا ، أرأن تجدوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه وخوّفه . والضمير فى «حماها» لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها فى نهضتها والذود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

أىُّ مَكْرٍ يَدِقُّ عَنْ ذِهْنِ (سَعْدٍ) * أىُّ خَتْلٍ يُرِيغُ مِنْهُ اضْطِرابا؟ (١)

شاعَ فى نَفْسِهِ اليَقِينُ فَوَقَّا * هُ بِهِ اللّٰهُ عَثْرَةً أَوْ تَبَابا (٢)

عَجَزَتْ حِيلَةُ الشِّبَاكِ وكانَ الـ * ـشَّرَكُ للصَّيْدِ مُغْنِمًا مُسْتَطَابا

كُلَّمَا أَحْكَمُوا بِأَرْضِكَ فَخًّا * مِنْ فِخَاخِ الدَّهَاءِ خَابُوا وَخَابَا

أَوْ أَطَارُوا الحَمَامَ يَوْمًا لِزَجْلٍ * فَابْتَلُوا مِنْكَ فى السَّمَاءِ عُقَابَا (٣)

تَقْتُلُ الدَّسَّ بِالصَّرَاحَةِ قَتْلًا * وَتُسَقِّى مُنَافِقَ القَوْمِ صَابَا (٤)

وَتَرَى الصِّدْقَ والصَّرَاحَةَ دِينًا * لا يَرَاهُ المُخَالِفُونَ صَوَابَا

تَعْشَقُ الجَوَّ صَافِىَ اللَّوْنِ صَحْوًا * والمُضِلُّونَ يَعْشَقُونَ الضَّبَابَا (٥)

أَنْتَ أَوْرَدْتَنَا مِنَ المَاءِ عَذْبًا * وَأَرَاهُمْ قَدْ أَوْرَدُونَا السَّرَابَا

قَدْ جَمَعْتَ الأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفًّا * وَنَظَمْتَ الشُّيُوخَ والنُّوَّابَا

وَمَلَكْتَ الزِّمَامَ وَاحْتَطْتَ لِلغَيْـ * ـبِ وَأَدْرَكْتَ بِالأَنَاةِ الطِّلَابَا (٦)

ثُمَّ خَلَّفْتَ بِالكِنَانَةِ أَبْطَا * لًا كُهُولًا أَعِزَّةً وَشَبَابَا

---

(١) يدق : يخفى . والختل : الخداع . ويريغ منه : يريده على الاضطراب والخوف .

(٢) وقاه : حفظه . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السعى لبث أخبار السوء وإضرام الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .

(٤) تسق (بالتشديد) : تسق (بالتخفيف) ، وشدد للمبالغة . والصاب : عصارة شجر مر .

(٥) شبه فى هذا البيت الصراحة فى القول بصحو الجو وصفائه ، والنفاق بظلمة الغيم والضباب .

(٦) الأناة : التأنى .

قد مَشَى جَمْعُهُمْ إلى المَقْصِدِ الأَسْـ * ـمَى يُغِذُّونَ لِلوُصُولِ الرِّكابا (١)

يَبْتَنُونَ العُلَا يَشِيدُونَ مَجْدًا * يُسْعِدُون البَنِينَ والأَعْقَابا

قد بَلَوْنَاكَ قاضِيًا ووَزِيرًا * ورَئِيسًا ومِدْرَهًا خَلَّابا (٢)

فوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيـ * ـكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا عَلَّابا

لَمْ يَنَلْ حاسِدُوكَ منكَ مُنَاهُمْ * لا ولَمْ يُلْصِقُوا بِعَلْيَاكَ عابَا (٣)

ثُمَّ هَنِيئًا فقد سَهِدْتَ طَوِيلًا * وسَئِمْتَ السِّقامَ والأَوْصابا (٤)

كم شَكَوْتَ السُّهادَ لِي يومَ كُنَّا * بِالبَسَاتِينِ نَسْتَعِيدُ الشَّبابا (٥)

تَنْهَبُ اللَّهْوَ غافِلَيْنِ وكُنَّا * نَحْسَبُ الدَّهْرَ قد أَنَابَ وتَابا

فإذا الرُّزْءُ كان مِنَّا بِمَرْمَى * وإذا حَتْمُ الرَّدَى كان قَابا (٦)

حَرَمَتْنَا المَنُونُ ذَيَّاكَ الوَجْـ * ـهَ وذاكَ الحِمَى وتِلْكَ الرِّحابا

وعَجَايَا لَهُنَّ فى النَّفْسِ رَوْح * يَعْدِلُ الفَوْزَ والدُّعاءَ المُجابا

كم وَرَدْنَا مَوارِدَ الأُنْسِ منها * ورَشَفْنَا سُلافَها والرُّضابا (٧)

ومَرِحْنَا فى سَاحِها فَنَسِينَا الـ * ـأَهْلَ والأَصْدِقاءَ والأَحْبابا

---

(١) يقال : أغذ فلان السير وفى السير ، إذا أسرع .

(٢) بلوناك ، أى اختبرناك . والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق فى هذا العصر على المحامى .

(٣) العاب : العيب .

(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة .

(٥) يريد «بالبساتين» : بساتين فتح الله بركات باشا التى تقع قريبة من مدينة بلبيس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .

(٦) قابا ، أى قريبا .

(٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل العصر ، وهو أجود الخمر . والرضاب : لعاب العسل .

ثم وَلّت بَشاشَـةُ العَيْشِ عنّـا * حِينَ سـارُوا فوَسَّـدُوك الثَّرابا
خِفْتَ فينا مَقـامَ رَبِّـكَ حَيًّـا * فَتَنَظَّـرْ بِجَنَّتَيْـهِ الثَّـوابا (١)

رثاء أمين (٢) الرافعى بك

أنشدها فى الحفل الذى أقامه الحزب الوطنى لذكرى الشهداء فى ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أَمَا (أَمِينُ) فقد ذُقْنَا لمَصْرَعِه * وخَطْبِه مِنْ صُنُوفِ الحُزْنِ أَلْوانا
لَمْ تُنْسِنا ذِكْرَهُ الدُّنيا وإنْ نَسَجَتْ * للرّاحِلِين مِنَ النِّسْيانِ أكْفانا
مَضَى نَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبا (٣) * فهَـدَّ مِنْ دَوْلَةِ الأَخْلاقِ أَرْكانا
جَرَتْ على سَـنَنِ التَّوحِيدِ نَشْأَتُه (٤) * فى اللهِ والرأْيِ إخْلاصًا وإيمـانا
لَمْ يَلْوِهِ المـالُ عَنْ رَأْيٍ يَدِينُ به * (ولو حَمَلْتَ إليـه الدَّهْرَ مَلّانا) (٥)
ولَمْ يَلِنْ عُودُه للخَطْبِ يُرْهِقُـه * قَسَـا عليه شَـدِيدُ العَيْشِ أَمْ لانا (٦)
ظُـلْمٌ مِن القَبْرِ أن تَبْـلى أنامِـلُه * فكَمْ رَمَتْ فى سبيلِ اللهِ مَنْ خانا

(١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان» .

(٢) ولد المرحوم أمين الرافعى بك فى ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفى فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسى المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له فى النهضة القومية مواقف مشهودة .

(٣) محتسبا ، أى مدخرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .

(٥) لم يلوه ، أى لم يصرفه . والشطر الثانى عجز بيت الثانى من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ، وصدره : «ولا أمر بما غيرى الحميد به» ومطلعها :

قـد علم البين منا البين أجفـانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

كانت مَطِيَّـةَ سَـبّاقٍ جَوانِبُـه * يُرْوِيكَ فَيّاضُها صِـدْقًا وعِرْفانا (١)

عِشرونَ ماماً على الطِّرْسِ الطُّهورِ جَرَى * ما خَطَّ فاحِشَـةً أو خَطَّ بُهْتـانا

يَحُولُ بينَ رِياضِ الفِـكْرِ مُقْتَطِفا * مِنْ طِيبِ مَغْرِسِها وَرْدًا وَرَيْحانا

فَيَنْشَقُّ الذِّهْنُ مِنْ أسْطارِه أَرَجًا * وتُبْصِرُ العَيْنُ فَوقَ الطِّرْسِ بُسْتانا (٢)

(أَمِينُ) فارَقْتَنا فى حِينِ حاجَتِنا * إلى فَتًى لا يَرَى لِلْمالِ سُـلْطانا

إلى أَمِينٍ عـلى أَوْطانِه يَقِـظٍ * ذِى مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الخَطْبَ جَـذْلانا (٣)

أَيَلْبَسُ الحُـزْنَ مَنْ لانَتْ مَهَزَّتُه * وأنتَ تَخْـرُجُ مِنْ دُنياكَ عُرْيانا؟ (٤)

إنَّ القَناعَةَ كَنْزٌ كنتَ حارِسَه * تَرَى به القُوتَ يا قُـوتًا ومَرْجانا (٥)

فما سَعَيْتَ لِغَيْرِ الحَمْدِ تَكْسِبُه * ولا رَضِيتَ لِغَـيرِ الحَـقِّ إذْعانا

أَوْدَى بكَ (السُّكَّرُ) المُضْنِى ولا عَجَبٌ * أَنْ يُورِثَ الحُلْوُ مُرَّ العَيْشِ أحْيانا (٦)

ما هانَ خَطْبُكَ والأخْلاقُ واهِلَةٌ * تَبْكِى عَلَيكَ إذا خَطْبُ أمرِئٍ هانا (٧)

(أَمِينُ) حَسْبُكَ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فأنتَ أَرْجَحُنـا فى الحَشْرِ مِـيزانا

---

(١) يريد «بالسباق» : القلم . ويريد «بجوانبه» شقيه . وفياضها : أى التى تفيض بالمعانى والأفكار .

(٢) أرج الزهر : نفحته وطيب ريحه . والطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المرة : القوة والشدة . والجذلان : الفرح (بكسر الراء) . (٤) اللز : الحرير . ومن لانت مهزته ، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه ، وكان لينا لتاصب وعثه .

(٥) يريد بقوله : «ترى به القوت ...» الخ : أنه يكفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يعدل الياقوت والمرجان فى نفاستهما ، فلا يمتد طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه . (٦) أودى به : ذهب به وأهلكه . والسكر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيد . (٧) واهلة : حزينة .

آنِسْ فإنَّكَ فى أُخْـراكَ أَسْعَدُنا * حَظًّا وإنْ كُنْتَ فى دُنْياكَ أَشْقانا
بَلِّغْ تَلاثَتَكُمْ عنّا تَحِيَّتَنا * وأَذْكِرْهُمُ ما يُعانِى قَوْمُنا الآنا (١)
وأَضْرَعْ الى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُبْتَهِلًا * أنْ يَحْرُسَ النِّيلَ ممّن رامَ طُغْيانا

رثاء الدكتور يعقوب صروف (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبْكِى وعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِى مَعِى * على الأَرِيبِ الكاتِبِ الأَلْمَعِى (٣)
جَرَى عَصِىُّ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فـزادَ فى الجُـودِ على الطَّبْعِ (٤)
نَقْصٌ بنِ الشَّرْقِ ومِنْ زَهْـوِهِ * فَقْـدُ اليَراعِ المُعْجِزِ المُبْـدِعِ (٥)
ليس لِمِصْـرٍ فى رِجـالاتِهـا * حَـظٌّ ولا للشامِ فى أَرْوَعِ (٦)
مُصابُ (صَرُّوفٍ) مُصابُ النُّهَى * فلْيَبْكِهِ كلُّ فـؤادٍ يَـعِى (٧)
كُرِّمَ بالأَمْسِ وأَكْفانُـه * تَنْسُجُها الأَقْـدارُ للمَصْـرَعِ (٨)
يا صـائِـغَ الدُّرِّ لِتَكْرِيمِـه * صُغْهُ لِمَنْعـاهُ مِنَ الأَدْمُعِ

(١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعلى فهمى كامل .
(٢) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .
(٣) الأريب : العاقل . والألمعى : الذكى المتوقد . (٤) يريد «بعصى الدمع» : الدمع الذى يمتنع عند نزول المصائب مزة رائقة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأروع : الشهم الذكى الفؤاد . (٧) يعى : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» : الى الاحتفال باليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى أقيم فى سنة ١٩٢٧ م ، وأنشد فيه حافظ قصيدة نشرت فى هذا الديوان .

قـــد زَيَّنَ العِـــلْمَ بأَخْـــلاقِه * فعـاشَ مِـلْءَ العَيْنِ والمِسْمعِ

تَواضُـــعٌ والكِبْرُ دَأْبُ الفَـــتَى * خَلَا مِنَ الفَضْـــلِ فلَمْ يَنْفَعِ

تَواضُـــعُ العِـــلْمِ له رَوْعَـــةٌ * يَنْهَـار منها صَلَفُ المُـــدَّعِي (1)

وحُـــلَّةُ الفَضْـــلِ لها شارَةٌ * أَزْهَى مِن السَّـــيْفَيْنِ والمِـــدْفَعِ

يُشْبِـعُ مَنْ حَصَّـلَ مِنْ عِلْمِـهِ * وهـو مِنَ التَّحْصِـيلِ لَمْ يَشْبَعِ

مُبَـكِّرٌ تَحْسَـبُهُ طالِبًـا * يُسـابِقُ الفَجْـرَ إلى المَطْلَـعِ

قـد غَالَت الأَسْـقامُ أَضْـلاعَهُ * والرَّأْسُ فى شُـغْلٍ عن الأَضْلُـعِ

ماتَ وفى أَنْمُـلِهِ صـارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فى الضَّرْبِ عن المَقْطَعِ (2)

صاحَبَـه تَحْسِينَ عامًا فلَمْ * يَخُنْ له عَهْـدًا ولَمْ يَخْـدَعِ

مُوَفِّقًـا أَنَّى جَـرَى مُلْهَمًـا * ما ضَلَّ فى الوِرْدِ عن المَشْرَعِ (3)

لَمْ يَـبْرِه بارٍ سِـوَى رَبِّـه * ولَمْ يَحُـزْهُ جاهِـلٌ أَو دَعِى (4)

فى النَّقْـلِ والتَّصْنِيفِ أَرْبَى على * مَدَى (ابنِ بَحْرٍ) ومَدَى (الأَصْمَعِى) (5)

(1) الصلف : الكبر. (2) شبه القلم بالصارم ، وهو السيف . ونبا السيف عن الضربة ينبو : كل وارتدعنها . (3) المشرع : المورد الذى يستقى منه . (4) خفف الياء فى «دعى» لضرورة القافية .

(5) يريد «بالنقل» : ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية ، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء فى هذا الباب . وابن بحر ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالقايج النصفى سنة ٢٥٥ هـ ، ولد بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة ، وتخرج فى علم الكلام على أبى إسحاق النظام ، ونصر مذهب الاعتزال . ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام . والأصمعى ، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها ، وأكثر الخروج الى البادية ، وشافه الأعراب برسا كنهم ، وكان من ندماء الخليفة الرشيد ، وتوفى فى سنة ٢١٦ هـ ، وأكثر مؤلفاته فى اللغة .

أَىُّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ * وَأَىُّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْرَعِ

يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ * كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْأَيْنَعِ (١)

فَتَحْسَبُ الْقُرَّاءَ فِى جَنَّةٍ * عُقُولُهُمْ فِى رَوْضِهَا تَرْتَعِى

(صَرُّوفُ) لَا تَبْعَدْ فَلَسْتَ الَّذِى * يَطْوِيهِ طَاوِى ذَلِكَ الْمَضْجَعِ

أَسْكَتَكَ الْمَوْتُ وَلَكِنَّهُ * لَمْ يُسْكِتِ الْآثَارَ فِى الْمَجْمَعِ

ذِكْرَاكَ لَا تَنْفَكُّ مَوْصُولَةً * فِى مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِى الْمَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه فى يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لَعِبَ الْبِلَى بِمَلَاعِبِ الْأَلْبَابِ * وَمَحَا بَشَاشَةَ ثَغْرِكَ الْخَلَّابِ (٣)

وَطَوَى الرَّدَى (عَمْرَو) الْكِنَانَةِ غَافِلًا * وَرَمَى شِهَابَ دَهَائِهِ بِشِهَابِ (٤)

(١) لا يعفو عن الأينع ، أى لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا ، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا ، من كبار رجال مصر فى عصره . ولد ثروت باشا فى سنة ١٨٧٣ م ، وبعد أن تعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية ، وهو أول مصرى تولى منصب النيابة العمومية ، وتولى رآسة الوزارة فى سنة ١٩٢٢ م ، وتم فى عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها . ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية ، ثم اعتزل السياسة أخيرا ، وسافر الى باريس للاستشفاء بها ، فتوفى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سؤاس مصر المعترف بحذقهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم . (٣) يريد «بملاعب الألباب» : وصف الفقيد بسحر المنطق . وفى كتب اللغة أن ميم الفم تشدد فى الشعر كما هنا . (٤) يريد بقوله «عمرو الكنانة» : تشبيه الفقيد بعمرو بن العاص المخزومى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وكان معروفا بالدهاء والكياسة والخروج من مآزق الأمور ، والقوة على مكايدة الخصوم ، وهو فاتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان أميرا عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وتوفى فى خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَن كانَ يَدْرِى يَوْمَ سافَرَ أنّه * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيَا بغَيْرِ إيابِ

حَزِنَتْ عليه عُقُولُنا وقُلُوبُنا * وبَكَتْ، وحُزْنُ العَقْلِ شَرُّ مُصابِ

القَلْبُ يُنْسِيهِ الغِيابُ أَلِيفَه * والعَقْلُ لا يُنْسِيه طُولُ غِيابِ

(١)
بالأَمْسِ ماتَ أَجَلُّنا وأَعَزُّنا * جاهًا وأَبْقانَا على الأَحْقابِ

(٢)
واليومَ قد غالَ الحِمامُ أَسَدَّنا * رَأْيًا فطاحَ بحِكمةٍ وصَوابِ

رَأْسٌ يُدَبِّرُ فى الخَفاءِ كأنّه * قَدَرٌ يُدَبِّرُ مِنْ وَراءِ حِجابِ

(٣)
حتّى اذا أَرْضَى النُّهَى وتَناسَقَتْ * آياتُه راعَ الوَرَى بعُجابِ

(٤)
يَمْشِى على سَنَنِ الهُجا مُتَمَهِّلًا * بَيْنَ العُداةِ الكُثْرِ والأَحْبابِ

(٥)
تَتَناثَرُ الأَقْوالُ عَنْ جَنَباتِه * مِنْ شانِئٍ ومُناصِرٍ ومُحابِى

(٦)
لا المَدْحُ يُغْرِيهِ ولا يُسْلِى بِهِ * عَنْ نَجْدِه المَرْسُومِ وَقْعُ سِبابِ

(٧)
حُلْوُ التَّواضُعِ لم يُخالِطْ نَفْسَه * زَهْوُ المُدِلِّ يُحاطُ بالإعْجابِ

(٨)
حُلْوُ الأَناةِ اذا يَسُوسُ وعِنْدَه * أنَّ التَّعَجُّلَ آفَةُ الأَقْطابِ

(٩)
حُلْوُ السُّكُوتِ كَكَوْكَبٍ مُتَأَلِّقٍ * واللَّيلُ ساجٍ أَسْوَدُ الجِلْبابِ

---

(١) يريد بقوله : «وأجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .

(٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتتابعت على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . وأالجا : العقل . والكثر : الكثيرة .

(٥) الشانئ : المبغض . (٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والنجد : الطريق البين الواضح ؛ قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأنى فى الأمر .

(٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِى السَّبِيلَ لسالِكِيه ولَمْ يَرِدْ * شُكْرًا ولَمْ يَعْمَلْ لنَيْلِ ثَواب

مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِه لَمْ يَعْرُه (١) * قَلَقُ الضَّعِيفِ وحَيْرَةُ المُرْتاب

يَزِنُ الأُمُورَ كأنَّما هُوَ صَيْرَفٌ * يَزِنُ النُّضارَ بِدِقَّةٍ وحِساب

ويَحُلُّ غامِضَها بثاقِبِ ذِهْنِه * حَلَّ الطَّبِيبِ عَاصِرَ الأَعْشاب

ويَقِيسُ شُقَّتَها بِمِقْياسِ النُّهَى (٢) * فتَرَى صَحِيحَ قِياسِ (الأَصْطُرْلاب)

مُتَبَسِّمٌ وعلى مَعارِفِ وَجْهِه (٣) * آياتُ ما يَلْقَى مِنَ الأَوْصاب

شِيَمٌ تَرُدُّ النَّاقِمِينَ لِوُدِّه (٤) * وشَمائِلٌ تَسْتَلُّ حِقْدَ النَّابِي

يُرْضِى المُرَتِّلَ فى الكَنِيسَةِ صُنْعُه (٥) * كَيْسًا ويُرْضِى ساكِنَ المِحْراب

يَرْتاحُ للمَعْرُوفِ لا مُتَرَبِّحًا (٦) * فيه ولا هُوَ فى الجَمِيلِ مُرائِي

يُرْوِى الصَّدِيقَ مِنَ الوَفاءِ ولَمْ يَكُنْ * بالحاسِدِ النَّمِّى ولا المُغْتاب

لَمْ يَبْدُ فِينَا جازِعًا أو غاضِبًا (٧) * لَاهُمَّ إلَّا غَضْبَةَ النُّوَّاب

وبُكاؤُه فى يَوْمِ (سَعْدٍ) زادَنِى (٨) * عِلْمًا بأنَّ اليومَ يَوْمُ تَبابِ

---

(١) لم يعره، أى لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاسطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم، وهى كلمة يونانية الأصل . (٣) معارف الوجه : ملامحه وما يعرف به . والأوصاب : الأمراض، الواحد وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد الحقود المعرض عنه وتردّه الى مودّته . والنابى : المنصرف عنه . (٥) الكيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسته وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا متربحا، أى لا طالبا ربحا . (٧) لاهم، أى اللهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب لشخصه ولا يحزن لفقد فائته، وإنما يغضب غضبة النائب عن الأمة فى سبيل المصلحة العامة . (٨) التباب، الخسران .

قامَتْ صِعابٌ فى مَسالِكِ سَعْيِه * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِّمَتْ بِصِعاب (١)

فَظَهِيرُه عند النِّضالِ ورُكْنُه * أَمْسَى حَلِيفَ جَنادِلٍ وتُرابِ (٢)

لِلّه سِرٌّ فى بِنايَةِ (ثَرْوَتٍ) * سُبْحانَ بانِى هٰذه الأَعْصاب (٣)

إِنِّى سَأَلْتُ العارِفِين فلَمْ أَفُزْ * مِنْهُمْ على عِرْفانِهِمْ بِجَوابِ

هو مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هُوَ لَيِّنٌ * صُلْبٌ، هو الواعِى، هُوَ المُتَغابِى (٤)

هو حُوَّلٌ، هو قُلَّبٌ، هو واضِحٌ * هو غامِضٌ، هو قاطِعٌ، هو نابِى (٥)

هو ذٰلِكَ الطِّلِّسْمُ مَنْ أَعْيَا الحِجَا * حَلًّا ومات ولَمْ يَفُزْ بِطِلابِ (٦)

هو ما تَراهُ مُفاوِضًا كيفَ ٱنْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بِذَكائِه الوَثّابِ (٧)

لَمْ يَأْتِ مِنْ بابٍ لِصَيْدِ دَهائِه * إِلّا نَجا بِدَهائِه مِنْ بابِ (٨)

ويَظَلُّ يَرْقُبُه ويَغْزُو كِبْرَه * بِلُيُونَةٍ ولَباقَةٍ وخِلابِ (٩)

---

(١) دعمت بصعاب، أى صعاب فوق صعاب . والتدعيم : التقوية . يشير بهذا البيت والذى بعده الى أن الفقيد كان يفاوض الإنجليز فى القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد فى وزارة الائتلاف ، فلما مات سعد فى أثناء تلك المفاوضة ، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف ، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك ، وعاد ثروت بمشروع المعاهدة لم يقبل .

(٢) الظهير : المعين . ويريد به سعدا . والجنادل : الحجارة .

(٣) بناية ثروت ، أى تكوينه وخلقه (بفتح فسكون) . (٤) الواعى : الحافظ . والمتغابى : مدعى الغباوة . (٥) الحول القلب : الحاذق البصير بتقليب الأمور وتحويلها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها . (٦) الضمير فى «مات» للفقيد ، وفى «يفز» : للحيا .

(٧) كبيرهم ، أى كبير الإنجليز ، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية انجلترا ، وهو الذى كان يفاوض الفقيد إذ ذاك . (٨) الضمير فى «يأت» : لكبير الإنجليز . وفى «نجا» : لثروت .

(٩) الخلاب : الخاتلة والدهاء .

(١)
وَيَرُوضُـه حَـتّى يَرَى أَسْـطُولَه * خَشَـبًا تَتَاثَرُ فَوْقَ ظَهْـرِ عُبَـابِ
(٢)
وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذَكاء صُفِّفَتْ * دُونَ الحِمَى تُعْيِي أُسُـودَ الغَـابِ
(٣)
وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَـالُ مُفَـاوِضٌ * يَسْعَى بِغَيْرِ كَتَائِبٍ وَحِرَابِ
(٤)
وَاسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضَضْنَ عَلَيْـهِ بِالأَنْيَـابِ
(٥)
خَلَقًا خَبَا ضَـوْءُ الهِـلَالِ لِطَيِّـه * جَمُّ التَّوَجُّـعِ دَامِيَ الأَهْـدَابِ
فَاخْضَرَّ فَـوْقَ رُبُوعِ مِصْرَ عُودُه * فِي مَنْبِتٍ خِصْبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ
(٦)
إِنْ فَاتَه بَعْضُ الأَمَانِي فَاذْكُرُوا * أَنَّا أَمَامَ مُحَنَّكِينَ صِـلَابِ
(٧)
قَدْ جَازَ تِيهَاءَ الأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ * فِي وَعْرِهَا وَكُؤُودِهَا بِالكَابِي
(٨)
رَجُـلٌ يُفَاوِضُ وَحْدَه عَنْ أُمَّـةٍ * إِنْ لَمْ يَفُزْ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَـابِ
(٩)
رَفَعَ الحِمَايَةَ بَعْدَمَا بُسِطَتْ عَلَى * أَبْنَـاءِ (مِصْـرَ) وَأَيَّدَتْ بِكِتَابِ

(١) يروضه ، أى يسوسه ؛ وأصله من رياضة الدواب ، أى تذليلها وتيسير ما صعب منها . والعباب : لجة البحر . (٢) الحمى ، أى مصر ؛ يريد بهذا البيت : أن ذكاء الفقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها .
(٣) الكتائب : فرق الجيش . (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى رفع الحماية عن مصر ، واعترف الإنجليز فيه باستقلالها . والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة إذ ذاك . ويريد « بأساد الشرى » الإنجليز . (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول ما عانى من أذى المستعمرين ، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدى الغاصبين . وخص الهلال بالذكر ، لأنه شعار هذا العلم . (٦) يريد « بالمحنكين الصلاب » : الإنجليز . والمحنك : الذى أحكمته التجارب .
(٧) التيهاء : الصحراء التى يضل فيها السائر . والكؤود من العقبات : الصعبة الشاقة على من صعدها . والكابى : العاثر . (٨) فوزا ، أى فوزا كاملا . والعاب : العيب . (٩) يريد الكتاب الذى أرسله حكومة الإنجليز الى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م .

وأتى (لِمِصْـــرَ) وأهْلِها بسِيادَةٍ * مَرْفُوعَةِ الأعْلامِ والأطْنابِ

غَفْرًا فلَسْتُ ببالِغٍ فيكَ المَدَى * إنْ غَذْذْتُ إلى مَداكَ رِكابِي (١)

كَمْ مَوْقِفٍ لكَ فى الجِهادِ مُسَجَّلٍ * بشَهادَةِ الأعْداءِ والأصْحابِ

فى خَطْبِ مِصْرَ (لبُطْرُسٍ) أحْمَدْتَها * مَشْبُوبَةً كانَتْ على الأبْوابِ (٢)

أُلِّفْتَ بَيْنَ المُنْصِرَيْنِ فأصْبَحا * رِفْقًا، وكُنتَ مُوَفِّقَ الأسْبابِ (٣)

خالَفْتُ فيكَ الجازِمِينَ فلَمْ أنُحْ * حُزْنًا عليكَ وأنْتَ مِنْ أتْرابِي

النَّوْحُ فى الجُلِّ اجْتِهادُ مُقَصِّرٍ * أنَّى دُعاءَ الصَّبْرِ غيْرَ مُجابِ (٤)

فأنا الذى يَبْكِى بشِعْرٍ خالِدٍ * يَبْقَى على الأجْيالِ للأعْقابِ

قد كنتَ تُحْسِنُ بِي وتَرْقُبُ جَوْلَتِي * فى حَلْبَةِ الشُّعَراءِ والكُتّابِ

وتَهَشُّ إنْ لاقَيْتَنِي وتَحُفُّنِي * بالبِشْرِ فى ناديكَ والتَّرْحابِ

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الرَّبِيعُ بنَوْرِهِ * تَأسَى الرِّياضُ عَلَيْهِ غِبَّ ذَهابِ (٥)

---

(١) غذذت : أسرعت . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد فى أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذى فى كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز فى أوله .

(٢) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى الفتنة التى كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالى باشا ، وكان الفضل فى إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين إلى ما تقضى به الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيد فى هذه القضية ضد الوردانى ، قاتل بطرس باشا ، وكان إذ ذاك نائبا عموميا .

(٣) رفقا : ملتمين . (٤) الجل : ما جل وعظم من النوائب .

(٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و«تأسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا[1]

[نشرت فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسْدِى الجَمِيلِ بِلَا مَنٍّ يُكَدِّرُه * ومُكْرِمُ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رِضْوَانِ)[2]

تَجْتَازُنَا عَبْقَةٌ مِنْ رَوْضَةٍ أُنُفٍ * اذا أَلَمَّتْ بِنَا ذِكْرَى (سُلَيْمَانِ)[3]

فَقُلْ (لآلِ سُلَيْمَانٍ) إذا جَزِعُوا * رُدُّوا النُّفُوسَ إلى صَبْرٍ وسُلْوَانِ

ما إنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قبلَ شَيْخِكُمُ * تَحْتَ التُّرَابِ وفَوْقَ النَّجْمِ فى آنِ

قَضَيْتَهَا مِئَةً فى كُلِّ واحِدَةٍ * تُعِدُّ زادَكَ مِنْ بِرٍّ وإحْسَانِ[4]

فَكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الجانِى ولَمْ تَرَهُ * وكَمْ غَرَسْتَ وكانَ المُسْوِزُ الجانِى[5]

وكَمْ أَقَلْتَ كَرِيمًا عند عَثْرَتِهِ * وكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إخْوَانِ[6]

إنِّى رَأَيْتُكَ قَبْلَ المَوْتِ فى فَلَكٍ * مِنَ الجَلَالِ على جَنْبَيْهِ نُورَانِ

نُورُ اليَقِينِ ونُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُما * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِى ووِجْدانِى

على جَبِينِكَ آياتُ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ * وبَيْنَ جَنْبَيْكَ قَلْبٌ غَيْرُ وَسْنَانِ[7]

---

(١) محمود سليمان باشا ، كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد ، ومن كبار رجال النهضة الوطنية ، ورئيسا لجنة الوفد المركزية ، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا ، وكانت وفاته فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م ، وقد تيف على التسعين ... . (٢) مسدى الجميل : معطيه . والمن : عد النعم والصنائع تميرا بها . (٣) « تجتازنا عبقة » الخ ... ، أى تمر بنا نفحة من طيب روضة مصونة لم تبتذل ، شبه ذكراه بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمر الفقيد انما هو على وجه التقريب . (٥) المعوز : الفقير الذى لا مال . ويريد « بالجانى » الأول فى هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و (بالثانى) : مجنى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلانا عثرته ، اذا صفحت عنه وعفوت ما نزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

قَسَمْتَ ما جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ * على بَنِيكَ فكنتَ الوالِدَ الحانِي (١)

مالٌ حَلالٌ مُزَكًّى ما خَلَطْتَ بِهِ * مِلْءَ سُحْتٍ ولا حَقًّا لإنسانِ (٢)

زَهِدْتَ فيها وهَامَ العابِدُونَ لها * بِجَمْعِ فانٍ يُعانِي جَمْعَهُ فانِي

بِكِسْرَةٍ وكِساءٍ عِشْتَ مُقْتَنِعًا * تُسَبِّحُ اللهَ فى سِرٍّ وإعلانِ

أَقَرَّ عَيْنَيْكَ فى دُنْياكَ أَنْ رَأَتا * (مُحَمَّدًا) يَتَرَاءَى فَوْقَ (كِيوانِ) (٣)

قَضَيْتَ فى الأَوْجِ مِنْ عِزَّيْكُما وكِذا * يَقْضِى (سُلَيْمانُ) فى عِزٍّ وسُلْطانِ (٤)

أَنْجَبْتَ أَرْبَعَةً سادُوا بأَرْبَعَةٍ : * فَضْلٍ ونُبْلٍ وإحْسانٍ وعِرْفانِ (٥)

أَوْرَثْتَهُمْ شَمَمًا هَشَّ الإباءُ لَهُ * وأَوْرَقَتْ فى ذُراهُ عِزَّةُ الشَّانِ (٦)

يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِيمًا قد أَقامَ لَهُمْ * صَرْحًا مِنَ المَجْدِ أَعْلَى رُكْنَهُ البانِى (٧)

كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ يا (مَحْمُودُ) عِنْدَ أَبِى * بِشُكْرِها لَكَ عِنْدَ المَوْتِ أَوْصانِى (٨)

---

(١) النشب : المال . (٢) السحت : ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

(٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكيوان : اسم كوكب زحل . ويضرب مثلا فى علو المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلو . ويريد «بسليمان» : نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، ومحمد حفنى محمود ، وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشمم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهى فى الأصل ، ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها واشتصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .

(٧) الضمير فى قوله « يذكرن » : للصفات السابق ذكرها فى البيت السابق ، وهى الشمم والإباء وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر بهذا البيت الى أن أباه ابراهيم أفندى فهمى مهندس قناطر دبروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد عليه كثير من الأيادى والمنن .

تأبين محمد المويلحي بك[1]

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غاب الأديبُ أديبُ (مِصْر) واختفى * فلتبكه الأقلامُ أو لتقصفا

لَهْفي على تلك الأنامل في البِلَى * كم سطّرتْ حِكَمًا وهزّتْ مُرْهَفا

ماتَ (المُوَيلحيُّ) الحُسانُ ولَمْ يَمُتْ * حتّى غَزَا «عِيسَى»[2] العُقولَ وثقّفا

وقال يرثيه أيضا :

أنشد هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في ١٣ يونيه ١٩٣٠ م

دَمْعَةٌ[3] مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبابِ * كُنْتُ خبّأتُها لِيَوْمِ المُصابِ

لَبّيْتَ اليَوْمَ يا (مُحَمَّدُ)[4] لمّا * راعَني نَعْيُ أكْتَبِ الكُتّابِ

هَدّأتْ لَوْعَتي وسَرّتْ قَلِيلًا[5] * عن فُؤادي ولَطّفَتْ بعضَ مابي

مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعْشِكَ يَمْشي[6] * في احتِسابٍ وحَسْرَةٍ وانتِحابِ

لَمْ يُجاوِزْ مَنازِلَ البَدْرِ[7] عَدًّا * مِنْ بَقايَا الصَّدِيقِ والأحْبابِ

---

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحي بك (في الحاشية رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «بعيسى» : كتاب الفقيد ، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معينا من الدمع وقوة على البكاء . (٤) راعني : أفزعني . (٥) سرت عن فؤادي : أي كشفت عنه الهم والحزن .

(٦) في احتساب ، أي في طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضعه التي ينزل فيها في دوراته ، وهي اثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل في القلة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسُرْ فيـه مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْـدَ حَقٍّ مُؤَمَّلٍ أو يُحَابِي

مَوْكِبٌ مَاجَ جَانِبَاهُ بِحَفْـلٍ (١) * مِنْ وُفُودِ الأَخْلَاقِ والأَحْسَـابِ

شَـاعَ فيـه الوَفَاءُ والحُزْنُ حَتَّى * ضَاقَ عَنْ حَشْـدِه فَسِيحُ الرِّحَابِ

فَكَأَنَّ السَّمَاءَ والأَرْضَ تَمْشِي * فيـه مِنْ هَيْبَـةٍ وعِزِّ جَنَـابِ

تَتَمَنَّى قَيَاصِـرُ الأَرْضِ لَـوْ فَا * زَتْ لَدَى مَوْتِهَا بِهَـذَا الرِّكَابِ

رُبَّ نَعْشٍ قَـدْ شَيَّعَتْهُ الْـوُفُ (٢) * مِنْ سَوَادٍ تَعْلُوه سُـودُ الثِّيَابِ

لَيْسَ فِيهِـمْ مِنْ جَازِعٍ أو حَزِينٍ * صَادِقِ السَّـعْيِ أو أَلِيفِ مُصَابِ

كُنْتَ لا تَرْتَضِي النُّجُومَ مَحَلًّا * فَلِمَاذَا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرَابِ!

كُنْتَ رَاحَ النُّفُوسِ فِي مَجْلِسِ الأُنْـ (٣) * ـسِ وَرَاحَ العُقُولِ عِنْـدَ الْخِطَابِ

كُنْتُ لا تُرْهِقُ الصَّـدِيقَ بِلَوْمٍ (٤) * لا ولا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحَابِ

وَلَئِـنْ بِتَّ عَاتِبًـا أو غَضُـوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضَا كَرِيمُ الْعِتَـابِ

جُزْتَ سَبْعِينَ حِجَّـةً لا تُبَـالِي (٥) * بِشِـهَادٍ تَعَـاقَبَتْ أم بِصَـابِ

وَسَـوَاءٌ لَدَيْكَ والرَّأْيُ حُـرٌّ (٦) * رَوْحُ (نَيْسَانَ) أو نَوَافِحُ (آبِ)

---

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامتهم . (٣) الراح : الخمر

(٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتحمله ما يسىء ويؤلم . (٥) الشهاد : عسل النحل ، والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلو الزمان ومره . (٦) الروح : الريح ، ونيسان ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله ابريل حيث يكون الربيع . والنوافح من الرياح : الحارة . وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتد القيظ . يقول : إنه سواء لديه فى سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يا شُجاعًا وَمَا الشَّجاعَةُ إلّا الـ ـصَّبْرُ لا الخَوْضُ فى صُدُورِ الصِّعابِ

(١)
كنتَ نِعْمَ الصَّبُورُ إنْ حَزَبَ الأَمْـ * ـرُ وسُدَّتْ مَسَارِحُ الأَسْبابِ

(٢)
كم تَجَلَّدْتَ والأَمانِيُّ صَرْعَى * وتَماسَكْتَ والحظُوظُ كَوابِى

(٣)
عِشْتَ ماعِشْتَ كالجِبالِ الرَّواسِى * فَسُوقَ نارٍ تُذِيبُ صُمَّ الصِّلابِ

مُؤْثِرَ البُؤْسِ والشَّقاءِ على الشَّكْـ * ـوَى وإنْ عَضَّكَ الزَّمانُ بِنابِ

(٤)
كنتَ تَحْلُو بالنَّفْسِ والنَّفْسُ تُشْوَى * مِنْ كُؤُوسِ الهُمُومِ والأَوْصابِ

(٥)
فتُسَرِّى بالذِّكْرِ عنها وتَشْفِى * ما عَراهَا مِنْ غُصَّةٍ وَاكْتِئابِ

وتَرَى وَحْشَةَ انْفِرادِكَ أُنْسًا * بحَدِيثِ النُّفُوسِ والأَلْبابِ

(٦)
بِنْتَ عنها وما جَنَيْتَ وقَدْ كا * نَتْ بَأْساءَها على الأَحْقابِ

(٧)
ونَبَذْتَ الثَّراءَ تَبْذُلُ فيه * مِنْ إباءٍ فى بَذْلِهِ شَرُّعابِ

(٨)
لو شَهِدْتُمْ (محمدا) وهْوَ يُمْلِى * آىَ "عِيسَى" ومُعْجِزاتِ الكِتابِ

وَقَفَتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ المَعانِى * وصُفُوفُ الأَلْفاظِ مِنْ كلِّ بابِ

---

(١) يقال : حزبه الأمر ، إذا اشتد عليه وضغطه . وسدت مسارح الأسباب ، أى سدت مذاهب العيش والرزق .

(٢) تجلدت ، أى لم تظهر الجزع . وكوابى ، أى عواثر .

(٣) صم الصلاب ، أى الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة .

(٤) الأوصاب : الآلام ؛ الواحد وصب (بالتحريك) .

(٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيد يكثر تلاوته فى آخر أيامه .

(٦) بنت : بعدت . وعنها ، أى عن الدنيا . والأحقاب : السنون .

(٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى «بذله» : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت الغنى الذى لا ينال إلا بالذل وفقد الإباء ، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى .

(٨) آى عيسى ، أى آيات كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

لَعلِمْتُمُ بأنّ عَهْـدَ (ابنِ بَحْرٍ) * عادَ الشَّرقَ بَعْدَ طُولِ احتِجاب (١)

أَدَبٌ مُسْـتَوٍ وقَلْبٌ جَمِيـعٌ * وذَكاءٌ يُرِيكَ ضَـوْءَ الشِّهاب (٢)

عِنْـدَ رَأْيٍ مُوَفَّقٍ، عِنْـدَ حَـزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحاب

جَـلَّ أُسْـلُوبُه النَّـقِيُّ المُصَـفَّى * عَنْ غُمُوضٍ ونُفْـرَةٍ واضْطِراب (٣)

وسَمَـا نَقْـدُه النَّزِيهُ عَنِ الهُجْـ * ـرِ فَـا شِيبَ مَرَّةً بالسِّباب (٤)

ذُقْتَ فى غُرْبَةِ الحَيَـاةِ عَنَـاءً * فَـذُقِ اليَـومَ راحَةً فى الإِياب

بَلِّغ (البابِلِيَّ) عَنِّى سَـلامًا * كَعَبِيرِ الرِّياضِ أَوْ كالمَلاب (٥)

كان تِرْبِى وكان مِنْ نَعِـيمِ الصِّبْـ * ـيانِ — سُبْحانَه — على الأَتْراب (٦)

فارِسٌ فى النَّـدَى إِذا قَصَّرَ الفَـرْ * سانُ عنـه وفارِسٌ فى الجَـواب

يُرْسِـلُ النُّكْتَـةَ الطَّرِيفَـةَ تَمْشِى * فى رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشْىَ الشَّراب

قـد أَثارَ (المُحَمَّـدانِ) دَفِينًـا * فى فُؤادِى وقـد أَطارا صَـوابِى (٧)

خَلَّفَـانِى بَيْنَ الرِّفاقِ وَحِيـدًا * مُسْتَكِينًا وأَمْعَنَـا فى الغِيـاب

---

(١) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف .

(٢) وقلب جميع، أى مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد .

(٣) يريد « بالنفرة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .

(٤) الهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط .

(٥) يريد « بالبابلى » : محمد البابلى بك . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعبير الرياض : طيبها . والملاب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسى معرب .

(٦) ترب الإنسان : نظيره فى السن .

(٧) المحمدان، محمد المويلحى، ومحمد البابلى .

رثاء عبد الحليم العلايلى بك[1]

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

يا بنَ (عَبْدِ السَّلامِ) لا كانَ يَوْمٌ * غِبْتَ فيـه عن هَالَةِ الأَحْرارِ[2]

كنتَ فيهِمْ كالثَّبْجِ بأْسًا ولِينًا * كنتَ فيهِمْ كالكَوْكَبِ السَّيَّارِ

يا عَرِيقَ الأُصُولِ والحَسَبِ الوَضّـ * ـاحِ والنُّبْلِ يا كَرِيمَ الجِوارِ[3]

كنتَ فَرْعًا بدَوْحَةِ العِزِّ تأْوِى * تَحْتَ أَفْنانه عُفَاةُ الدِّيارِ[4]

قَصَفَتْهُ المَنُونُ وهْوَ نَضِيرٌ * مُورِقٌ عُودُه جَنِيُّ الثِّمارِ

كنتَ تأْسُو جِراحَهُمْ وتَقِيهِمْ * وتُقِيلُ العِثارَ عند العِثارِ[5]

خانَ نُطْقِى ولَمْ تَخُنِّى دُمُوعِى * لَهْفَ نَفْسِى فقَصَّرَتْ أَشْعارِى

غَيْرُ بِدْعٍ إذا نَظَمْتُ رِثائى * فى صَدِيقٍ مِن الدُّموعِ الجَوارِى[6]

فِسْنَ الحُزْنِ ما يَهُدُّكَ الرَّواسِى * ومِن الحُزْنِ ما يَهُدُّ الضَّوارِى[7]

---

(١) عبدالحليم العلايلى بك ، هو ابن عبدالسلام العلايلى بك من سراة دمياط المعروفين ، وقد اشترك فى النهضة الوطنية زمنا طويلا ، وكان عضوا بارزا فى حزب الأحرار الدستوريين ، وانتخب (سكرتيرا) عاما لهذا الحزب ، وكان عضوا فى مجلس النواب فى بعض السنين ؛ وتوفى فى ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الهالة : دارة القمر ، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تأسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيهم : تحفظهم . وأقلت فلانا عثرته ، إذا وقع فى خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته .

(٦) البدع : الغريب . (٧) يهد : يهدم . والرواسى : الجبال . والضوارى : السباع المولعة بالافتراس ، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت فى ١٦ يونيه ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ ونَحْنُ أَحْوَجُ ما نَكُونُ * إِلَيْكَ ومِثْلُ خَطْبِكَ لا يَهُونُ

بِرَغْمِ (النِّيلِ) أَنْ عَدَتِ العَوادِى * عَلَيْكَ وأَنْتَ خادِمُهُ الأَمِينِ

بِرَغْمِ (الثَّغْرِ) أَنْ غُيِّبْتَ عَنْهُ (١) * وأَنْ نَزَلَتْ بساحَتِكَ المَنُونُ

أَجَلُّ مُناهُ لو يَحْوِيكَ مَيْتًا * لَيَجْبُرَ كَسْرَهُ ذاكَ الدَّفِينِ (٢)

أَسالَ مِنَ الدُّموعِ عَلَيْكَ بَحْرًا * تَكادُ بِلُجِّهِ تَجْرِى السَّفِينِ

وقامَ النَّادِباتُ بِكُلِّ دارٍ * وكَبَّرَ فى مآذِنِهِ الأَذِينِ (٣)

أُصِيبَ بِذِى مَضاءٍ أَرْيَحِيٍّ * به عند الشَّدائِدِ يَسْتَعِينِ (٤)

فَتَى الفِتْيانِ ظالَتْكَ المَنايَا * وغُصْنُكَ لا تُطاوِلُهُ غُصُونِ

صَحِبْتَكَ حِقْبَةً فَصَحِبْتُ حُرًّا * أَبِيًّا لا يُهانُ ولا يُهِينِ (٥)

نَبِيلَ الطَّبْعِ لا يَنْشابُ خِلًّا * ولا يُؤْذِى العَشِيرَ ولا يَمِينِ (٦)

تَطَوَّعَ فى الجِهادِ لِوَجْهِ (مِصْرٍ) * فما حامَتْ حَوالَيْهِ الظُّنُونُ

ولَمْ يَثْنِ الوَعِيدُ له عِنانًا * ولَمْ تَحْنَثْ له أَبَدًا يَمِينُ

---

(١) يريد « بالثغر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعى بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر ...الخ » : إلى ما كان مألوفا من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالتكبير على المآذن فى غير أوقات الأذان . (٤) الضمير فى قوله « أصيب » . للثغر السابق ذكره . والأريحى : الذى يرتاح للمعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) ما ينثنى يمين : كذب .

ولَمْ تَـنْزِلْ بِعِـزَّته الدَّنايَا * ولَمْ يَعْـلَقْ به ذُلٌّ وهُونُ

مَضَى لِسَبِيلِه لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * ولَمْ يَـبْرَحْ سَرِيرَتَه اليَقِينُ

تَرَكَتْ أَلِيفَـةً تَرْجُـو مُعِينًا * ولَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لها مُعِينُ (١)

تَنُوحُ على القَرِينِ وأَيْنَ منهـا * وقدغَالَ الرَّدَى ــ ذاكَ القَرِينُ

سَمِعْتُ أَنِينَهـا واللَّيـلُ ساجٍ * فَـزَقَّ مُهْجَتِي ذاكَ الأَنِينُ (٢)

فقـد عايَنْتُ قِـدْمًا ما يُعانِي * على عِلّاته القَلْبُ الحَزِينُ

مِنَ الخَفِراتِ قد نَعِمَتْ بِزَوْجٍ * سَمَا بِجَـلَالِه أَدَبٌ ودِينُ (٣)

أَقامَتْ فى النَّعِـيمِ ولَمْ تُرَوِّعْ * فكلُّ حَياتِهـا رَغَـدٌ ولِينُ

لقـد نَسَجَ العَفافُ لَهـا رِداءً * وَزَانَ رِداءَها الخِدْرُ المَصُونُ

دَهاهَا المَوْتُ فى الإِلْفِ المُفَدَّى * وكَدَّرَ صَفْوَها الدَّهْرُ الخَؤُونُ

فكادَ مُصابُها يأتِى عَلَيْهـا * لِساعَتِها وتَقْتُلُها الشُّجُونُ (٤)

رَبِيبَـةُ نِعْمَةٍ لَمْ تَبْلُ حُـزْنًا * ولَمْ تَشْرَقْ بِدَمْعِها الجُفُونُ (٥)

وَفَتْ لأَلِيفِهـا حَيًّـا ومَيْتًـا * كذَالكَ كَرِيمَةُ (اللَّوْزِى) تَكُونُ (٦)

سَتَكْفِيها العِنَـايَةُ كلَّ شَرٍّ * ويَحْرُسُ خِدْرَها (الرُّوحُ الأَمِينُ)

---

(١) يريد « بالأليفة » : زوجه . (٢) سجا الليل : سكن وهدأ . (٣) الخفرات : ذوات الحياء ، الواحدة خفرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتى عليها : يذهب بها ويهلكها .

(٥) لم تبل حزنا ، أى لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء .

(٦) اللوزى : لقب لأسرة عريقة بثغر دمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الحمولى

وهو ابن المرحوم عبده الحمولى المغنى المعروف ، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

شَوَّقْتُمانِي أَيُّها ٱلفَرْقَدانِ * لِبَدْرٍ تَمَّ غابَ قَبْلَ الأَوانِ (١)

وكُلَّما أَشْرَقْتُما مَرَّةً * عَلَّمْتُما عَيْنَيَّ نَظْمَ الجُمانِ (٢)

على عَزيزٍ قد تَوَلَّى ولَنْ * يَؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ القارِظانِ (٣)

عَجِّلْتَ يا (محمود) فى رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بِها أَعْيُنُ حُورِ الجِنانِ

كأَنَّما آخِرُ عَهْدِ الهَنا * قد كانَ مِنّا لَيْلَةَ المِهْرَجانِ (٤)

رثاء حبيب (٥) المطران باشا

أَعَزِّى فيكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أُعَزِّى * عُفاةَ النّاسِ ، أَمْ هِمَمَ الكِرامِ؟ (٦)

وما أَدْرِى أَرُكْنُ الجاهِ أَوْدَى * وقد أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشّامِ؟ (٧)

---

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشتاق إليه .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ؛ الواحدة جمانة ، شبه بها الدموع .

(٣) القارظان : رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ، ولا عرف لهما خبر ، فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سريانى مرارة الشام ، وكان قصره فى بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ، وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده فى بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية .

(٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .

(٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلى

بَـدَأَ المَـاتُ يَـدِبُّ فى أَتْرَابِى * وبَدَأْتُ أَعْرِفُ وَحْشَةَ الأَحْبَابِ

يا بابِلِىُّ فِـداكَ إِلْفُـكَ فى الصِّبَا * وفِدا شَـبابِكَ فى التُّرابِ شَـبابِى

قد كُنْتَ خُلْصانِى ومَوْضِعَ حاجَتِى (١) * ومَقَـرَّ آمالِى وخَـيْرَ صِحابِى

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الكِرامُ مُشَيَّعًا * بالمَجْـدِ مَبْكِيًّا مِنَ الأَحْبابِ

تعزية المرحوم محمود سامى البارودى باشا فى ابنته

وَدِيعَـةٌ رُدَّتْ إلى رَبِّهـا * ومالِكُ الأَرْواحِ أَوْلَى بِهـا

أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فى بُعْـدِها * يَرْبُو على شُكْرِكَ فى قُرْبِهـا ؟ (٢)

وقال يرثيها أيضا :

بَيْنَ السَّرائِرِ ضِـنَّةٌ دَفَنْـتِها * أَمْ فى المَحـاجِرِ خُلَّـةٌ خَبَّـأْتِها؟ (٣)

ما أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضِى هٰـذا الثَّرَى * نُزُلًا فَهَـلْ أَرْضَـوْكِ أَمْ غَبَنُوكِ؟ (٤)

---

(١) الخلصان (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا . يقال : هو خلصانى ، وهم خلصانى .

(٢) يربو : يزيد ، والمستعمل فى هذا المعنى : أربى يربى .

(٣) السرائر : جمع سريرة ، وهى السر ، والمراد هنا : موضعه . ضنة ، أى بخلا بها . والمحاجر : جمع محجر (وزان مجلس) ، وهو ما دار بالعين . يريد أن حرصهم على الفقيدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها فى ضمائرهم أو فى عيونهم ، فهو يستفهم عن أيهما دفنت فيه . (٤) النزل : المكان المهيأ للنزول به .

يا بِنْتَ (مَحْمُودٍ) يَعِزُّ على الوَرَى * لَمْسُ التُّرابِ لِجِسْمِكِ المَنْهُوكِ (١)

تَرَكُوا شَبابَكِ فيه نَهْبًا لِلبِلَى * واهًا لِغَضِّ شَبابِكِ المَتْرُوكِ (٢)

وحَثَوْه فوقَ سَنالِكِ يا شَمْسَ الضُّحَى * فبَكَى له بَدْرُ السَّماءِ أُخُوكِ (٣)

داسَ الحِمامُ عَرِينَ آسادِ الشَّرَى * يا لَيْتَ شِعْرِى أينَ كان أَبُوكِ؟ (٤)

عَهْدِى به يَلْقَى الرَّدَى بمُهَنَّدٍ * يَعْلُوه غِمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ (٥)

يا نَفْسَ (مَحْمُودٍ) وأنتِ عَلِيمَةٌ * بطَرِيقِ هٰذا العالَمِ المَسْلُوكِ

عَهِدُوكِ لا تَتَصَدَّعِينَ لحادِثٍ * أَوَ أَنْتِ باقِيَةٌ كما عَهِدُوكِ (٦)

هٰذا التُّرابُ — وأنتِ أَعْلَمُ — مُلْتَقَى * هٰذا الوَرَى مِنْ مُسْوَقَةٍ ومُلُوكِ (٧)

هل أنتِ إلّا بَيْنَ جَنْبَيْ ماجِدٍ * صَعْبِ الشَّكِيمَةِ لِلخُطُوبِ صَمُوكِ (٨)

يُغْضِى بِحَضْرَتِه الزَّمانُ فيَلْتَقِى * عِزُّ المَلِيكِ وذِلَّةُ المَمْلُوكِ (٩)

---

(١) المنهوك : المجهود المضنى .

(٢) الغض : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : علاه عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الحمام (بالكسر) : الموت . وعرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بآسادها المثل . ويريد «بعرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدع : التشقق .

(٧) أنت : يخاطب نفس البارودى .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لاينقاد .

(٩) يغضى الزمان ، أى يستحيى منه ويهابه .

ملاحظة — أشر فى نهاية هذه القصيدة فى طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ، وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

"من مرثية وهمية"

بلغ حافظا أن جورج الخامس ملك انجلترا قد توفى، فلم يكد يسمع هـذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة فى رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هـذا الخبر وقد وقفنا على بيتين من هذه المرثية، وهما :

إنّ الّذى كانت الدّنيـا بقَبْضَـتِهِ * أَمْسَى مِن الأَرْضِ يَحْوِيهِ ذِراعانِ

وغابَ عن مُلْكِه من لَمْ تَغِبْ أبَدًا * عن مُلْكِهِ الشّمْس مِنْ عِزٍّ وسُلْطانِ

قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

من شعر حافظ فى ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّت بَشاشةُ دُنْيانا وَدُنْيـاك * وَفارَقَ الأُنسُ مَغْنانا وَمَغْناك

حَماك دُونى أُسُودٌ لا يُطاوِلُها * شاكى السلاح فَكيفَ الأَعْزَلُ الشّاكى

وَجَشّمُونى على ضَعْفى وَقُوَّتِهِم * أَن أُمسِك القولَ حتى عن تَحاياك

وأرصدوا لى رقيبا ليس يُخطئُه * هجسُ الفؤادِ إذا حاولتُ ذِكراك

يُحصِى تَرَدُّدَ أنفاسِى ويمنعنى * نفحَ الشمائلِ إن جازت بِرَيّاك

مُنِعتُ حتى من النَّجْوَى وَسَلْوَتِها * وكم تَمَلَّلتُ فى البَلْوَى بِنَجْواك

ما كادَ يأتى على نَفْسِى وَيُوردُنِى * مَوارِدَ الحتفِ إلا حُبُّك الزاكى

تَناوَلَتْ ما وراءَ النفسِ غايتُـه * وقَرَّ فى خَلَجاتِ القلبِ متواك

وَظَنَّ أَهْلُك بى سُـوءًا وَأَرْمَضَنِى * قولُ الوشاةِ وَدَعْوَى كلِّ أَفّاك

قالوا سَلا عَنْك عَذْرًا وابتغَى بَدَلًا * وَكانَ بالأمسِ مِنْ أَوْفَى رَعاياك

كم لى أحاديثُ شوقٍ لا تُنافِقُها * زَهْرُ الرياضِ وَلا يَسْمُو بِها الحاكى

إن تُنكِرِيها فكم طارَ الرواةُ بها * إلى حِماك وكم قـد عَطَّرَتْ فاك

مستعلين إذا ما الثَّغْرَةُ انْحَسَرَتْ * مَن صَدَّ عنك وَمَن بالنَّفسِ فَدّاك

رَمَيْتُ عنك إلى أن خانَنِى وَتَرِى * وَلَم أَخُن فى إسارِى عهدَ نُعماك

برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنباء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا ، فأرسل حافظ هذه البرقية إلى الخديو :

عيدٌ هنا ، وهناك قام المأتمُ * ملكٌ يَنُوحُ ، وتابعٌ يتنعّمُ
عجبًا أرى تلك الدماء فها هنا * دَمُ فرحةٍ ، وهناك للقتلى دَمُ

فأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالم الإسلامى فى تلك النكبة .

قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذى يقيم فيه المعتمد البريطانى ممثل الاحتلال وصاحب السلطة الفعلية فى البلاد .

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزى .

وفى هذين البيتين يعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين .

قصرَ الدوبارةِ ما للبِشْك رابضًا * والذئبُ فى قصرِ الامارةِ يَحْجِلُ
إنى سمعتُ بعابدينَ عُوَاءَهُ * فعجبتُ كيف يَسُودُ مَن لا يعقلُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر

يا مليكًا بِرَغْمِهِ يُلْبَسُ التا * جَ وَيَرْقَى لعرشِهِ مملوكا
إن أَتَمَّتْ يَداكَ تخريبَ مصرٍ * فلقد مَهَّدَ الخرابَ أبوكا (١)
أَبْقِ شيئًا — إذا مضيتَ ذميما * عن قريبٍ — يأتى عليه بَنُوكا (٢)

(١) يشير إلى الخديو إسماعيل الذى أفلس مصر وأدانها بتبذيره وإسرافه حتى سقطت فى براثن الاحتلال والديون الأجنبية .
(٢) يقول الشاعر لذلك فؤاد لا ترتكب المفاسد كلها ، حتى يجد أبناؤك من بعدك شيئا يفسدونه ، فالفساد متأصل فيهم أصولا وفروعا .

إلى بانى الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم ، بانى الهرم ومسخر الملايين .

من الشاعر فى عهد الحرية الشخصية وحكم الديمقراطية ، إلى فرعون فى عهد الملوك الآلهة والرعايا العبيد .

من ابن مصر فى القرن العشرين بعد الميلاد ، إلى سيد مصر فى القرن العشرين قبل الميلاد .

البلاغ الأسبوعى

سَخَّرَ العِلْمَ لِيَبْنِي آيَةً * فوق شطِّ النيلِ تبدو كالعَلَمْ (١)

هى ذِكْرٌ خالدٌ لكنّه * عابسُ الوجهِ إذا الذِّكرُ ابتسمْ (٢)

كلُّ ما فيها على إعجازها * أنها قبرٌ لجبّارٍ حُطَمْ

ليتَه سَخَّرَ ما فى عهدِهِ * من قُوىً فى غيرِ تقديسِ الرِّمَمْ

من فنونٍ أعْجَزَتْ أطوارَنا * وعلومٍ عندها الفكرُ وَجَمْ

وبَنَانٍ مبدعاتٍ صَوَّرَتْ * أوْجُهَ العُذْرِ لعُبّادِ الصنَمْ (٣)

أبدعَتْ ما أبدَعَتْ ثم انطَوَتْ * وعلى أسرارِها الدهرُ خَتَمْ

---

(١) العلم : الجبل .

(٢) العلم : البالى — وحطام الشىء بقاياه .

(٣) يريد الشاعر أن يقول إن الأيدى الماهرة التى صنعت تلك التماثيل جعلت للناس العذر فى عبادتها لدقة الصنع وجمال التصوير .

من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قيلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين

البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قد غفونا وانتبهنا فإذا * نحن غرقى ، وإذا الموتُ أمَمْ[1]

ثم كانت فترةٌ مقدورةٌ * غرَّ فينا الدهرَ ضعفٌ فهجَمْ

فتماسكنا فكانت قوةٌ * زلزلتْ ركنَ الليالي فانهدمْ[2]

كان في الأنفسِ جرحٌ من هوىً * نظرَ اللهُ إليه فالتأمْ

فنشدنا العيشَ حراً طلقاً * تحت ظلِّ اللهِ لا ظلِّ الأممْ

وحقيقٌ أن يوفِّيَ حقَّهُ * مَنْ بحبلِ اللهِ والصبرِ اعتصمْ

آفةُ المرءِ إذا المرءُ وَنَى * آفةُ الشعبِ إذا الشعبُ انقسمْ

ليس منَّا مَنْ بغى أو بغَتَى * أو يعُقُّ النيلَ في رَعيِ الذممْ

نشءَ مصرٍ ، نبَّئوا مصراً : بِكَمْ * تشترون المقصدَ الأسمى ، بِكَمْ ؟

بنضالٍ يصقلُ العزمُ بـه * وسُهادٍ في العُلا حلوِ الألمْ

أنا لا أفخرُ بالماضي ، ولا * أحسبُ الحاضرَ يُطرَى أو يُذَمْ

كلُّ همِّي أن أراكم في غدٍ * مثلَ ما كنتم أُسوداً في أجَمْ

---

(١) أمم — قريب .

(٢) المعنى أن في تماسكنا قوة قهرت الليالي ونكباتها التي سلطتها علينا .

فالفتى كلُّ الفتى من لو رأى * فى اقتحام النارِ عِزًّا لاقتحم
لا تَظُنُّوا العيشَ أحلامَ المنى * ذاك مهدٌ قد تولَّى وانصرم
هو حربٌ بين فقرٍ وغنًى * وصراعٌ بين بُرءٍ وسَقَم
هو نارٌ وَوَقُودٌ فإذا * غَفَلَ الموقِدُ فالنارُ حَمِم[1]
فانفُضُوا النومَ وجِدُّوا للعلا * فالعُلاَ وقفٌ على مَنْ لم يَنَم
ليس يَجْنِي من تَمَنِّى وصلَها * وانيًا أو وادِعًا غيرَ الندم
والأمانِي شرُّ ما تُمْنَى به * هِمَّةُ المرءِ إذا المرءُ اعتزم
تُجْمِدُ العزمَ وتَثْنِي حَدَّهُ * فهى كالماءِ لإخمادِ الضَّرَم[2]
وانظروا اليابانَ فى الشرقِ وقد * رَكَّزَتْ أعلامَهَا فوقَ القِمَم
حَارَبُوا الجهلَ وكانوا قبلَنا * فى دُجَى عَمْيَائِه حتى انهزم
فاسألوا عنها الثُّرَيَّا لا الثرى * إنها تحتلُّ أبراجَ الهمم
همَمٌ يَمْشِى بها العِلْمُ إلى * أنبلِ الغاياتِ لا تدرى السَّأَم
فهى أنَّى حاوَلَتْ أمرًا مَشَتْ * يخلُفُهَا الأيامُ فى صفِّ الخدم
لا تُبالى زُلْزِلَتْ مِنْ تحتِها * أم عَلَيْهَا النجمُ بالنجم اصطدم
تتخِذَتْ شمسَ الضُّحى رَمْزًا لها * وكفى بالشمسِ رَمْزًا للعظَمْ
فهى لا تألو صُعُودا تبتغى * جانبَ الشمسِ مكانًا لم يُرَمْ

---

(١) الحمم - الرماد .
(٢) الضرم - النار .

التسبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلة فى دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريما لمحسنى المنوفية: حسنين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيد أبو حسين لتبرعهم بسبعين فدانا من أطيانهم فى المنوفية أوقفوها على التعليم .

ودعى حافظ للاشتراك فى تكريمهم ، فألقى هذه القصيدة :

ثَلاثَةٌ من سَراةِ النيلِ قد حَبَسُوا * على مدارسِنا سبعين فدانا
أَحْيَوا بها أملاً قد كان يخنُقُه * بُخْلُ الغَنِىِّ وَجَهْلٌ قد تَغشَّانا
وخالَفوا سُنَّةً فى مصر شائعةً * جَرَّتْ على العلمِ والآدابِ خُسرانا
فإن همُّ سراةِ النيلِ أن يَقِفُوا * على القبورِ وإن لم تَحْوِ إنسانا
فكم ضريحٍ خلاءٌ لا رُفاتَ به * ترى له فى مناحى النيلِ «أطيانا»
وكم حبوسٍ على الموتى وغَلَّتُها * يشرى الجُباةُ به خوصا ورِعانا
والعلمُ فى حسرةٍ ، والعقلُ فى أسفٍ * والدينُ فى نجلٍ مما تَوَلَّانا
ما كان ضَرَّ سراةَ النيلِ لو فعلوا * شَرْوَاكُمُ ، فَبَنَوْا للعلمِ أركانا (١)
تَقْذَى عيونُ بنى مصرٍ بمظهرِهم * فى «الرملِ» حيناً ، وفى «حلوانَ» أحيانا (٢)

(١) شرواكم أى مثل فعلكم وصنيعكم .

(٢) تقذى أى تؤذى — ويعيب الشاعر على الأثرياء بخلهم فى الانفاق على العلم وتمتعهم بمباهج الحياة مابين رمل الإسكندرية صيفا وحلوان شتاء .

يبغون أن تحتوى الدنيا خزائنهم * ويزرعوا فلوات الله أقطانا[1]
وليس فيهم أخو نفسٍ وصالحةٍ * ولا ترى لهم برًّا وإحسانا
يا مصر حتّام يشكو الفضلُ فى زمنٍ * يُجنى عليه ويُمسى فيك أسوانا[2]
قد سَالَ واديك خِصْبًا مُمتعًا فتى * تسيلُ أرجاؤه علمًا وعرفانا

إلى الدكتور طه حسين

عند ما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه « فى الشعر الجاهلى » شنّ عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتغالى بعضهم فطالبوا باهدار دمه ، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذى كان عضوا بمجلس النواب ورئيسا لجمعية الشبان المسلمين وقتئذ فقال حافظ :

إن صحّ ما قالوا ، وما أرْجَفُوا * والصقوا زُورًا بدين العميدْ
فَكُفْرُ « طه » عند دَيّانِهِ * أحَبُّ من إسلام عبد الحميد

من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشى

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفيكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعضيده بالاشتراك فى أعداد من نسخ الكتاب ، عدا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد .

فلما انتهى طبع الكتاب ، أرسل إليه حافظ نسخة هدية ، وكتب عليها إهداءه :

---

(١) الفلوات جمع الفلاة وهى الصحراء الواسعة .

(٢) حتام أى حتى متى — أسوان أى حزين .

هَديةٌ من شاعرٍ بائسٍ * إلى الدمرداشي وَلِيِّ النِّعَمْ
يُشْرِكُكَ باللهِ ولا يَشْتَرِكْ * في نسخةٍ فيها ضروبُ الحِكَمْ

مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رماية الأطفال بحديقة الأزبكية . وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه ، فطلب منه التذكرة ، فقال له إنه حافظ إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوى كعادته بقصيدة ، فزعم المشرف أنه لا يعرفه ، وعليه أن يثبت شخصيته ببيتين يرتجلهما .

فضحك حافظ وقال له : لم أر أخيب منك مشرفا .. وارتجل هذين البيتين :

رياضُ الأزبكيةِ قد تَحَلَّتْ * بأنجابٍ كِرَامٍ أنت مِنْهُمْ
فَهَبْهَا جَنَّةً فُتِحَتْ لخيرٍ * وَأَدْخِلْنَا مَعَ المَعْفُوِّ عنهم

فضحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك ...

شهداء العلم

جريدة السفور — ١٥ ابريل سنة ١٩٢٠

فى سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوربا لاستكمال دراساتهم العليا فى جامعاتها وقد ذهبوا جميعا ضحية حادث أليم وقع للقطار الذى كان يقلهم عبر إيطاليا فى أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوربا .

وكان وقع المصاب الفادح بالغ الألم والأثر فى مصر وفى سائر البلاد العربية والأجنبية . وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التى ألقيت فى حفل جريدة السفور التى أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠ .

عَلِّمونا الصَبرَ يُطفِى ما استَعَرْ * إنما الأجرُ لمفجوعٍ صَبَرْ
صَدْمَةٌ فى الغربِ أمسَى وَقْعُها * فى ربوع الشرقِ مشئومَ الأثر
زَلزلت فى أرضِ مصرٍ أنفُسًا * لم يُزَلزِلْهَا قرارُ المؤتمر (١)
ما اصطدامُ النجمِ بالنجمِ على * ساكنى الأرضِ بأدْهَى وَأمَرّ
قَطَفَ الموتُ بَواكيرَ النُّهى * بَعْدَ أجلَ طاقاتِ الزهَر
وَهَذَا الموتُ على أقدارِنا * فتهاوَوْا قِسْرًا بعد قسر
فى سبيلِ النيلِ والعلمِ وفى * ذمةِ الله قضى الإثنا عشر
أىّ بدورَ الشرقِ ماذا نَابَكُمْ * فى مَسَارِ الغربِ من صَرْفِ الغِيَر
نبأٌ قَطَّعَ أوصالَ المنى * وأصَمَّ السمعَ منا والبصر
كم بمصرٍ زَفْرَةٌ من حَرِّها * كُنِّسَ الأعفرُ ، والطيرُ وكر (٢)

(١) المؤتمر هو مؤتمر الصلح بباريس الذى عقد عقب الحرب العالمية الأولى وحاول زعماء مصر حضوره للمطالبة بجلاء الإنجليز عن مصر ، ولكن منع الزعماء من حضوره وأصدر المؤتمر قراره بالابقاء على الأوضاع فى مستعمرات الدول المنتصرة ومنها انجلترا .

(٢) وكر الطير أى لزم وكره — والمعنى أن الزفرات الحارة على شهدائنا كانت من القسوة والشدة كالريح السموم التى تكنس التراب وتلزم الطير وكره من حرارتها وهجيرها .

كم أبٍ أسوانَ دامٍ قلبُهُ * مستطيرِ اللبِّ مفقورِ الظَّهرْ
ساهمَ الوجهِ لما حلَّ به * سادرَ النظرةِ من وقعِ الخبر
كم بها والدةٍ والهةٍ * عضَّها الثُّكلُ بنابٍ فعقر
ذاتِ نَوْحٍ تحت أذيالِ الدُّجى * عَلَّمَ الأشجانَ سُكانَ الشجر (١)
تَسْأَلُ الأطيارَ عن مؤنِسِها * كلما صَفَّقَ طيرٌ واضطجر
تسأل الأنجمَ عن واحدِها * كلما غُوِّرَ نجمٌ أو ظهر
تَهَبُ العمرَ لمن يُنبئُها * أنه أفلتَ من كفِّ القدر

* * *

ويحَ مصرٍ ، كلَّ يومٍ حادثٌ * وبلاءٌ ما لها منه مفرّ
هانَ ما تلقاهُ إلا خَطْبُها * في تُراثٍ من بنيها مُدَّخر
قد ظلمتم مجدَهُمْ في نقلِهم * إنما نقلتُهم إحدى الكبر (٢)
فسواءٌ في ترابِ الشرقِ أم * في ترابِ الغربِ كانَ المستقر
أأبيتم أن نرى يوما لنا * في ربوعِ العلمِ شبرًا فنُسَرّ
أضَنِنْتُمْ ان تُقيموا بينهم * شاهدًا منّا لكُتّابِ السِّيَر
ومَزارًا كلما يَمّمَهُ * ناشيءٌ حيّا ثراه واذكر
ودليلًا لابنِ مصرٍ كلما * قامَ في الغربِ بمصرٍ فافتخر
كم مِسَلّاتٍ لنا في أرضِهِمْ * صَوَّرَتْ مُعْجِزَةً بين الصُّوَر

(١) سكان الشجر هم الطير .

(٢) لم يرض حافظ عن نقل جثثهم إلى مصر ليدفنوا فيها ، بل آثر أن يدفنوا حيث ماتوا كرمز لمجد مصر وكفاحها في سبيل العلم .

كُمْ رَمْزًا لمعصورٍ قد خَلَتْ * أشرَقَ العِلْمُ عليها وازدَهَرْ
فاجعلوا أمواتَنَا اليومَ بها * خيرَ رمزٍ لرجاءٍ منتظـر

***

أسـةَ الطليانِ خَفَّفْتِ الأسى * بصنيعٍ من أياديك الغُـرَرْ
جَمَعَتْ كَفَّاكِ عِقْدًا زاهيا * من بنينا فوقَ واديك انتَشَرْ
وَمَشَى فى مَوْكِبِ الدَّفْنِ لهُـمْ * مِن بَنِيكُمْ كُلُّ مِسْمَاحٍ أغَرّ
وَسَعَى كُلُّ بَرِىءٍ مُفْضِـلٍ * بادِىَ الأحزانِ مَخْفُوضَ النظر
وَبَكَتْ أفْـلاذُكُمْ أفْـلاذَنَا * بِدموعٍ رَوَّضَتْ تلك الحُفَـر (١)
وَصَنَعْتُمْ — صَـنَعَ اللهُ لَكُمْ — * فـوقَ ما يَصْنَعُهُ الحِـلُّ الأبَرّ
قَـدْ بَكَيْنَا لَكُمُ من رحمـةٍ * يوم "بِسينا" (٢) فارخصنا الدُّرَرْ
فَحَفِظْتُمْ وَشَـكَرْتُمْ صُنْعَنَا * وبنو الرومانِ أَوْلَى مَن شَـكَرْ

***

أيُّ شبابَ النيلِ لا تَقْعُـدْ بكم * عن خطيرِ المجدِ أخطارُ السَّفر
إنَّ مَن يَعْشَقُ أسْبَابَ العُـلَا * يَطْرَحُ الإحجامَ عنه والحـذر
فاطلبوا العِلْمَ ولو جَشَّمَكُم * فوقَ ما تَحْمِـلُ أطْـوَاقُ البَشَر
نَحْنُ فى عَهْـدِ جِهـادٍ قائمٍ * بينَ مَوْتٍ وحياةٍ لم تَقِـر

(١) روضت الحفر ، أى جعلت قبور أبنائنا روضة من الرياض لكثرة ما سقيت من الدموع .

(٢) سينا مدينة إيطالية دمرها زلزال مروع وسارعت مصر بمساعدة إيطاليا بالتبرعات ، وكان حافظ من اشتركوا فى الدعوة لنجدتها بقصيدة من روائع شعره الإنسانى ، وهى منشورة فى الديوان بعنوان زلزال سينا .

رثاء فقيد العلم والوطن

محمد عاطف بركات باشا(*)

ألقيت فى حفل تأبينه

المقطم فى ١٣ سبتمبر ١٩٢٤

نَمَنُ المجدِ والمحامدِ غالى * آل زغلولَ فاصبروا للبالى
قد هوَى منكم ثلاثةُ أقمـا * رٍ خَلَتْ منهمُ بروجُ المعالى
مات «فتحى»، وَمَنْ لنا بمجاهُ * وأفانين فكرهِ الجوَّالِ
كان أعجوبةَ الزمانِ ذكاءً * وَمَضاءً فى كلِّ أمرٍ عُضالِ
و «سعيدٌ» وكان غصنا نَدِيًّا * فُتِّحتْ فيه زهرةُ الآمالِ
وَقَضَى «عاطفٌ» وكان عظيما * صادقَ العزمِ مُطْمأنَّ الخلالِ
يهزِلُ الناسُ والزمانُ، ويأبى * غيرَ جِدٍّ مُواصِلٍ ونِضالِ
ساهدُ الرأيِ، ناثمُ الحقدِ، لاهٍ * عن مَلاهِى الورَى، عفيفُ المقالِ
قد جَلا سيفَ عَزْمِهِ صَيْقَلُ النـ * ـنفى(١)، فَارْبَى على السيوفِ الصِّقالِ
وَنَمَتْ رَأْيَهُ التجارِبُ حتى * بَاتَ أَمْضَى من نَافِذاتِ النِّبالِ
يا شهيدَ الإصلاحِ غادرتَ مِصرًا * وهى تجتازُ هَوْلَ دَوْرِ انتقالِ

(*) محمد عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر الذين اشتغلوا بالتعليم، ورأس حينا مدرسة القضاء الشرعى، وظل يعمل فى خدمة الحكومة حتى رقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف العمومية، وكان له الأثر الكبير فى تطوير التعليم فى مصر، وكان يمت بصلة القرابة للزعيم سعد زغلول، حيث كان الزعيم فى منزلة خاله.

(١) يشير الشاعر إلى سبق نفى الإنجليز لعاطف بركات مع الزعيم سعد زغلول.

لو تَرَيَّثْتَ لاسْتَطَالَ بك النيـ * ـلُ على هـذه الخُطوبِ التـوالى
غَيرَ أن الردى ، وإن كَثُرَ النا * سُ ، حريصٌ على البعيدِ المَنَـال
كلما قامَ مُصْلِحٌ أعْجَلَتْهُ * عن مُنَاهُ غَوائلُ الآجالِ
يُخْطَفُ النابغُ النبيهُ ويَبْقى * خامـلُ الذكرِ فى نعـيمٍ وخالِ
أيعيشُ الرئبالُ فى الغاب جيلاً * ويمـوتُ الغـرابُ بالأجيـالِ

* * *

كنتَ فوق الفراشِ والسقمُ بادٍ * لهفَ نفسى عليـك والجسمُ بالِ
لم يُزحزحْك عن نهوضك بالأعبا * ءِ داءٌ يهـد أشـدَّ الدِّحالِ
شَغَلَتْكَ الجهـودُ والداء يمشى * فيـك مَشْـىَ الحـاذرِ المُغْتالَ
لم يَدَعْ منـك غير قـوة نفس * تتجلّى فى هيـكلٍ من خَيَالِ
عجـز السُّقْمُ عن بلوغ مَداهـا * فمَضَتْ فى سبيلهـا لا تبـالى
لم تَزَلْ فى بِنـاءةِ النبْء حـتى * هَـدَمَ المـوتُ عُمْرَ بانِى الرجالِ
عَجِبَ الناسُ أنْ رَأَوْا سَرَطانَ الـ * ـبحرِ قد دَبَّ فى رؤوسِ الجبال
مَنْ رأى «عاطفاً» وقد وَصَلَ الأشـ * ـغالَ بعـدَ المُـدَوِّ بالأشغال
ظَنَّ ، أو كَادَ ، أنْ أوّلَ نَوْمٍ * نامَـه كانَ تحتَ تلكَ الرمال
أو رأى قـوةَ العزيمـةِ فيـه * وهو فوقَ الفراشِ بادِي الهُزال
ظَنَّ بأسَ الحـديدِ فارَقَ مَثْـوَا * هُ اجتـواءً وحَلَّ عـودَ الخـلال

* * *

قد تبيّنتَ كُلَّ معنًى فأنكرْ * تَ على السالفين معنى المحالِ
رُمْتَ فى أشهرٍ صلاحَ أمورٍ * دمّرتها يدُ العصورِ الخوالى
رُمْتَ إصلاحَ ما جنَت يدُ «دنلو» * بَ» على العلم السنين الطوالِ
وقليلٌ عندى لها نصفُ جيلٍ * لجُدٍّ مُوَفّقٍ فعّالِ
لم تكن مصرُ بالعقيم ولكن * قد رماها أعداؤها بالخيالِ(١)
أفسحُوا للجيادِ فيها مجالاً * قد أضرّ الجيادَ ضيقُ المجالِ
أصبحتْ فى القيودِ تمشى الهُوَيْنَا * كسفينٍ يعبُرْن بحرَى القَنالِ
فاصدَعُوا هذهِ القيودَ وخَلّو * ها تبارى فى السّبْقِ ريحَ الشمالِ
عَرَفَ الغَرْبُ كيف يستثمرُ الجد * فيَبْنِى بفضلِهِ كُلَّ غالِ
ودَرَى الشرقُ كيف يَستَمْرِئُ اللهـ * ـو فيُفْضِى به إلى شرِّ حالِ
فاتركوا اللهوَ فى الحياةِ وجِدّوا * إنّ فى اسم الرئيس أيمنَ فالِ
فاصنعوا صُنْعَ عاطفٍ واذكروه * آيةَ المجدِ ـ ذِكرةَ الأبطالِ

* * *

يا مُحِبَّ الجدالِ لَمْ مستريحا * ليس فى الموتِ مَنقَذٌ للجدالِ
صامتٌ يُسكتُ المَفَوّهَ فاعجب * وبطىءٌ يَسبِقُ خَطْوُ العِجالِ
كلُّ شىء إلا التحيةَ يُرْجَى * فهى لله، والدنا للزوالِ(٢)
إن بكت غيرَك النساءُ وأذرفـ * ـن عليه الدموعَ مثلَ اللآلى
فَعَلى المصلحين مثلِكَ تبكى * ثم تبكى جلائلُ الأعمالِ

(١) الخيال : الغم. (٢) التحية : الخلود.

رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى

مجلة النيل — ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٤

رَحِمَ اللهُ صاحبَ النظراتِ * غابَ عنا فى أحرجِ الأوقاتِ
يا أميرَ البيانِ والأدبِ النضـ * ـرِ لقد كنتَ نضرَ أمِّ اللغاتِ
كيف غادرْتَنا سريعاً وعهدى * بك يا مصطفى كثيرَ الأناة
أقفرَتْ بعدَك الأساليبُ واستر * خَى عِنانُ الرسائلِ الممتعاتِ
جمَحَتْ بعدَك المعانى وكانت * سَلِساتِ القيادِ مُبتدراتِ
وأقامَ البيانُ فى كلِّ نادٍ * ماتمًا للبدائعِ الراثماتِ
لَطَمَت «مجدلينُ» بعدَك خَدَّيْـ * ـها وقامَتْ قيامةُ «العَبَرَاتِ»(١)
وانطَوَتْ رِقَّةُ الشعورِ وكانت * سلوةَ البائسين والبائساتِ
كنتَ فى مصرَ شاعرًا يبهرُ الل * ـبَّ بآياتِ شعرِهِ البيِّناتِ
فهجَرْتَ الشعرَ السَّرِىَّ إلى النثـ * ـرِ فأنتَ الكُتَّابَ بالمُعجزاتِ
مُتَّ والناسُ عن مُصابِكَ فى شُغْـ * ـلٍ بجرحِ الرئيسِ حامى الحُماةِ(٢)
شُغِلوا عن أديبهم بمُنجِّيـ * ـهِمْ فلم يَسمعُوا نِداءَ النُّعاةِ
وأفاقُوا بعدَ النجاةِ فألفَوْا * منزلَ الفضلِ مُقفرَ العرصاتِ
قد بكاكَ الرئيسُ وهو جريحٌ * ودموعُ الرئيسِ كالرَّحماتِ

(١) «مجدلين» و«العبرات» و«النظرات» من الروايات التى ترجمها المرحوم المنفلوطى.

(٢) توفى المرحوم المنفلوطى يوم الاعتداء على الزعيم سعد زغلول فى محطة مصر وهو متوجه إلى إنجلترا لمفاوضة الإنجليز.

لم تُبْقِ يافتى المحامدِ مالًا * فلقد كنتَ مُغْرَماً بالهِبَات
كم أَسَالَتْ لك اليراعةُ سَيْلًا * من نُضَارٍ يفيضُ فَيْضَ الفُرات(١)
لم تُؤَثِّلْ مما كَسَبْتَ ولم تَحْـ * ـسِبْ على ما أرى حِسَابَ المَمات
مِتَّ عن يافع وخمس بناتٍ * لم تُخَلِّفْ لهنَّ سِوَى الذِّكْرَيَات
وتُرَاثُ الأديبِ فى الشرقِ حُزْنٌ * لِبَنِيهِ ، وثَـرْوةٌ للـرواة
لا تَخَفْ عَثْرَةَ الزمانِ عليهم * لا ، ولا صولَةَ الليالى العَوَاتى
عَيْنُ سَعْدٍ تَرْعَاهُمُ بعـ * ـينِ الله فاهْدَأْ فقد وَجَدْتَ المُوَاتى

رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر فى العصر السابق ، ولى مناصب القضاء والإدارة ثم وزيرا للمعارف « التربية والتعليم الآن » .

وقد ناصر الأدب واللغة العربية فى عصر اشتدّت حملة الاستعمار والمبشرين عليها شدّة مسعورة ، وكانت له رغم منصبه الوزارى و وجود مستشار المعارف الإنجليزى ، مواقف مشهودة ، خرجت بفضلها اللغة العربية سليمة خالصة لأهلها ، وحفظت عليهم لسانهم العربى المبين .

وكان من الطبيعى أن تقوم الصلة قوية متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل ، وأن يقرّبه الوزير اليه ، ويعينه رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب المصرية . فكان عملا جريئا من الوزير أن يعين فى وظيفة حكومية ، أديبا يطارد الاستعمار و يطارده الاستعمار فى عصر الاستعمار ...

(١) النضار : الذهب — الفرات : الماء العذب .

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المرثية المنبعثة من ضمير ووجدان الشاعر وطفى الوفى الكليم .

حَبَسَ اللسانَ وأَطْلَقَ الدَّمْعَا * ناعٍ أَصَمَّ بنَعْيِكَ السَّمْعَا
لك مِنَّةٌ قـــد طَوَّقَتْ عُنُقِى * مَا إن أُرِيدُ لِطَوْقِهَا نَزْعَا
مَاتَ الإمامُ[1] وكانَ لِى كَنَفًا * وقَضَيْتَ أنتَ وكنتَ لِى دِرْعَا
فَلْيَشْمَتِ الحُسَّادُ فى رَجُلٍ * أَمْسَتْ مُنَاهُ وَأَصْبَحَتْ صَرْعَى
وَلْتَحْمِلِ الأيامُ حَمْلَتَهَا * غَاضَ المَعِينُ وَأَجْدَبَ المَرْعَى
إِنِّى أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَلًا * بِيَدِ العُلَا وَبِأَنْفِهَا جَدْعَا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوْحِشًا قَلِقًا * وَأَرَى المُرُوءَةَ أَقْفَرَتْ رَبْعَا
قَدْ كَانَ فِى الدُّنيا أَبُو حَسَنٍ * يُولِى الجميلَ وَيُحْسِنُ الصُّنْعَا
إِن جاءَ ذو جاهٍ بِمَحْمَدَةٍ * وَتْرًا شَآهُ[2] بِمِثْلِهَا شَفْعَا
فَإِذَا نَظَرْتَ إلى أَنَامِلِهِ * تَنْدَى ، حَسِبْتَ بِكَفِّهِ نَبْعَا
سَلْنِى فَإِنِّى مِنْ صَنَائِعِهِ * وَسَلِ «المعارفَ» كم جَنَتْ نَفْعَا
قد أَخْصَبَتْ أُمُّ اللغاتِ بِهِ * خِصْبًا أَدَرَّ لأَهْلِهَا الضَّرْعَا
تاللهِ لَوْلا أَنْ يُقَالَ أَتَى * بِدْعًا ، لَطُفْتُ بِقَبْرِهِ سَبْعَا
قد ضِقْتُ ذَرْعًا بِالحَيَاةِ وَمَنْ * يَفْقِدْ أَحِبَّتَهُ يَضِقْ ذَرْعَا

---

(١) الإمام هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا وقد رثاه الشاعر بقصيدة فى هذا الديوان .

(٢) شآه أى زاد عليه ، والوتر الواحد والشفع الاثنان ، ومنها صلاة الوتر ذات الركعة الواحدة ، وصلاة الشفع ذات الركعتين .

وَغَـدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكَنَّفُنِي * فيـهِ الشُّرُورُ ولا أَرَى دَفْعَا
كَمْ مِنْ صَـدِيقٍ لى يُحَاسِنُنِي * وَكَأَنَّ تحتَ ثِيابِهِ أَفْعَى
يَسْعَى فَيُخْفِي لِينُ مَلْمَسِهِ * عَنِّى مَسَارِبَ حَيَّـةٍ تَسْعَى
كَمْ حَاوَلَتْ هَـدْمِي مَعَاوِلُهُـم * وَأَبَى الإِلَهُ فَـزَادَنِي رَفْعَا
أصبحتُ فَـرْدًا لا يُنَـاصِرُنِى * غيرُ اليَـانِ ، وَأَصْبَحُوا جَمْعَا
وَمُنَاهُـمُ أَنْ يَخْطِمُوا بِيَدِى * فَلَمَّا أَثَارَ عَلَيْهِـمُ النَّقْعَا
وَلَـرُبَّ حُـرٍّ عابه نَفَـرٌ * لَا يَصْلُحُونَ لِنَعْـلِهِ شِسْعَا
مَنْ ذَا يُوَاسِينِى وَيَكْلَأُنِى * فِي هـذِهِ الدنيا وَمَنْ يَرْعَى
لا جَاهَ يحمِينِى ، وَلا مَـدَدٌ * عَنِّى يَرُدُّ الكيدَ والقَـذْعَا
بك كنتُ أدفعُ كلَّ عاديةٍ * وأجيبُ فى الجُـلِّى إذا أُدعى
وأقيـلُ عَـثْرَةَ كلِّ مبتئسٍ * وأفى الحقـوقَ وأُنجحُ المسعى
حتَّى نَعَى الناعِى أبا حَسَنٍ * فَوَدَدْتُ لو كنتُ الذى يُنْعَى
غِيـظَ العِـداةُ فحاولوا سَفَهًـا * مِنهـم لحبـلِ وِدَادِنا قَطْعَا
رَامُوا له بَتًّا — وقد حَمَـلُوا * ظلمـاً — فكان لوصْلِهِ أَدْعَى

* * *

يا دوحةً للـبرِّ قـد نَشَرَتْ * فى كلِّ صالحـةٍ لهـا فرعا
ومنارةً للفضلِ قـد رُفِعَتْ * فـوقَ الكنانةِ نورُهـا شَـعًّا
ومَشابةً للـرزقِ أَحْمَـدُهـا * مارَدَّ مِسكينًا ولا دَعَّا
إنى رثيتُـك والأسَى جَلَـلٌ * والحـزنُ يَصْدَعُ مهجتى صَـدْعا
لا غَرْوَ إن قَصَّرتُ فيـك فقـد * جَلَّ المصابُ وجاوز الوُسْعا
سأفيـك حقَّـك فى الرثاءِ كما * تُرضَى ، إذا لم تُقْـدِرِ الرُّجْعَى

فهرس

قصائد الجزء الأول والثانى

(حرف الهمزة)

	جزء	صفحة
هل رأيتم موقفا كمثلى ... في الأطباء يستحق الثناء	١	٥٨
في كساء أنعم به من كساء ... أنا فيه أتيه مثل الكساء	١	٢٠٥
ببابك النحس والسعود ... وموقف اليأس والرجاء	١	٢١٣
هذا الظلام أثار كامن دائي ... يا ساقيي صل بالصهباء	١	٢٣٩
أأبسوك الدهاء فوق الدهاء ... وأروك العداء بعد العداء	١	٢٥٢
خلقت في نفسا فأرصدتها ... للحزن والبلوى وهذا الشقاء	٢	١١٤
لا والأسى وتلهب الأحشاء ... ما بات بعدك مهجب بسوقاء	٢	١٣٥
أعزي القوم لو سمعوا مزاني ... وأطعن في مليكهم رثائي	٢	١٣٦

(حرف الألف)

تنابيت عنكم لحظت عرا ... وضاعت عهود على ما أرى	١	١٩٦
بنادي الجزيرة قف ساعة ... وشاهد بربك ما قد حوى	١	٢٢٢

(حرف الباء)

ماذا أذنبت فذا العيد من أدب ... فقد عهدتك رب السبق والغلب	١	١٣
لهت جلال العيد والقوم هيب ... فعلمني أي الملائك كيف تكتب	١	١٥
يحكرا صاحبي يوم الإياب ... وقفا بي بعين شمس فقا بي	١	٢٣
لو ينظمون اللآلي مثل ما نظمت ... مذهبت عنا عيون الفضل والأدب	١	٢٦
أنجمي كاد يعلو نجمه ... في سماء الشعر نجم العرب	١	٣٨
شيطان قد غبرا الوجود وأدركا ... ما فيه من علل ومن أسباب	١	١٥٤
أخرق الذف لو رأيت شكيبا ... وأفض الأذكار حتى يغيبا	١	١٦٠

			جزء	صفحة
أديم وجهك يازديق لوجعلت	منه الوقاية والتجليد للكتب		١	١٦١
أنى وافه قد ملأ الوطاب	وداخلنى بصحبتك ارتياب		١	١٦٦
ملكتم على عنان الخطب	وبزتم بقدرى سماء الرتب		١	١٧٦
قل للنقيب لقد زرنا فضيلته	فذادنا عنه حراس وحجاب		١	١٨٨
عجب الناس منك يا بن سليما	ن وقد أبصروا لديك عجيبا		١	٢٣٣
حطمت اليراع فلا تعجبى	وعضت البنان فلا تعتبى		١٠	٢٥٦
إن كنتم تبذلون المال عن رهب	فنحن ندعوكم للبذل من رغب		١	٢٦٥
لمصر أم لربوع الشام تنتسب	هنا العلا وهناك المجد والحسب		١	٢٦٨
حيا كم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا		١	٢٧٢
قضيت عهد حداثتى	ما بين ذل وافتراب		١	٣٠٢
(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما	كانت جوارك فى لهو وفى طرب		٢	٦
لا تلم كفى إذا السيف نبا	صح منى العزم والدهر أبى		٢	٧
أيحصى معانيك القريض المهذب	على أن صدر الشعر قدح أرحب		٢	١٧
(قصر الدبارة) هل أتاك حديثنا	فالشرق ريع له وضج المغرب		٢	٢٢
أجل هذه أعلامه ومواكبه	هنيئا لهم فليسحب الذيل صاحبه		٢	٤٨
(قصر الدبارة) قد نفضـ	ـت العهد نفض الغاصب		٢	١٠٩
صمتت فاصغروا أدبى	ونطقت فاكبروا أربى		٢	١١٠
جواب حظى قد أمرغته طمعا	بباب أستاذنا (الشيمى) ولا عجبا		٢	١١٢
ماذا أصبت من الأسفار والنصب	وطيك العمر بين الوخد والخبب		٢	١١٦
وميت بها على هذا الثياب	وما أوردتها غير السراب		٢	١٢١
هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى	هنا خير مظلوم هنا خير كاتب		٢	١٣٨
صونوا يراع (على) فى مناحفكم	وشاوروه لدى الأزراء والنوب		٢	١٧٢
سكن الفيلسوف بعد اضطراب	إن ذاك السكون فصل الخطاب		٢	١٨١
أيدرى المسلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سليما فى التراب		٢	١٨٩

ولدى قـد طال سهدى ونحيبي	بعثت أدعوك فهل أنت مجيبي	٢	٢٠٠
آذنت شمس حياتى بمغيب	دنا المهـل يا نفس فطوبي	٢	٢٠٣
ما أنت أول كوكب	فى الشـرب أدركه المغيب	٢	٢١٤
إيه ياليل هل شهدت المصابا	كيف ينصب فى النفوس انصبابا	٢	٢١٨
لعب الليل بملاعب الألباب	وبحا بشاشـة فك الخـلاب	٢	٢٣٠
دمعة من دموع عهد الشباب	كنت خبأتها ليـوم المصـاب	٢	٢٣٨
بدأ الشيب يدب فى آرابى	وبدأت أعرف وحشة الأحباب	٢	٢٤٦
حياكم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	١	٢٧٢

(حرف التـاء)

فيـك السعيدان اللذان تباريا	يا مصر فى الخـيرات والبركات	١	٥٥
لكن يهدى النيـل ألف تحية	معطـرة فى أسـطر عطرات	١	١٢١
يا كاتب الشرق ويا خير من	تنـاول بنـو الشرق مقـاماته	١	١٩٦
رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى	ونـاديت قومى فاحتسبت حياتى	١	٢٥٣
أحيـاؤنا لا يرزقـون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	١	٣١٨
أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	١	٣١٨
(ليـــلاى) ما أنا حـــى	يـــريبى ولا أنا ميـــت	٢	٦٩
سـلام على الإسلام بعـد محمد	سـلام على أيامه النضـرات	٢	١٤٤

(حرف الحـاء)

(لؤلؤ) شهرة فى الطيب تاهت	بهـا مصر وتاه بهـا مـديحى	١	٧١
أهل الصحافة لا تضلوا بعـده	فضياؤكم قـد زانها (المصباح)	١	١٤٨
وفيان أنس أقسموا أن يبددوا	جيوش الدهر ما بين أنس وأفراح	١	٢٤٢
مرت كعمر الورد بينا أجتلى	إصـباحها إذ آذنت برواح	١	٢٤٢
ما لى أرى الأكمام لا تفتـح	والروض لا يذكـو ولا ينفح	٢	٩٤

أفرق فـدتك مشارق الإصـباح	وأمط لثامك عن نهار ضاحى	٢	٩٧
سـليل الطين كم قلنا شـقاء	وكم خطت أناملنـا ضريحا	٢	١١٢

(حرف الدال)

تصدت فقلت فى الهوى وتصـدا	فما أثمت عينى ولا لحظـه اهتـدى	١	٧
أهنيـك أم أشكو فراقك قائلا	أيا ليتنى كنت السجين المصفدا	١	٣٣
إنـ هتوك بها قلت مهتما	إنى عهـدتك قبلها محسودا	١	٥٠
أرأيت رب التـاج فى	عيـد الجلوس وقد تيمّى	١	١٤٤
يا كوكب الشـرق آشـرق	فالحاسدات تجـمـد	١	١٥٣
قـد بت محسودا عليك لأننى	فضلك وهـو غير المنعم يحسـد	١	١٩٥
أرجعونا بنى اليهـود كفاكم	ما جمعتم بحـدقكم من نقـود	١	٢٢١
نحسرة فى (بابل) قـد صهرجت	هـكذا أخـبر حاخام اليهـود	١	٢٤٣
ومن عجب قـد قلدوك مهنـدا	وفى كل لحـظ منك سيف مهند	١	٢٤٧
سمعنا حديثا كقطر الندى	يجـدّد فى النفس ما جـدّدا	١	٢٦١
مـا لى أرى بحـر السـيا	سـة لا يفى بجـزرها ومـدها	١	٢٦٤
أيها القائمون بالأمـر فينا	هـل نسيتم ولاءنا والـودادا	٢	٢٠
بنات الشعر بالنفحات جـودى	فهـذا يـوم شاعرك المجيـد	٢	٣١
فتى الشرهذا موطن الصدق والهدى	فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا	٢	٢٦
لا رعى الله عهـدها من جدود	كيف أمسيت يابن (عبد الحميد)	٢	٤٣
وقف الخلق ينظرون جميعا	كيف أبنى قواعد المجـد وحدى	٢	٨٩
لقـد طال الحياد ولم تكفوا	أما أرضاكم ثمن الحياد	٢	١٠٨
ردا كؤوسكما من شبه مفؤود	فليس ذلك يوم الراح والعـود	٢	١٢١
أيهـذا الثرى إلام التمادى	بعد هـذا أأنت قرطاج صادى	٢	١٣٣
ردّوا على بيانى بعد (محمـود)	إنى حييت راعيا الشعر مجهودى	٢	١٣٩
من ليسوم نحن فيـه من الضـد	مات ذو العزمة والرأى الأسـد	٢	١٩٧

	جزء	صفحة
(حرف الـــراء)		
مطالع سعد أم مطالع أقمار	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري	١ ١١
فى عيـد مـولانا المـهـذب	مر وعيـد مولانا الكبير	١ ١٥
لمحت من مصر ذاك التاج والقمرا	فقلت للشعر هذا يوم من شعرا	١ ١٨
إن صوروك فإنما قد صوروا	تاج الفخار ومطلع الأنـوار	١ ٢٦
قصرت عليك العمر وهـو قصير	وغالبت فيك الشوق وهو قدير	١ ٣١
رباك والدك الكريم على التقى	وعلى النزاهة والضمير الطاهر	١ ٥٧
يا حكامى الأخـلاق فى	بلد عن الأخـلاق عارى	١ ١١٤
قم اذا ركب الأنامل أو جرى	سجدت له الأقلام وهى جوارى	١ ١٥٠
شجتنا مطالـع أقمارها	فسالت نفوس لتـذكارها	١ ١٦٧
كحافظ إبراهـيم لكنـه	أجمل خلقا منه فى الظاهر	١ ١٨٥
قل للرئيس أدام الله دولته	بأن شاعره بالباب منتظر	١ ١٨٩
شكرت بجبل صنعكم بدمعى	ودمع العين مقياس الشعور	١ ١٩١
وافى كتابـك يزدرى	بالـدر أو بالجـوهـر	١ ١٩١
طال الحديث عليكم أيها السمر	ولاح للنوم فى أجفانكم أثر	١ ١٩٤
لا غرو إن أشرق فى منزل	فى ليلة القـدر محيا الوزير	١ ٢٠٤
أساعد كيف تنسانى وبينى	وبينك يا أنى صلة الجوار	١ ٢٠٤
عاصف يرتمى وبحر يفـور	أنا بالله منهـما مستجير	١ ٢٢٧
كأنى أرى فى الليل نصلا مجردا	يطير بكفنا صفحته شـرار	١ ٢٣٤
ياساهد النجم هل للصبح من خبر	إنى أراك على شوق من الضجر	١ ٢٣٦
أنا العاشق العانى وإن كنت لا تدرى	أعيذك من وجد تظل فى صدرى	١ ٢٤٧
قالت الجوزاء حين رأت	بجنبـه قد واصل السهرا	١ ٢٤٧
سائلوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت تساهم والمدارى	١ ٢٥٠
هـذا صـبى هـائم	تحت الظلام هيام حائر	١ ٢٩٢

			جزء	صفحة
أيها الوحي زر نبت الربا	واسبق الفجر الى روض الزهر		١	٢٩٩
أيها الطفل لك البشرى فقد	قدر الله لنا أن نتشرا		١	٣٠٧
أساحة الحرب أم محشر	ومورد الموت أم الكوثر		٢	١٠
أطل على الأكوان والخلق تنظر	هلال رآه المسلمون فكبروا		٢	٣٧
أهلا بأول مسلم	فى المشرقين علا وطار		٢	٧٦
كم حدثونا يوم الجلاء الذى	أسبح فى الابهام كالحشر		٢	١٠٩
ما لهذا النجم فى السحر	قد مها من شدة السهر		٢	١٢٢
لقد كانت الأمثال تضرب بيننا	بجور (سدوم) وهو من أظلم البشر		٢	١٢٣
نثروا عليك نوادى الأزهار	وأتوك أنثر بينهم أشعارى		٢	١٥١
رثاك أمير الشعر فى الشرق وانبرى	لمدحك من كتاب مصر كبير		٢	١٦٤
أخت الكواكب مارما	ك وأنت رامية النسور		٢	١٧٩
مالك النهى لا تجمدى	فالخلق فى الدنيا سير		٢	١٩٣
لله الله قد أسرعت فى السير قبلنا	وأثرت يا مصرى سكنى المقابر		٢	٢٠٢
نعماك النعاة وحسم القدر	ولم يغن غناء عنك الحذر		٢	٢٠٨
من لم يذق فقد أليف الصبا	لم يدر ما أبدى وما أضمر		٢	٢١٦
يابن (عبد السلام) لا كان يوم	غبت فيه عن هالة الأبرار		٢	٢٤٢

(حرف السين)

أتيت سوق عكاظ	أمسى بأمر الرئيس		١	١٠٣
أنا فى الجزيرة ثار	ليس لى فيها أنيس		١	١٨٨
أوشك الديك أن يصيح ونفسى	بين هم وبين ظن وحدس		١	٢٤١
أيها الحب امتزج بالحشى	فإن فى الحب حياة النفوس		١	٢٤٦
أجاد (مطران) كما داته	وهكذا يؤثر عن (قس)		١	٢٩٦
إن يوم احتفالكم زاد حسنا	وجلالا يسوم عيد الجلوس		١	٣٠٦

	جزء	صفحة
(حرف العين)		
هجمت يا طير ولم أهجع ... ما أنت إلا عاشق مدعى	١	٣٤
بلابل وادي النيل بالشرق اسجعي ... بشعر أمير الدولتين ورجعي	١	١١٩
قد راع دار العدل طف ... بيان وراع الجامعه	١	١٤٢
قد أجدبت دار الجا والنهى ... بعدك من أرائك الناعمه	١	١٤٣
قد قرأنا ظلالكم فاشتفينا ... بارك الله في (ظلال الدموع)	١	١٥٨
هنا يستغيث الطرس والنفس والذي ... يخط ومن يتلو ومن يتسمع	١	١٦١
من لم ير المعرض في اتساع ... وفاته ما فيه من إبداع	١	١٩٦
نمى يا بايل إليك شوقي ... وحنيني لازمت سكب الدموع	١	٢٠٣
أي رجال الدنيا الجديدة مدوا ... لرجال الدنيا القديمة باعا	١	٢٥٩
أخشى مريتي إذا ... طلع النهار وأفزع	١	٣١٨
مرضنا فما عادنا عائد ... ولا قيل أين الفتى الألمعي	٢	١٢٤
(رياض) أفق من غمرة الموت واسمع ... حديث الورى عن طيب ما كنت تصنع	٢	١٦٧
أبكي وعين الشرق تبكي معي ... على الأديب الكاتب الألمعي	٢	٢٢٨
(حرف الفاء)		
صدفت عن الأهواء والحق يصدف ... وانصفت من نفسي وذو اللب ينصف	١	٢١
غاب الأديب أديب (مصر) واختفى ... فلتبكه الأقلام أو تتقصفا	٢	٢٢٨
(حرف القاف)		
سكن الظلام وبات قلبك يخفق ... وسطا على جنبيك هم مقلق	١	٤٠
ما بال (دندرة) تميس تهاديا ... مس العروس مشت على استبرق	١	١١٨
أيسا يدا قد خصها ربها ... بآية الإيجاز في الخلق	١	١٤١
وجدوا السبيل الى التقاطع بيننا ... والسمع يملكه الكذوب الحاذق	١	٢٠٧
يا (جاك) إنك في زمانك واحد ... ولكل عصر واحد لا يلحق	١	٢١٢

كم ذا يكابد عاشق و يلاقى	فى حب (مصر) كثيرة العشاق	١	٢٧٩
لا أبالى أذى العـــدو فحلى	أنت يا رب من ولاء الصديق	١	٢٩٨
لى فيك حين بدا سناك وأشرقا	أمل سـألت الله أن يتحققـا	٢	٥٨
لا هم إن الغرب أصبح شـعلة	من هولها أم الصواعق تغرق	٢	٨٦
أكثرتم التصفيق فى موطن	كان البكا فيـــه بنا ألبقا	٢	٢٠٨

(حرف الكاف)

لله عيـــــد كبـــير	يزهـــو بنـــور جبينـــك	١	٣٦
أحمـــد الله إذ ســلمت لمصر	قد رماها فى قلبها من رماكا	١	١٠٩
سما الخطيبان فى المعالى	وجاز شأواهما الهماكا	١	١٣٣
عطلت فن الكهرباء فلم تجـد	شيئا يعـوق مسـيرها إلاكا	١	١٦٠
يا شاعر الشـــرق اتئـــد	ما ذا تحاول بعـــد ذاك	١	٢٠١
ظمئى الحمى بالله ما ضـــركا	اذا رأينـا فى الكرى طيفـكا	١	٢٤٨
كم وارث غض الشباب رميتـه	بضـرام رأفتـه وحب هلوك	١	٣١٤
عجبت أن يعطوا يوما لذكراكا	كأننـا قـد نسينا يوم منحاكا	٢	٢١٧
بين السرائر ضـــنة دفنوك	أم فى المحاجر خلســة خبئوك	٢	٢٤٦

(حرف اللام)

بنفسك لم أنسب ولم أتنـزل	ولـما أقف بين الهوى والتذلل	١	٤
قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا	ما كل منتسب للقـول قـولك	١	٥
هنيئا أيهـا الملـك الأجـل	لك العرش الجديد وما يظـل	١	٦٧
فى ساحة (البدرى) حلت ساحة	عز البـلاد بعـزها موصـول	١	٧٥
لقـــد عاشرتنا فلبثت فينـا	مثـالا للنزاهـــة والكمال	١	٩٨
الشعب يدعو الله يا (زغلول)	أن يستقل على يديك النيل	١	١١٠
قـــد قرأنا كم فهشت نهـانا	فاقتبســنا نورا يضيء السبيلا	١	١٣١

			جزء	صفحة
أضحى (نجيب) وكيلا		لنا ونعـــم الوكيل	١	١٤٨
(عثمان) إنك قـد أتيت موفقا		شروى سميك جامع التـنزيل	١	١٥٣
جوائد ما خـــط حرف بهـا		لغـــير تفـــريق وتفـــضيل	١	١٥٩
لا تعجبوا فليككم لعبت به		أيدى البطـانة وهو فى تضليل	١	١٥٩
يا صارما أغف الثواء بغمـــده		وأبى القـرار ألا تزال صقيلا	١	١٧١
سيرا أبا بدرى سماء العـلا		واستقبلا الـنجم ولا تأفـلا	١	٢٠٠
أدلال ذاك أم تكسل		أم تناس منـــك أم ملل	١	٢٠٣
* يادولة القـواضب الصـقال *			١	٢٠٩
ضعت بين النهى وبين الخيـال		يا حكيم النفوس يابن المعالى	١	٢٣٧
أغضـيه فى الأشواق إلا أقله		بعلمه سرى أبدى الى الليث ميله	١	٢٣٧
شبحا أرى أم ذاك طيف خيال		لا بل فتـاة بالعـــراء حيـالى	١	٢٧٥
أيها الطفل لاتخف عنت الدهـ		ـر ولا تخش عاديات الليـالى	١	٣١٠
أى رجال الدنيا الجديدة مهلا		قـد شأوتم بالمعجزات الرجالا	١	٣١٢
لله درك كنت من رجـل		لو أمهلتـك غوائـل الأجل	٢	١٥٦
جـــل الأسى فتجـلى		وإذا أبيـــت فأجـــلى	٢	١٧٦

(حرف المـــيم)

منى قلتها يا لابس المجـد معلما		أدبتنا ودنيـا زادك الله أنهما	١	٥٠
لم نجـد ما ينى بقدرك فى المجـ		ـد فيهـدى الى حـاك الكريم	١	٥٥
إنى دعيت الى احتفالك بغتة		فأجبت رغم شواغلى وعنـائى	١	٥٦
جاز بى عرفها فهاج الغـراما		ودعانى فـــزرتهـا لمـــاما	١	٥٨
وسع الفضل كله صدرك الرحـ		ـب فمن شاء فليهنئ وسامه	١	٦٣
يحييك من أرض الكنانة شاعر		شغوف بقول المبقرين مغرم	١	٧٢
أنصر الزعفـــران لأنت نصر		خليق أن يقيـه على النجـوم	١	١٠٦
أحييت ميت رجائنا بصحيفة		أثنى عليها الشرق والاسـلام	١	١٥٠

		جزء	صفحة
أثرت بنا من الشوق القديم	وذكرى ذلك العيش الرخيم	١	١٦٢
ملكت على مذاهبي	وعصاني الطبع السليم	١	١٧٢
* من وابد متفسر المشام *		١	١٩٧
إن عضبك يا أنمى بالملام	لا يؤدي لمثل هذا الخصام	١	٢٠٢
تمثلي إن شئت في منظر	يا (جوليا) أنكر فيه الغرام	١	٢٤٦
أذنتك ترتابين في الشمس والضحى	وفي النور والظلماء والأرض والسما	١	٢٤٨
صفحة البرق أو مضت في الغمام	أم شهاب يشق جوف الظلام	١	٢٨٣
كم تحت أذيال الظلال متيم	داعي الفؤاد وليله لا يعلم	١	٢٨٨
أيها المصلحون ضاق بنا العيـ	ـش ولم تحسنوا عليه القياما	١	٣١٦
لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت	حواشيه حتى بات ظلما منظما	٢	٢٥
لقد نصل الدهر في تنام	أهم ذاد نومك أم هيام	٢	٥٣
بالذي أجراك يا ريح الخزامى	بلغي (البسفور) عن (مصر) السلاما	٢	٦٢
طمع ألقى عن الغرب القناما	فاستفق يا شرق واحذر أن تناما	٢	٦٦
(أياصوفيا) حان الفراق فاذكري	عهود كرام فيك صلوا وسلموا	٢	٨٨
قد مر عام يا (سعاد) وعام	وابن الكنانة في حمام يضام	٢	١٠٥
بنيتم على الأخلاق أساس ملككم	فكان لكم بين الشعوب ذمام	٢	١٠٦
حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا	واطمسوا النجم واحرمونا النسيما	٢	١٠٨
سعيت الى أن كدت أنثل الدما	وعدت وما أعقبت إلا التندما	٢	١١٤
طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا	واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم	٢	١٩٠
لامرحبا بك أيهذا الغمام	لم يرع عندك الا ساة ذمام	٢	١٨٦
علمان من أعلام معـ	ـر عندا الردى فطواها	٢	٢٠٧
أعزى فيك أهلك أم أعزى	عفاة الناس أم هم الكرام	٢	٢٤٥

(حرف النون)

خال بين الجفن والوسن	حائل لو شئت لم يكن	١	٣
طف بالأريكة ذات العز والشان	واقض المناسك عن قاص وعن داني	١	٢٨

	جزء	صفحة
أتى الجميع عليك والحرمان	وأجل عيد جلوسك الثقلان	١	٤٤
ياصاحب الروضة الغناء هجت بنا	ذكرى الأوائل من أهل وجيران	١	٦٣
ورد الكنانة عبقـــرى زمانه	فتظرفى يا (مصر) سحر بيانه	١	٩٨
يا كامل الخلق الرضى وصاحب الـ	ـأدب السرى ورياضى القنيان	١	١١٨
حيا بكور الحيا أرباع لبنان	وطالع اليمن من (بالشام) حياني	١	١٣٣
قل للطبيب الذى تمنو الجراح له	ماذا اعتددت بجرح العاشق العانى	١	١٤٢
هـــذا كتاب منـــذ بدا سره	للناس قالـــوا معجـــز ثانى	١	١٤٨
أراك ـ وأنت نبت اليوم ـ تمشى	بشعرك فـــوق هام الأولينا	١	١٤٩
يا ساكن البيـــت الزجا	ج هبلت لا تـــرم الحصـــونا	١	١٥٩
يا يوم تكريم (حفـــنى)	أرهفت للقـــــــول ذهنى	١	١٧٩
يا ســـــــيدى وإمامى	ويـــــا أديب الزمان	١	١٨٤
عجبت للنيل يدرى أن بلبـــله	صاد ويسـق ربا مصر ويسقينا	١	١٨٧
يرغى ويزبد بالقـــافات محتبيا	فصـــف المدافع فى أفق الباسفين	١	١٨٩
لاح منها حاجب للناظـــرين	فتسوا بالنيـــل وضاح الجبين	١	٢٠٧
نجاشى إن سكتنا تملمـــان	ما دهى الكون أيها الفـــرقدان	١	٢١٥
أنكر النيـــل موقف الخـــزان	فانثـــنى قافلا الى الســـودان	١	٢٣٨
يا من خلقت الدمـــع لط	ـفا مسك بالباكى الحـــزين	١	٢٣٨
فتيـــة الصهباء خير الشاربين	جددوا بالله عهـــد الغائبين	١	٢٤٤
خفى جفون السحر أو فارعى	منـــيا يخشى نزال الجفـــون	١	٢٤٦
سأله ما لهـــذا الخيال منفردا	واختار غربتك القـــرا له سكنا	١	٢٤٨
ســـور عنـــدى له مكتوبة	ود لو يسرى بها الروح الأمين	١	٢٤٩
أعيـــدوا مجـــدنا دنيا ودينا	وذودوا عن تراث المســـلمينا	١	٣١٥
رويدك حتى يخفـــق الميلان	وننظر ما يجـــرى به القنيان	٢	٥
أين يوم (القتـــال) يا ربة الشا	ج ويا شمس ذلك المهرجان؟	٢	١٤

	جزء	صفحة
لله آثار هناك كريمة	حسدت روائع حسنها (برلين)	٢	٨٣
خـــرج القـــوافى يحتجبه	من ورحت أرقب جمهنّه	٢	٨٧
ألم تر فى الطريق إلى (كياد)	تصـــيد البسط بؤس الطامعا	٢	١٠٦
لا تذكروا الأخلاق بعد حيادكم	فصابكم وعصابنا سيان	٢	١٠٧
لم يبق شىء من الدنيا بأيدينا	إلا بقيـــة دمع فى مآقينا	٢	١١٩
نعمن بخمى وأشـــقيتى	فيا ليتهن ويا ليـــتنى	٢	١٢٤
دعانى وفاقى والقـــوافى مريضـــة	وقد عقدت هوج الخطوب لسانى	٢	١٨٣
أما (أمين) فقد ذقنا لمصرعه	وخطبه من صنوف الحزن ألوانا	٢	٢٢٦
مسدى الجميـــل بلا من يكدره	ومكرم الضيف أمسى ضيف رضوان	٢	٢٣٦
مضيت ونحن أحـــوج ما تكون	إليك ومثـــل خطبـــك لا يهون	٢	٢٤٣
شـــوقيانى أيهـــا الفـــرقدان	لبـــدر تم غاب قبـــل الأوان	٢	٢٤٥
إن الذى كانت الدنيا بقبضته	أمسى من الأرض يحويه ذراعان	٢	٢٤٨

(حرف الهـــاء)

تراءى لك الإقبـــال حتى شهدناه	ودان لك المقـــدار حتى أمناه	١	٣٧
شـــرف الرياســـة يا محـــ ـــمد زانـــه شـــرف النهى	١	١٤١
يا ليـــلة ألهمتنى ما أتيـــه به	على حماة القـــوافى أينما ناهوا	١	٢١١
كم مر بى فيك عيش لست أذكره	ومر بى فيـــك عيش لست أنساه	٢	١٢٠
يا عابد الله تم فى القـــبر مضطجعا	ما كنت عن ذكر رب العرش بالاهى	٢	٢٠٠
وديعـــة رقدت الى ربهـــا	ومالك الأرواح أولى بهـــا	٢	٢٤٦

(حرف اليـــاء)

حسب القوافى وحسبى حين ألقيها	أنى إلى ساحة (الفاروق) أهديها	١	٧٧
أى (مكهـــون) قـــدمت بالـ	ـمقصـــد الحميـــد وبالرعايه	٢	٨٢
أيا قبر هـــذا الضيف آمال أمة	فكبر وهلل وألق ضيفك جاثيا	٢	١٤٩
دك ما بين ضحـــوة وعشى	شـــامخ من صروح آل عـــلى	٢	١٩٠

فهرس

قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

صفحة

(حرف التاء)

رحم الله صاحب النظرات — غاب عنا في أحرج الأوقات ٢٦٥

(حرف الدال)

إن صح ما قالوا ، وما أرجفوا — والعقوا زورا بدين العميد ٢٥٧

(حرف الراء)

علونا الصبر يطفى ما استعر — إنما الأجر لمجموع صبر ٢٥٩

(حرف العين)

سبس الناس وأطلق الدمعا — ناع أسمع بنعيك السمعا ٢٦٧

(حرف الكاف)

ولّت بشاشة دنيانا ودنياك — وفارق الأنس مغنانا ومغناك ٢٥١

يا مليكا برغمه يلبس التا — ج وبرقى لعرشه مملوكا ٢٥٢

(حرف اللام)

قصر الدوبارة ما لقيتك رابضا — والذئب في قصر الإمارة يعسل ٢٥٢

ثمن المجد والمحامد غال — آل زغلول فاصبروا للنضال ٢٦٢

(حرف الميم)

عيد هنا ، وهناك قام المأتم — ملك ينوح ، وشاعر يترنم ٢٥٢

سحر الصلم ليس آية — فرق شط النيل تبدو كالعلم ٢٥٣

قد خفسونا وانتهبنا فإذا — نحن غرقى ، وإذا الموت أم ٢٥٤

هدية من شاعر بائس — إلى الدمرداش ولى النعم ٢٥٨

رياض الأزبكية قد تحلت — بانجاب كرام أنت منهم ٢٥٨

(حرف النون)

ثلاثة من سراة النيل قد حبسوا — على مدارسنا سبعين فداءا ٢٥٦

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٧٧٧/ ٨٠

ISBN ٩٧٧ ـ ٢٠١ ـ ٨٠٦ ـ ٣